



مقرر

علم نفس الشخصية

الفرقة الثالثة

علم نفس

إعداد

أ.د. كريمة خطاب

أستاذ علم النفس الإكلينيكي المتفرغ

الفهرس

الصفحة

13 -6

الفصل الأول: مقدمة لدراسة الشخصية

- 1- تعريف علم نفس الشخصية
- 2- توجهات فى دراسة الشخصية
- 3- المدخل الجمعى الفردى
- 4- تصنيفات مقترحة للشخصية

23-14

الفصل الثانى: سمات الشخصية

- 1- مفهوم السمة
- 2- الإفتراض الأساسى فى نظرية السمات
- 3- التحديد الفرق للسمات
- 4- أنواع السمات
- 5- مستويات التشابه بين السمات
- 6- طبيعة السمات
- 7- معايير تحديد السمات
- 8- السمات وتفسير الفروق الفردية

42-24

الفصل الثالث: العوامل الخمسة الكبرى للشخصية

- 1- تاريخ موجز للعوامل الخمس الكبرى
- 2- أهم طرق اكتشاف العوامل الخمس الكبرى
- 3- العوامل الخمس الكبرى لدى "كوستا، وماك كرى"
- 4- توصيف العوامل الخمس الكبرى
- 5- تطبيقات العوامل الخمس الكبرى

6- نقد العوامل الخمس الكبرى

62 -43

الفصل الرابع: النظرية الاجتماعية المعرفية (باندورا)

- 1- أهم ملامح النظرية
- 2- التعلم بالملاحظة
- 3- أنواع النماذج
- 4- خطوات التعلم بالملاحظة
- 5- العوامل المؤثرة فى تكوين النموذج
- 6- الفاعلية الذاتية
- 7- الجوانب المعرفية فى نظرية "باندورا"
- 8- تطبيقات التعلم الاجتماعى المعرفى
- 9- تقويم نظرية "باندورا"

84-63

الفصل الخامس: نظرية "كارل روجرز" المتمركزة حول الشخص

- 1- التوجهات
- 2- طبيعة الكائنات الإنسانية
- 3- أسس التوجه المتمركز حول الشخص
- 4- بناء الشخصية عند "روجرز"
- 5- الذات
- 6- تحقيق الذات
- 7- المسائل الأساسية فى نظرية الذات
- 8- الاتساق والتناغم بين الذات والخبرة
- 9- ديناميات الشخصية
- 10- نبذة مختصرة عن العلاج المتمركز حول الشخص
- 11- الظروف الضرورية للعملية العلاجية

12- تقويم نظرية "روجرز"

113-85

الفصل السادس : نظرية "إريك إريكسون" فى الشخصية

- 1- نشأته وحياته
- 2- طبيعة الشخصية عند "إريكسون"
- 3- عمليات الأنا
- 4- تركيب الشخصية
- 5- نمو وتطور الشخصية
- 6- مراحل النمو النفسى الجنسى
- 7- تطبيقات نظرية "إريكسون"
- 8- نظرية "إريكسون" فى الميزان

125-114

الفصل السابع: نظرية "يونج" التحليلية فى الشخصي

- 1- بناء الشخصية
- 2- ديناميات الشخصية
- 3- نمو الشخصية

144-126

الفصل الثامن: النظرية الفردية "الأدر"

- 1- الشخصية
- 2- الاسلوب والحياة
- 3- الحياة العقلية لدى الأفراد
- 4- ديناميكية الشخصية
- 5- مجال عمل الشخصية ونشاطها

- 1- محددات الشخصية وتطورها
- 2- الوراثة والبيئة بوصفها محددات
- 3- الوراثة
- 4- بنية الجسم
- 5- فيزيولوجيا الجسم
- 6- المحددات البيئية
- 7- التفاعل بين محددات الشخصية
- 8- تطور الشخصية وثباتها
- 9- نمو الشخصية وتطورها
- 10- ثبات السمات من المراهقة للسن المتقدم
- 11- الفروق الفردية في تطور الشخصية
- 12- تطور العوامل الخمسة الكبرى تبعا للسن
- 13- ثبات الشخصية وتغيرها
- 14- نتائج بعض الدراسات الطولية
- 15- الفروق الفردية في الثبات
- 16- الثبات مقابل التغير
- 17- التغير الناتج عن العلاج النفسى

الفصل الأول

مقدمة لدراسة الشخصية

تمهيد:

يدرس علم النفس الشخصية من ناحية بنائها أو أبعادها الأساسية ونوها وتطورها، ومحدداتها الوراثية والبيئية وطرق قياسها وكذلك اضطراباتها من الناحية النظرية وليست العملية على أساس نظريات متعددة اعتمدت على فروض مختلفة، لكن الهدف بينها مشترك وهو فهم الشخصية وتحديد أبعادها والتنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد في موقف معين، حتى يمكن ضبطه والتحكم فيه، والشخصية بوصفها فرع مهم من فروع الدراسات النفسية تربطها روابط وثيقة بعلم النفس الإجتماعى وكذلك بفرع تطبيقى وهو علم النفس الإكلينيكى الذى يختص بالتشخيص والعلاج.

أما علم الاجتماع فإنه يهتم بدراسة الشخصية الإنسانية من حيث هى نتاج لحضارة أو ثقافة معينة، تشمل أنساق متعددة كالزواج والأسرة والنظام السياسى والقانونى وغيرها، ومن الجلى أن علم الاجتماع بوصفه فرعا من العلوم الاجتماعية يهتم فى دراسته للشخصية بالمحددات البيئية والاجتماعية ويركز عليها مع عدم إغفال أهمية العوامل الوراثية. وكذلك ترتبط دراسة الشخصية بالطب النفسى حيث أن أى غموض فى مفهومها او عدم تحديد للخصائص التى تستند عليه خاصة فى القياس النفسى، يضعف البناء الكلى فى الطب النفسى وعلم النفس الإكلينيكى.

تعريف علم نفس الشخصية

أولاً: تعريف "جوردون ألبرت" الشخصية هى التنظيم الدينامى داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التى تحدد طابعه الخاص فى توافقه لبيئته.

ثانياً: "جيلفورد" شخصية الفرد هى ذلك النموذج الفريد الذى تتكون منه سماته.

ثالثاً: "كاتل" الشخصية هى ما يمكننا من التنبؤ بما سيفعله الشخص عندما يوضع فى موقف معين ، واضاف ، أن الشخصية تختص بكل سلوك يصدر عن الفرد سواء أكان ظاهراً أو خفياً.

رابعاً: "أيزنك" الشخصية هي ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حد ما لطباع الفرد، ومزاجه، وعقله، وبنية جسمه، الذي يحدد توافقه الفريد لبيئته.

خامساً: "أحمد فائق" الشخصية نمط سلوكى مركب ، ثابت ودائم إلى حد كبير، يشتمل على تنظيم فريد لمجموعة من الوظائف والسمات العقلية والوجدانية والفيسيولوجية، التى تحدد سلوك الفرد وفكره. والسلوك نتاج التفاعل بين خواص الشخصية والأحوال الاجتماعية والبيئة المادية، وتتحكم فى السلوك عوامل داخلية (خواص الشخصية)، وعوامل خارجية (البيئة الخاصة)، وتتكون الشخصية على أساس تحكمى إختيارى من قسمين كما يلى:

1- الجانب العام من الشخصية: ويتضمن أشكال التعبير والتعامل والعلاقات، وطريقة التفاعل مع ظروف الياة والأشخاص المحيطين.

2- الجانب الخاص من الشخصية: وهو الجزء الخفى منها، ويتضمن المشاعر، والأفكار، وأحلام اليقظة، والتجارب الخاصة التى لا يشترك الآخرون فيها.

توجهات فى دراسة الشخصية

حدد "بيرفن" (Pervin,1996) ثلاثة توجهات بحثية فى مجال الدراسة العلمية للشخصية ، يلخصها "أحمد فائق" كما يلى:

1- المدخل الإكلينيكي Clinical

يتضمن يتضمن هذا المدخل أو التوجه للدراسة المنظمة أو المتعمقة للأفراد، ويفضل هذا التوجه الإطباء النفسيون مثل "فرويد" و "موراى" والإكلينيكيون مثل "روجرز" و "كيلى"، وجوانب القوة الواضحة فى هذه الطريقة ثروة الملاحظات الغنية التى تنتج عنها، وبعضها حدسى أو بديهى، وبعضها غير ذلك، ولكن حدود هذه الطريقة تتلخص فى مدى ثبات هذه الملاحظات، وإمكانية اختبار الفروض، التى لا تمثل الاهتمام الحقيقى عادة للمعالج الممارس، وفضلا عن ذلك فإن كثيرا منهم يركز على عمليات الشخصية غير السوية أكثر من السوية.

2- المدخل الارتباطي Correlational

يتلخص هذا المدخل في النظر إلى العلاقات الإحصائية بين مختلف المقاييس التي تم تحديدها موضوعيا، والتي ظهر أن الأفراد يختلفون بالنسبة لها، ومن أكثر الأسماء شهرة في هذا المجال: "جولتون، أيزنك، وكاتل" ويسمون بأصحاب القياس النفسى، ومن الواضح أن هذا المدخل علمى، يستلزم القياس الدقيق للسلوك، ويعتمد غالبا على استخبارات التقرير الذاتى والطرق الإحصائية المتقدمة التى يمكن أن تستكشف الأنماط المركبة التى تكمن خلف السلوك، ويشير الكثير من الباحثين إلى أن الإحصاءات متعددة المتغيرات (التحليل العاملى) خادم جيد وسيد سىء، ومن ناحية أخرى فإذا كانت المقاييس سطحية أو متحيزة أو تافهة فلا يمكن لأى قدر من الإحصاءات المتقدمة أن تعوض ذلك النقص.

3- المدخل التجريبي Experimental

يتضمن هذا المدخل التحكم المنظم فى المتغيرات فى محاولة لإيجاد علاقات سببية، ويحاول أصحاب هذا المدخل اكتشاف القوانين العامة للوظائف النفسية ووصفها، والمؤسسان لهذا المدخل هما (فنت، وسكينر)، ولهذا المدخل كل المزايا والعيوب التى تكمن فى المدخل التجريبي، مع أن كليهما ليس من اصحاب نظريات الشخصية، وتلازم كل الأعمال التجريبية مشكلات الصدق البيئى، وتحيز المجرب، وآثار التوقع، والفهم التقويمى، ومع ذلك فإن هذا المدخل يعد أفضل منهج لبحث العلاقات السببية، واختبار فروض معينة.

المدخل الجمعى والفردى

هناك مدخلان أساسيان فى علم نفس الشخصية يتداخلان مع ما سبق عرضه يعرضهما "ريتشارد لازاروس" (1989، ص ص40-47)، ويلخصهم أحمد فائق كما يلى:

1- المدخل الجمعى Nomothetic

يهتم هذا المدخل بالكشف عن القوانين العامة والشاملة للأداء الوظيفى للشخصية، ويتحقق ذلك بدراسة عدد كبير من الأفراد لوضع تعميمات بخصوص سمة أو سمات محددة، وبيان تنظيم هذه السمات، بحيث لا تدرس الشخصية دفعة واحدة، ويطوع هذا المدخل الأساليب التحليلية والمنهجية للعلوم التجريبية لدراسة الشخصية، ويتسم بالضبط، ودقة القياس، والقابلية للتكرار، ويطبق طرق التحليل الإحصائى على عينات كبيرة الحجم غالبا، ويهدف هذا المدخل إلى وضع مبادئ عامة عن بناء الشخصية وتفاعل سماتها.

2- المدخل الفردى Idiographic

يركز هذا المدخل على الحالات الفردية، ومن ثم يسمى أحيانا المنهج الإكلينيكى؛ إذ يركز على الدراسة المتعمقة للحالة الفردية من جوانب، ومواقف، أو أزمنة متعددة، ومختلفة فى حياتها، من أجل التوصل إلى تعميمات عن هذا الفرد، والوصف الدقيق لشخصيته بصورة كلية، ومن أنصار هذا المدخل كل من "فرويد، وألبورت".

تصنيفات مقترحة للشخصية

أولاً: الشخصية بوصفها منبها:

ينظر البعض للشخصية على أنها منبه أو مثير، أى مؤثر اجتماعى فى الآخرين، ويتفق هذا مع الاستخدام المألوف للمصطلح لدى غير المتخصصين، إذ يقال "أن هذا الشخص قوى الشخصية" أى أن تأثيره فى الآخرين قوى، نرى أن هذا يركز على المظهر الخارجى للفرد وقدرته على التأثير فى الآخرين، وهذا يوثق المعنى الأصلى للقناع، إذ كثير ما نلجأ إلى مثل هذا الغطاء الخادع لنبدو لمن حولنا فى مظهر مقبول يتفق معهم (سيد غنيم، 1975، ص45).

وهنا يبدو أن الانطباع الأول الذى يتكون سريعا هو الأمر المهم، فنقع فى الحب أو نختار الأصدقاء، ومثل هذه الأحكام معرضة لأنواع من الخطأ، وربما يتأثر الملاحظ بأقوال الآخرين عن الشخص، ويدرك الشخص كما وصفه له آخر، وأثر الهالة Halo effect (تأثير الانطباع العام والسطحى) والتعميم الخطأ كذلك لهما أثر كبير، فقد يبذل الآخر جهدا متعمدا للخداع، بإتخاذ دور مؤقت ليس من خصائصه الفعلية (Gynther&Gynther, 1976, p. 188).

يثير تعريف الشخصية بوصفها منبها بعض المشكلات، منها أنه يشير إلى جوانب معينة من حياة الفرد، وهى المتعلقة بالمهارات الاجتماعية كالحوية والقدرة على التعبير والتأثير على الآخرين، كما أنه تعريف ذو نظرة سطحية خارجية، إذ يغفل التنظيم الداخلى للشخصية، ويؤدى هذا إلى تمييز خطير بين الدرجات الأعلى والأدنى فى الشخصية من ناحية التأثير فى المجتمع، فتكون ممثلة السينما أو لاعب الكرة أكثر تأثيرا من العالم والمفكر.

ثانيا: الشخصية بوصفها استجابة:

تهدف هذه النظرة إلى رؤية الشخصية من حيث هى استجابات الفرد للمنبهات المختلفة، ومحاولة وصف الشخصية على أنها الأنماط السلوكية المتعددة التى يستجيب لها الفرد للمنبهات التى تقع عليه، أيا ما كانت هذه الأنماط تعبيرات فى ملامح الوجه أو الإشارات الجسمية أو الحركات التعبيرية أو الأساليب الانفعالية أو طرق التفكير أو غير ذلك من الاستجابات. النقد الموجه لهذه النظرة

يتمحور فى أن الشخص الواحد حين يواجه بالمنبه ذاته لا يستجيب دائما الاستجابة عينها، كما أن شخصين مختلفين قد يستجيبان الاستجابة نفسها، ولكن لأسباب مختلفة تماما.

ثالثا: الشخصية والطباع:

1- المفهوم الأخلاقى أو التقويمى

2- الجانب الإرادى أو النزوع

يرى البعض أن الطباع هى الشخصية عندما ننظر إليها بمنظور أخلاقى تقويمى، أو هى خصائص الشخصية التى يمكن تقويمها تبعا لمجموعة من المعايير الثقافية أو الأحكام الخاصة بالقيم السائدة فى المجتمع، ويتضح ذلك من الحكم على سلوك معين بأنه جيد أو سىء، خير أو شر، صواب أو خطأ، ومن السمات المستحسنة، الأمانة والصدق والإخلاص والتكامل وضبط النفس. والطباع سلوك أخلاقى يساير العرف المجتمعى والمعايير الأخلاقية.

والمعنى الإرادى للطباع أشار له "وليم مكدوجال" ويرى "أيزنك" معه أنه يركز على الجانب النزوعى أو مدى شدة النشاط على ضوء المثابرة والسرعة وغيرها، والطباع بهذا المعنى مرتبطة تماما بالإرادة. ويستخدم مصطلح الطباع فى علم النفس المرضى، فيشير اضطراب الطباع إلى مجموعة من الاضطرابات والسلوك غير التكيفى المتصلب الذى يثير عادة استجابات غير سارة من الآخرين المحيطين بالشخص، وتتراوح درجات الاضطراب من الطباع التسلطى والدورى والقهرى والاضطهادى، إلى سلوك سيكوباتى (المضاد للمجتمع) والعدوانى وكذلك حالات العنف والجنوح.

رابعا: الشخصية والمزاج:

المزاج هو الطبيعة الانفعالية المميزة للفرد، ويشمل مدى قابليته للاستثارة الانفعالية، وقوة الاستجابة المألوفة وسرعتها لديه، ونوع الحالة المزاجية Mood السائدة عنده، ومدى تقلب هذه الحالة وشدتها، ويعتمد المزاج أكثر ما يعتمد على عوامل جبلية أو تكوينية، ومن ثم فإن المزاج هو تلك الجوانب من الشخصية التى تعتمد أكثر من الوراثة، ويشير المزاج إلى المناخ الكيمائى أو الطقس الداخلى للفرد، وعندما نقول أن شخصا ما مرح، أو بطئ وخامل، ويسهل إفزاعه وإخافته، أو أن له

ميولا جنسية قوية أو ضعيفة، أو له مزاجا مخيفا، أو أن شخصا ما بطئ الحركة بطبيعته، وأن آخر تسهل إثارته، أو أنه ملئ بالحيوية....فإننا فى كل ذلك نصف المزاج، ومن ناحية أخرى يعنى "أيزنك" بالمزاج الإستجابة الانفعالية، ومن ثم فإن المزاج يشمل الإستثارة مقابل الهدوء، وكذلك الثبات الانفعالى مقابل عدمه. ويتوقف المزاج فى المقام الأول على عوامل وراثية، منها الجهازين العصبى والغدى الهرمونى، كما يتوقف على عملية الأيض، وعلى الصحة العامة للفرد، إذا فالمزاج هو مجموعة السمات المميزة لطبيعة الفرد الانفعالية.

خامسا: الشخصية والذكاء :

يرى البعض أن الذكاء منفصل عن الشخصية، فيعتقدون أن هناك نوعين من التنظيمات السلوكية المستقلة فى السلوك البشرى، الأول هو التنظيم المعرفى أو عملية معالجة المعلومات التى ترتبط بالعمليات العقلية، والثانى هو التنظيم الوجدانى أو الشخصية والجوانب الانفعالية المتعلقة بالمواقف الاجتماعية والتكيف معها. ولكن هذا الفصل بين المفهومين ليس له ما يسوغه، فإن التنظيمين متداخلان، والجوانب الانفعالية وحسن التصرف يمكن أن يتداخلوا مع الخواص الانفعالية أو الشخصية ويؤثرا فيها، ومن جانب آخر فإن الخصائص الانفعالية يمكن أن تؤثر فى العمليات المعرفية وفى نتائج اختبارات الذكاء والقدرات، كما أن عددا من اضطرابات الشخصية يؤثر على المدى الطويل فى معامل ذكاء الفرد ووظائفه العقلية فيسبب تدهورا بدرجات (أحمد عبد الخالق، 1990، ص57).

ويوصى "أوليورت" (Allport, 1961, pp. 63-65) بأن ندخل الذكاء فى المواد الخام التى تتكون منها الشخصية، لأن الذكاء فى أحد جوانبه مرتبط تماما بالجهاز العصبى المركزى، وهذا الجهاز هبة فطرية كالجاز العصبى الغدى الذى هو أساس بنية الجسم والمزاج، ومن المؤكد أن ثمة تفاعلا بين الذكاء والشخصية، ولكن ليس هناك نمط موحد لهذا التفاعل. ونشر "تيرمان" فى عام 1947 نتائج دراسة تتبعية بدأت على (1500) طفل من الموهوبين (معامل ذكائهم 140 فما فوق) فظهر بعد اثنى عشر عاما من إجراء الاختبار عليهم لأول مرة أن بعضهم ظاهر النجاح، بينما الآخرون غير ناجحين فى حياتهم، فى حين أن كلتا المجموعتين مرتفعة الذكاء، فما الفرق؟ لقد ظهر أن أعضاء الجماعة الناجحة أكثر ميلا إلى عملهم، وعندما طلب أقرانهم أن يضعوا تقديرا لهم نكروا أنهم أكثر مثابرة وثقة

بالنفس، وأكثر أتساقا مع أهدافهم، لذلك فإن الأداء العقلي الممتاز (أيا كان معامل الذكاء) يحتاج إلى صفات شخصية معينة.

سادسا: الشخصية وبنية الجسم:

بنية الجسم أو الشكل الخارجى له، هو التركيب البدنى الظاهر لجسم الإنسان، ونمط العلاقات بين مختلف أعضائه، وهو يقاس كميًا بدقة فى إطار القياس الجسمى Anthropometry وتقسّم البنية إلى ثلاث هـى: المكتنزة والنحيلة والمتوسطة، ومشكلة علاقة بنية الجسم بالشخصية وبالاستعداد للإصابة بالاضطرابات النفسية والأمراض العقلية والعضوية مشكلة قديمة جدا، بدأت منذ الطبيب اليونانى "أبو قراط" عام 430 ق.م، وربط بين البنية النحيلة والاستعداد للإصابة بالدرن الرئوى، وبين البنية المكتنزة البدنية والاستعداد للإصابة بأمراض الشريان التاجى والسكتة القلبية، وما زالت هذه المسألة حتى اليوم، تتراوح بين الاهتمام الزائد والإهمال الشديد، كما هو الحال دائما فى كثير من المشكلات العلمية. وتوصلت دراسة عربية على طلاب من جامعة الإسكندرية (أحمد عبد الخالق، 1981ب) إلى علاقة موجبة بين البنية البدنية والانبساط.

والخلاصة أن هناك ارتباطا بين البنية والشخصية، وبما أن بنية الجسم تتحدد على أساس وراثى بالدرجة الأولى فإن الافتراض بأن وراء كل من البنية والشخصية عاملا وراثيا قويا له ما يسوغه، والسؤال المطروح للبحث هو حجم الارتباط نفسه، ولكن معاملات الارتباط التى أجريت حتى الآن، لا تسمح بالتنبؤ بشخصية فرد، أو استعداده للإصابة باضطراب نفسى أو مرض عقلى معين على أساس معرفة بنية جسمه.

الفصل الثانى

سمات الشخصية

مفهوم السمة:

السمة Trait مفهوم أساسى فى علم نفس الشخصية، وتعنى السمة فى اللغة الصفة أو الخصلة أو العلامة المميزة، إننا نلاحظ الآخرين ونحاول أن نفهم سلوكهم، ونعطيه معنى كما نلاحظ الاتساق فى سلوك شخص معين، والفروق بين مختلف الأفراد، فإننا نلاحظ على سبيل المثال أن "زيدا" من الناس يبتسم عند مقابلة الآخرين ويتحدث معهم بطريقة ودودة فى مواقف مختلفة سواء فى الفصل الدراسى أو قاعة الطعام أو الملعب أو المكتبة، من ناحية أخرى نلاحظ أن زميله "عمرو" يندر أن يضحك، أو يتبادل كلمات ودودة مع الآخرين، وفى حين يبدو "زيدا" دافئا ومنطلقا بشكل متسق، فإن "عمرو" يبدو باردا ومنعزلا، وبطبيعة الحال فإن "زيدا" يكون باردا فى بعض اللحظات، ويكون "عمرو" ودودا مع الآخرين فى مواقف معينة، ولكن "زيدا" يبدو أكثر ودا ودفئا من "عمرو" بوجه عام (McAdams,1994,p.248).

كما نلاحظ أن قريبا لنا لا يطيق أن يمكث فى منزله كثيرا، ويحب الخروج منه دائما، وإذا مكث فيه يتوافد عليه الزوار تباعا، وأن له من الأصدقاء الحميمين عددا كبيرا، فهو يشترق أن يكون مع الناس دوما، يحب الحفلات والاجتماعات والزيارات.....مثل هذا الشخص يوصف بأنه (اجتماعى)، وإذا لاحظ بعض الناس أن شخصا ما سريع الغضب وسهل الإستثارة فى أغلب الأوقات، مع أصدقائه ومرؤسيه ورؤسائه أسرته.... فإنه يوصف بأنه (عصبى)، وإن صفات (اجتماعى) و (عصبى) وغيرهما من الصفات التى يمكن أن نصف بها مختلف الأفراد، ما هى إلا السمات.

أدرك الإنسان بما لديه من عقل وحس مشترك Common sense على الرغم من عدم وجود تخصص، أن الاتفاق أو التشابه بين شخصين فى سمة أو صفة معينة لا يعنى التطابق بينهم فى كل الصفات، فإذا نظرنا إلى مجموعة من الأفراد فيما يختص بسماتهم الشخصية فقد نجد أن شخصين يتفقان فى سمة السيطرة وآخرين يتفقا فى سمة التفاؤل، ولكن من المستحيل أن نجد شخصان يتفقان فى كل السمات، كما لا يتفقان فى التوليفة أو التجمع الذى تتخذه مجموعة من السمات، كأن يكون لشخصين الدرجة نفسها من السيطرة أو التفاؤل والانعزالية والعصبية والتفتح والجرأة....وغير ذلك،

فلكل شخص توليفة محددة أو صورة نفسية Profile خاص به، أى أن له درجات خاصة به على عدد من السمات بحيث لا تتفق كلها مع شخص آخر (McAdams,1994,p.248) وما ذلك إلا فكرة التفرد والخصوصية على الرغم من بعض التشابهات.

الافتراض الأساسى فى نظرية السمات:

الافتراض الأساسى فى نظرية السمات أن الناس جميعا يمتلكون قابليات أو نزعات شاملة للاستجابة بطريقة معينة، وهذه القابليات تدعى السمات، بعبارة أخرى فإن الناس يمكن أن يوصفوا على أساس احتمالات تصرفهم وشعورهم وتفكيرهم بطريقة معينة، مثال التصرف بطريقة ودودة ودافئة، أو شعورهم بالعصبية والقلق أو فى تفكيرهم فى مشروع أو فكرة متعلقة بالفن، أو توقعهم للخير والإعتقاد فى مقولة "تفاءلوا بالخير تجدوه" أى أن هناك أشخاص ترتفع درجاتهم فى سمات معينة كالانبساط والاجتماعية أو العصبية، فى حين أن هناك أشخاص لديهم ميل أقل وبالتالي درجات أقل، ويتفق أصحاب نظريات السمات على أن السمات هى الوحدات الأساسية للشخصية الإنسانية (Pervin&John,1997,p.227).

كيف نثبت من وجود السمات؟

تتأكد مسلمة وجود السمات من ثلاث حقائق كما يلي:

- 1- لشخصيات الأفراد درجة مرتفعة من الاتساق، فإن الشخص يكشف عن الاستجابات التعودية (أى التى يعتادها) خلال عدد كبير من المواقف المتشابهة.
 - 2- توجد فروق فردية فى العادات والسمات، وهذه الفروق كمية فى المقام الأول.
 - 3- لشخصيات الأفراد نوع من الاستقرار، فإن الشخص الذى يحصل على درجة معينة (على أحد المقاييس) هذا العام، سيحصل على درجة قريبة منها فى العام التالى.
- وتؤدى بنا هذه الحقائق الثلاثة إلى أن ننظر إلى سمات الشخصية بوصفها نوعا من العادات العامة التى يمكن أن تستدعى، أى تسترجع عن طريق عدد كبير من المواقف، وأن النظر إلى الشخصية على ضوء "السمات" يأمل أن يصف الاختلافات الجوهرية فى السلوك بطريقة اقتصادية اختزالية، مع إهمال العادات النوعية غير المهمة (Cronbach,1990)، وتجمع البيانات عن السمات باستخدام

الاستخبارات أو الاستبانات، وتقع جذور نموذج السمات فى تراث القياس النفسى، ونموذجها فى ذلك اختبارات الذكاء (Peterson, 1988, p.284).

التحديد الفارق للسمات:

الاتجاه والعادة والعاطفة من المصطلحاتالتى يتعين تحديدها تحديدا فارقا، أى تحديدا مميزا بين كل سمة وأخرى حتى لا يحدث تداخل، وقد فرق "ألبرت" بين السمة والاتجاه، على أساس ما يلى: 1- الاتجاه Attitude يشير عادة إلى موضوع معين (سياسى، اقتصادى، دينى) كالاتجاه نحو منح المرأة حقوقها السياسية، أو الاتجاه نحو تنظيم الأسرة، أما السمة فتبرزها موضوعات شديدة التنوع، فالسمة أكثر عمومية من الاتجاه، وتشير إلى مستوى أرقى من التكامل.

2- الاتجاه فى العادة ثنائى: مع أو ضد، مفضل أو مكروه.... ولكن الأمر ليس كذلك فى السمات. ويضيف "ألبرت" أن السمة هى المفهوم الأساس فى دراسات الشخصية، حيث تهتم دراسات الشخصية ببناء السمات لدى الشخص، أما الاتجاه فهو الموضوع الأساس فى علم النفس الاجتماعى، ويرى "ألبرت" أن العاطفة Sentiment تقع بين السمة والاتجاه.

أما العادة Habit فتستخدم على أنها نوع من الميل المحدد، لذا فالسمة أكثر عمومية من العادة، وتتكون السمة فى أحد جوانبها على الأقل، من خلال تكامل مجموعة من العادات النوعية التى لها دلالة تكيفية امة بالنسبة للفرد، ولكن العادات لا تتكامل تلقائيا، بل عندما يتوافر لدى الشخص صورة أو مفهوم عام من نوع معين يؤدي إلى تكوين السمة فى ظل جهاز أرقى من التنظيم، وينظر "جاثرى" وهو عالم نفس سلوكى، إلى السمة على أنها عادة من نوع راق (أحمد عبد الخالق، 1990، ص 67 - 68).

أنواع السمات:

يقسم "جيفورد" السمات إلى ثلاث أنواع: السلوكية، والفيزيولوجية، والمورفولوجية (الخاصة بالشكل الخارجى العام للجسم) ويركز "جيفورد" بشكل عام على السمات السلوكية.

أما "كاتل" (Cattell, 1965, p.28) فيميز بين ثلاث أنواع أساسية من السمات هي:

- 1- السمات المعرفية: القدرات وطريقة الاستجابة للمواقف.
 - 2- السمات الدينامية: تتصل بإصدار الأفعال السلوكية، وتختص بالاتجاهات العقلية أو بالدافعية، كقولنا أن هذا الشاب طموح أو شغوف بالرياضة أو له اتجاه مع السلطة... وهكذا
 - 3- السمات المزاجية: تختص بالإيقاع والشكل والمثابرة وغيرها، فقد يتسم الفرد مزاجيا بالبطء أو المرح أو الجراءة... الخ
- وتجدر الإشارة إلى أن "كاتل" قد أغفل السمات الاجتماعية وهي مع السمات المزاجية أو الانفعالية تعتبر جانب هام فى دراسة علم نفس الشخصية للسمات.

السمات العامة والخاصة:

يتشابه الإنسان مع بقية البنى آدميين فى جوانب معينة هي السمات العامة أو المشتركة، وفى الوقت ذاته لا يشبه أى واحد منهم فى جوانب أخرى وهي السمات الخاصة أو الفريدة.

والسمات العامة هي السمات المشتركة أو الشائعة بين عدد كبير من الأفراد فى ثقافة معينة أو فى ثقافات كثيرة، وقد تشيع بين الناس على وجه العموم، كالذكاء الذى يوجد بدرجات لدى جميع البنى آدميين، أما السمات المشتركة للشخصية فمثلها كالاتواء والسيطرة والالتزان الوجدانى والاجتماعية والتفاؤل...، وللسمات المشتركة الشكل ذاته لدى كل شخص، أى أنها توجد لدى الجميع ولكن بدرجات متفاوتة، أى أن الفارق كمى وليس كيفى.

أما **السمات الخاصة** أو الفريدة فهي تلك التى تخص فرد ما بحيث لا يمكن أن نصف آخر بالطريقة نفسها، وهي إما قدرات أو سمات دينامية، ورأى "ألبرت" فى نظريته للسمات أن كل سمة للفرد تعد سمة فريدة تتميز فى قوتها واتجاهها ومجالها عن السمات الأخرى المشابهة والموجودة لدى الأفراد الآخرين، ويؤكد "ألبرت" أنه ليس فى الواقع شخصان لهما السمة نفسها، وعلى الرغم من وجود

متشابهات فى بنية السمة لدى أفراد مختلفين فإن الطريقة التى تعمل بها أى سمة بالذات لدى شخص معين تكون لها دائما خصائص فريدة تميزها عن جميع السمات المشابهة لدى الأفراد الآخرين، وهكذا فإن السمات جميعا سمات فردية، ولا تناسب إلا الفرد المتفرد.

ويرى "البورت" أن السمة الفردية هى السمة التى يمكن أن نعدّها حقيقية نظرا لما يلى:

1-توجد سمات دائما لدى الأفراد وليس فى المجموع العام.

2-تتطور السمات وتعمم إلى استعدادات دينامية بطرق فريدة وفقا لخبرات كل فرد.

هذا الخلاف يعكس التعارض القائم فى علم النفس عامة بين المنهج الجمعى الذى يركز على ما هو مشترك، فى مقابل المنهج الفردى الذى يركز على السمات الفريدة ودراسة الحالة، والرأى الأرجح أن التقدم فى علم نفس الشخصية يهتم بالبحث عن السمات المشتركة أكثر من السمات الفريدة.

السمات الرئيسية والمركزية والثانوية:

ميز "البورت" بين هذه الأنواع الثلاثة من السمات، وهى كالتالى:

السمات الرئيسية Cardinal traits تعبر هذه السمات عن نزعات أو قابليات شاملة وبارزة فى حياة الفرد، بحيث يمكن عمليا تتبع كل فعل يصدر عن شخص ما إلى تأثير هذه السمة، وتبلغ هذه السمة قدرا من السيادة بحيث أن معظم نشاطات الفرد تخضع لتأثيرها إما بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ولا يمكن لهذه السمة أن تظل مختفية لوقت طويل، فالفرد يعرف بها ويصبح مشهورا بها، ويطلق على هذه الصفة السائدة اسم السمة البارزة أو العاطفة المسيطرة (هول ولندزى، 1971، ص 350).

مثال ذلك عندما نتحدث عن الشخصية "الميكيافلية" أو الشخص "الميكيافلى" وقد أطلق هذا الوصف بعد كتاب "نيقولا مكيافلى" Niccolo Machiavelli (وهو كاتب فى القرن السادس عشر) المعروف بنصيحته للحكام بأن "الغاية تبرر الوسيلة" واعتمادا على ذلك فقد حدد "كريستى وجيس" عام 1970 خصائص الشخصية "المكيافلية" وتتضمن التحكم فى الآخرين، والتلاعب بهم عن طريق الخداع أو الرياء والمراوغة والنفاق والغش وانتهاز الفرص.

كما نتحدث عن الشخص "السادى" Sadistic الذى سمي ذلك نسبة إلى "الماركيز دى ساد" de Sade Marquis ، الاستخدام المرضى للمصطلح إلى ارتباط اللذة الجنسية بإيقاع الألم البدنى أو النفسى بالآخر، وكذلك "المازوخية" Masochism، وهى الشخصية التى تعرض نفسها للألم والمشقة والإهانة، وأيضا الشخصية "التسلطية" Authoritarian، التى يرى اصحابها كل شىء بطريقة نمطية متصلبة (على أساس الأبيض والأسود فقط)، ويصف هذا المصطلح شخصية ترغب فى النظام الاجتماعى التسلطى، وبخاصة البحث عن الطاعة والخضوع والاستسلام العبودى للسلطة، والاحترام الزائد لمن فى السلطة (Pervin & John,1997,p.229f;Reber & Reber,2001) .

السمات المركزية Central traits:

تعبر السمات المركزية عن نزعات أو قابليات تغطى مدى محدود من المواقف بالمقارنة إلى السمات الرئيسية، مثال الأمانة والحنان والشفقة وتأكيد الذات.

السمات الثانوية Secondary traits :

تمثل نزعات أو قابليات أقل وضوحا وعمومية واتساقا، ومن ثم فهى أقل أهمية فى وصف الشخصية.

السمات الأساسية والسطحية:

من بين تصنيفات السمات تقسيمها إلى سمات مصدرية أو أساسية، وسمات ظاهرية أو سطحية، وهو التصنيف الذى وضعه "كاتل" والسمات السطحية (هى تلك السمات التى يمكن ملاحظتها مباشرة، وتظهر فى العلاقات بين الأفراد، كما تتضح من طريقة الشخص فى إنجاز عمل ما، وفى الاستجابات فى الاستخبارات، وهى قريبة من مكان السطح فى الشخصية، وتعد أكثر قابلية للتعديل تحت ضغط الظروف البيئية، مثل المرح والحيوية والتشاجر (Stagner,1974,p.223)، السمات السطحية إذن هى (تجمعات الظواهر أو الأحداث السلوكية التى يمكن ملاحظتها، وهى أقل ثباتا، كما أنها مجرد سمات وصفية، ومن ثم فهى أقل أهمية من وجهة نظر "كاتل" (سيد غنيم، 1975، ص 274) والسمات الأساسية كما يرى "كاتل" هى التكوينات الحقيقية الكامنة خلف السمات السطحية دور عميقة التى تساعد على تحديد السلوك الإنسانى وتفسيره، والسمات الأساسية ثابتة وذات أهمية بالغة، وهى المادة الكبرى التى يقوم عالم النفس بدراستها، ويمكن أن تقسم إلى سمات تكوينية وسمات

تشكلها البيئة: الأولى داخلية وذات أساس وراثي، والثانية تصدر عن البيئة وتتشكل بالأحداث التي تجرى في البيئة التي يعيش فيها الفرد (المرجع والموضوع نفسه).

مستويات التشابه بين السمات:

افتتح كل من "كلوكهون، وموراى" (Kluckhohn & Murray,1953,p.53) مقالهما عن "المحددات التي تشكل الشخصية" في المرجع التراثي المحرر تحت إشرافهما، والمعنون (الشخصية من وجهة نظر الوراثة والمجتمع والثقافة) بهذا القول الذي أصبح شهيرا:

كل انسان فى جوانب معينة:

1- يشبه كل الناس

2- يشبه بعض الناس

3- لا يشبه أحد من الناس

ويشترك الناس جميعا بوصفهم اعضاء فى الجنس البشرى فى عدد كبير من جوانب التشابه الأساسية، ويبدو أن كثيرا من هذه التشابهات ذات جذور عميقة تمتد إلى البيولوجيا المشتركة (يشبه كل الناس)، ومن ناحية أخرى فإن كل واحد منا يعتقد أنه متفرد فى بعض الجوانب الأساسية (لا يشبه أحد من الناس)، ن معظم الناس يفضلون أن يفكروا فى أنهم يتصرفون بطريقة لا تشبه أى شخص آخر مطلقا، وأن لدينا مشاعر معينة لا تشبه تماما نظيراتها لدى أقراننا، وأننا قد خبرنا الحياة وجربناها بطريقة فريدة، وعلى الرغم من هذا التفرد فإننا نسلم بأن بعض الناس يشبهوننا أكثر من غيرهم (نشبه بعض الناس)، فإننا يمكن أن نقارن بين مختلف الأشخاص أو نعارض بينهم، فقد يشبه صديق لك أخاك فى أن كليهما خجول ومنسحب، ومع ذلك فهما مختلفان كثيرا فى أمور أخرى (McAdams,1994,p.3f).

طبيعة السمات:

السمة مفهوم له طبيعة مجردة، فإننا لا نلاحظ السمة بطريقة مباشرة، بل نلاحظ مؤشرات وأفعال معينة نجرد أو نعمم على أساسه، ونلخصها في القول: الإندفاعية والتسلطية والاجتماعية... وهكذا فالسمة إذن مستنتجة من الملاحظات الفعلية للسلوك، أو من خلال الإجابة على استخبار، فإذا رأينا أحدا يترأس الآخرين في مناسبات كثيرة، نقول: أن السيطرة إحدى سماته، وإذا رأيت في مواقف كثيرة يفقد أعصابه لأسباب تافهة، نقول: أن لديه سمة القابلية للإستثارة، في الحقيق أننا بهذا قد لاحظنا ارتباطا واتساقا وظيفيا من موقف إلى آخر، فالسمة إطار مرجعي، ومبدأ لتنظيم بعض جوانب السلوك والتنبؤ به، وهي مستنتجة مما نلاحظه من عمومية السلوك البشرى، والسمة ليست سببا للسلوك، بل هي مفهوم يساعد على فهم السلوك (Stagner, 1974, pp.219-221).

والسمة متغير وصفى يسلم بها علماء النفس، وهي تشبه الجدول الدورى للعناصر الذى وضعه علماء الكيمياء، حيث يصف هذا الجدول خواص المادة الفيزيائية، ولكنه لا يحاول شرحها أو تفسيرها، فسمّة الاجتماعية مثلا مفهوم وصفى مفيد لأنه يجمع الناس عبر متصل يضم عددا كبيرا من أنماط السلوك "المستقلة المرتبطة"، ولا يزعم مفهوم السمة أنه يقدم تفسيراً عن السبب في أن بعض الناس أكثر اجتماعية من غيرهم، ومن هنا فإن السمة ليست أبدا سببا للسلوك بل هي مجرد مفهوم يساعد في وصف هذا السلوك.

وينظر "ساجنر" (المرجع نفسه) كذلك إلى السمات على أنها عمليات تنظيمية للذات من خلال وظائف ثلاث هي: الإدراك الإنتقائى، والنسيان، والتعلم الإنتقائى، ولنأخذ مثلا لهذه الوظائف: الإدراك الإنتقائى، كالشخص الذى لا يثق بالآخرين، ويشعر بالنبذ الاجتماعى من ناحيتهم، فإذا ذهب إلى حفلة مثلا، وتحدث إليه عشرة أشخاص، تسعة منهم بطريقة ادخلت السرور إلى نفسه، والعاشر بطريقة لم تعجبه، فإنه يلاحظ الأخير، ويهمل ما عداه.

ويرى "ألپورت" (Allport, 1961, p.336f) أن السمة (وهي عنده تركيب عصبى نفسى) تعد حتى الآن فكرة مجردة أو تكوينا فرضيا لا مفر منه، وفي الحقيقة فإن أحد لم يرى السمة أبدا، ولكن بالدرجة نفسها فلم يرى أحد في الواقع أبدا أيا من التراكيب أو العمليات التى يتعامل معها حتما علم النفس، كالدوافع والعادات والتوقعات والاتجاهات وغيرها، وفي وقت أحدث يؤكد "ماثيوز وزملاؤه"

(11 p. 2003, Matthews et al.) الطبيعة التنبؤية للسمات، أى أن معرفة السمات لدى فرد ما تنبئ عن السلوك المتوقع من هذا الفرد فى المستقبل، كما بينوا أن السمات لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر، فإن السمات يمكن فقط أن تستنتج من السلوك، وهى الفكرة التى استمر يعتقد أصحاب نظرية السمات، فيذكر "ماكى وزملاؤه" (أن السمات لا يمكن أن تشاهد بشكل مباشر، ولكنها يجب أن تستنتج من أنماط السلوك والخبرة التى تعرف بأنها مؤشرات صادقة للسمات).

معايير تحديد السمات:

حيث أن السمات مثل كل المتغيرات الوسيطة لا يمكن ملاحظتها مباشرة، ولكنها تستنتج فقط، فإننا يجب أن نتوقع صعوبات وأخطاء فى عملية اكتشاف طبيعتها، ولكن "ألبرت" فى مقال عن (ما سمة الشخصية؟) وضع معايير ثمانية لتحديد السمات وهى كما أوردها "سيد غنيم" (1975، ص 25ب) كما يلى:

- 1- أن السمات لها أكثر من وجود اسمى (بمعنى أنها عادات على مستوى أكثر تعقيدا).
- 2- أن السمات أكثر عمومية من العادة (عاداتان أو أكثر تنتظمان معا لتكوين سمات).
- 3- السمات دينامية (بمعنى أنها تقوم بدور دافعى فى كل سلوك).
- 4- أن وجود السمات يمكن أن يتحدد عمليا أو احصائيا، ويتضح ذلك من الاستجابات المتكررة للفرد فى المواقف المختلفة أو فى المعالجة الإحصائية على نحو ما نجد فى الدراسات العملية عند "أيزنك" و"كاتل" وغيرهما.
- 5- السمات ليست مستقلة بعضها عن بعض، إذ ترتبط عادة فيما بينها.
- 6- أن سمات الشخصية إذا نظرنا لها سيكولوجيا قد لا يكون لها الدلالة الخلفية ذاتها (فهى قد تتفق أو لا تتفق والمفهوم الاجتماعى المتعارف عليها هذه السمات).
- 7- أن الأفعال والعادات غير المتسقة مع سمات ما ليست دليلا على عدم وجود هذه السمات (فقد تظهر سمات متناقضة أحيانا لدى الفرد على نحو ما نجد فى سمات النظافة والإهمال).
- 8- أن سمات ما قد ينظر إليها على ضوء الشخصية التى تشملها، أو على ضوء توزيعها بالنسبة للمجموع العام من الناس (أى أن السمات إما أن تكون فريدة، وإما أن تكون عامة مشتركة).

السمات وتفسير الفروق الفردية:

يرى "ماك كرى وكوستا" (McCrae & Costa, p. 248) فيما يختص بتفسير السمات للفروق الفردية ما يلي:

- 1- أن السمات تقدم تفسيراً حقيقياً ومفيداً للفروق الفردية، ولكن السمات لا يمكن أن تكون وحدها تفسيرات كاملة للسلوك، ذلك أن التفسيرات على ضوء الأدوار، والقدرات، والتوقعات، والعادات، والمطالب الموقفية هي أيضاً تفسيرات حقيقية، ومع ذلك فإن السمات تضيف إضافات سببية لتطور العادات والاتجاهات والمهارات.... وغيرها
- 2- سمات الشخصية ليست تلخيصات وصفية للسلوك، ولكنها بالأحرى قابليات تستنتج من أنماط الفكر، والمشاعر، والأفعال، كما يمكن للسمات التنبؤ بها.
- 3- تأتي الأدلة العلمية على وجود السمات -جزئياً- من الدراسات التي تكشف عن أنماط التغيير المصاحب عبر الزمن، وأزواج التوائم، والثقافات، بحيث لا يمكن تفسير هذا التغيير المصاحب عن طريق بدائل مثل التأثيرات العابرة، والاستجابات المتعلمة، والمعايير الثقافية.
- 4- إن ملاحظة سلوكيات معينة تسمح بالتنبؤ بغيرها من السلوكيات غير المشاهدة، اعتماداً على التغيير المصاحب.
- 5- عندما تقاس سمة لدى شخص ما باستخدام منهج دقيق فإن معرفة مظاهر السمة يمكن أن تستخدم في تفسير سلوك ذلك الفرد.
- 6- سمات الشخصية مفاهيم بنائية نفسية مفترضة، ولكن يفترض أن يكون لها أساس بيولوجي.
- 7- تتفاعل السمات عبر الزمن، مع البيئة فينتج عنها جوانب تكيفية مشروطة ثقافياً وذات معنى، مثل الاتجاهات والدوافع والعلاقات.
- 8- تحدث سلوكيات معينة عندما تتفاعل الخصائص التكيفية مع الموقف الفعلي، فتفسر السمات على أنها الأسباب غير المباشرة أو البعيدة للسلوك.

ويتفق عدد آخر من علماء النفس على أن السمات ضرورية، ولكنها ليست كافية لتفسير السلوك الاجتماعي، فيرى "دينر" وغيره أننا في حاجة إلى ما هو أكثر من السمات لتفسير الفروق الفردية في السلوك، مع رفض فكرة أن السمات مجرد مسميات من دون أن يكون لها قوة تفسيرية (Fumham & Heaven, 1990, p.28).

الفصل الثالث

العوامل الخمسة الكبرى للشخصية

تاريخ موجز للعوامل الخمسة الكبرى:

بدأ تطور العوامل الخمسة الكبرى في الحقيقة بدراسة "ألبرت" و"أودبيرت" عام 1936، حيث حاولا تحديد الفروق الفردية الممكنة في الشخصية باستخراج كل المصطلحات المتصلة بها من معجم "وبستر" Webster غير المختصر، وقد سار "ألبرت" على الفرض المعجمي الذي حدده لأول مرة "فرانسيس جولتون"، ويرى أصحاب هذا الفرض أن أكثر الفروق الفردية أهمية سوف "ترمز" Encoded في اللغة، واستخرج "ألبرت وأودبيرت" قرابة 18000 مصطلح أو أسم من أسماء السمات، يشير 4500 منها إلى سمات ثابتة وعامة، وفي نفس الوقت تقريبا قام "ثرستون" عام 1934 بتحليل عاملي لتقديرات الأقران، مستخدما 60 صفة مشتركة، واستخرج "ثرستون" خمسة عوامل. واستخدم "كاتل" عام 1943 القائمة الوصفية للسمات التي وضعها "ألبرت وأودبيرت" كنقطة بداية لتحليلة لبناء الشخصية واستخرج 16 عاملا، ومع ذلك عندما كرر باحثون آخرون تحليلات "كاتل" استخرجوا خمسة عوامل ثابتة فقط.

أهم طرق اكتشاف العوامل الخمسة:

من بين الجوانب المهمة في نموذج العوامل الخمسة الكبرى للشخصية، أنه تم اكتشافها باستخدام عدد من الطرق المختلفة، وأدت هذه الطرق إلى ملامح مشتركة لهذه العوامل إلى حد بعيد على الرغم من اختلاف هذه الطرق، ويمكن أن نعدد خمس طرق كما يلي:

1- معاجم اللغة:

لا ريب في أن وصف الشخصية يكون عادة في قالب لغوي، من أجل ذلك قام بعض علماء نفس الشخصية بدراسات لغوية نفسية في معاجم اللغة (عن طريق المسح الدقيق والمستفيض لهذه المعاجم المتداولة) بهدف عزل أسماء السمات ثم تلخيصها أو اختزالها، وتكوين قوائم لها

تستخدم فى تقدير الشخص لنفسه، أو تقديره لغيره ممن يعرف أو يخالط. وأشهر مسح لغوى نفسى وأشمله فى هذا الصدد هو المسح الذى قام به "ألبورت وأودبيرت" وعزلا أكثر من 18000 اسم من أسماء السمات، حيث اعتمد عليه "كاتل" فى وضع استخباره ذى 16 عامل، وتجدر الإشارة إلى اختزال بعض الدراسات العاملة لهذه العوامل إلى خمسة فقط.

2- مقاييس التقدير:

يعتمد هذا المنحى فى تحديد العوامل الخمسة الكبرى فى الشخصية، على تحديد السمات عن طريق مقاييس التقدير، سواء كان تقدير الشخص لنفسه Self - rating أو تقدير القرين Peer - rating كزملاء الدراسة أو العمل أو الزوج أو الصديق، وقد نجح هذا المنحى فى اكتشاف العوامل الخمسة وتحديدها.

3- الاستخبارات:

يبدأ هذا المنحى بتطبيق عدد من استخبارات الشخصية المتاحة فعلا، ثم حساب معاملات الارتباط بين بنودها، وتحليل هذه الارتباطات المتبادلة عامليا، مثال استخدام "كوستاوماك كرى" لاستخبار "كاتل" ذى 16 عامل، وبعدي "أيزنك" الكبيرين : العصابية والانبساط، وذلك قبل أن يضع مقياس للعوامل الخمسة الكبرى.

4- ملاحظة السلوك الفعلى:

تعتمد هذه الطريقة فى اكتشاف العوامل الخمسة الكبرى والبحث فيها، على تحديد السمات عن طريق تقدير الملاحظين للسلوك الفعلى، وذلك بجمع تقديرات هؤلاء الملاحظين، مثل تقدير المعلمين لتلاميذهم وتقدير المشرفين للعمال وتقدير التلاميذ لزملائهم أو تقدير المعالجين لمرضاهم أو تقدير الخبراء لزملائهم فى المهنة.

5- الوصف الذاتى الحر للشخصية:

يتلخص هذا المنهج فى أن يطلب من عينة من المبحوثين كالطلاب أو العمال، أن يصف كل واحد منهم شخصية، سواء أكانت هذه الصفات مرغوبة أو غير مرغوبة، ثم تجمع هذه الصفات وتتسق، ويحذف المكرر منها، وتطبق على مجموعة جديدة من الأفراد باعتبارها

قائمة للوصف الذاتى، ثم تحلل معاملات الارتباط عامليا، وقد نجح بعض الباحثين فى استخراج العوامل الخمسة الكبرى بهذه الطريقة.

العوامل الخمسة الكبرى لدى "كوستا وماك كرى" :

لقد تحقق الاتفاق حديثا على نموذج العوامل الخمسة للشخصية، ويسمىها الباحثون "الخمسة الكبار" ومع ذلك فقد يكون من المناسب أكثر أن نتحدث عن "خمسات كبار" لأنه لا توجد مجموعة واحدة من الأبعاد المتطابقة اتفق عليها كل الباحثين.

ونعرض فيما يلى نموذج البعاد الخمسة الذى قدمه "كوستا، وماك كرى" على أساس العدد الكبير من البحوث العملية Empirical التى أجراها هذان المؤلفان وغيرهما، فى محاولة لإقامة تكامل عواملهم الخمسة مع مخططات أخرى كثيرة للشخصية، كما أن النموذج الذى قدماه يعد أساسا لمقياسهما ذائع الاستخدان، وهو القائمة المعدلة للشخصية لقياس العصابية والانبساط والتفتح للخبرة (NEO-PI-R) NEO Personality Inventory-Revised (R)، وقد وضعت هذه القائمة اعتمادا على استخبارات سابقة، ثم طورت وزيد عدد عواملها حتى خمسة (Matthews et al., 2003,p.23). وتشمل هذه القائمة على 240 سؤال، 48 لكل بعد من الأبعاد الخمسة، يجاب عن كل منها على أساس خمسة بدائل، من "موافق جدا" إلى "معارض جدا" وكل بعد مكون من 6 واجهات أو جوانب فرعية (سمات من مستوى أدنى) يقاس كل منها بثمانية اسئلة، وتوجد صيغة مختصرة تضم 60 عبارة (5 مقاييس × 12 بند) وهى كالتالى:

السمات الفرعية المرتبطة بالعوامل الخمسة من وضع "كوستا، وماك كرى"

العصابية Neuroticism (N)	قلق، عدائية، غضب، اكتئاب، حساسية، اندفاع، تعرض للانجرار (التأثر الشديد).
الانبساط Extraversion (E)	دفع وحماسة، حب التجمع، توكيد الذات، النشاط، البحث عن الإثارة، انفعالات إيجابية.
التفتح للخبرة Openness (O)	خيال جامع، حب الجمال والفن، المشاعر، الأفعال، الأفكار، القيم.
القبول Agreeableness (A)	الثقة، استقامة ووضوح، إثار (حب الغير)، مطاوعة ولين العريكة (لين المعاملة)، تواضع وبساطة، حنان ورقة.
الإلتقان Conscientiousness (C)	كفاءة وجدارة، نظام وترتيب، شعور بالواجب، نضال من أجل الإنجاز، الإنضباط الذاتى، التروى والتأنى.

ونعرض فيما يلى توصيف لهذه العوامل الخمسة:

أولاً: العصابية (N) Neuroticism

تتجمع فى هذا العامل العام مقاييس القلق والاكتئاب والانفعالية والعصبية وتقلب المزاج والعدائية والقابلية للإضطراب والتنبه للذات وتوهم المرض، ويوصف هذا العامل عامة بأنه متصل يقابل بين عدم الاستقرار الانفعالى والاستقرار الانفعالى، ويرتبط هذا البعد العام للشخصية بالفروق الفردية بين الناس فى خبراتهم المتصلة بالانفعالات السلبية مثل الحزن والغضب والخوف والقلق والذنب وما يشابهها، وإن الأشخاص الذين يحصلون على درجة مرتفعة فى هذه السمة العامة، لديهم كى يصبحوا فى حالة ضيق واضطراب فى كثير من مجالات حياتهم، إنهم قلقون وعصبيون ولا يشعرون بالأمان، بطريقة مزمنة، ويحملون فكرة منخفضة عن ذواتهم.

ومن ناحية أخرى فإن من يحصل على درجة منخفضة فى عامل العصابية يتصف بالهدوء والاسترخاء والتحمل والشعور بالأمان والرضا عن النفس، كما أنه غير انفعالى. وقد اتضح أن العصابية ذات ثبات واستقرار مرتفعين خلال عمر الإنسان الراشد، وأن التغيير فى مواقع الأفراد فى هذا العامل قليل جدا عبر خمسين عاما كما ظهر فى إحدى الدراسات، وهناك ميل إلى انخفاض بسيط فى درجة العصابية لدى الراشدين كبار السن بالمقارنة إلى صغارهم.

واظهرت دراسات متعددة (McAdams, 1994, pp. 274-279) أن أصحاب الدرجة المرتفعة فى عامل العصابية يقررون وجود مستويات مرتفعة من المشاعر السيئة لديهم، فى حين يقرر أصحاب الدرجة المنخفضة فى عامل العصابية وجود مستويات منخفضة من المشاعر السيئة لديهم، وظهر ايضا أن العصابية المرتفعة ترتبط بالشكاوى من سوء الصحة، ويتقير وجود عدد أكبر من الأمراض، ويميل أصحاب الدرجة المرتفعة من العصابية إلى النظر إلى مشكلات منتصف العمر على أنها (أزمة)، وفى دراسة طويلة استمرت خمسين سنة أجريت على 300 من المتزوجين، اتضح أن درجات العصابية لدى كل من الزوجين، اتضح أن درجات العصابية لدى كل من الزوجين منبىء أساسى للطلاق (المرجع نفسه).

وأصحاب الدرجة المرتفعة فى عامل العصابية بالمقارنة إلى المنخفضين، يشعرون بمزيد من الكرب والضيق Distress فى حياتهم اليومية، ويقررون وجود عدد أكبر من الضغوط اليومية، ويبدو إن الدرجة المرتفعة من العصابية تعرض أصحابها لعدد أكبر من الإحداث اليومية الضاغطة، لاسيما ما يتصل منها بالخلافات أو النزاعات مع الآخرين.

وأما المصدر الثانى للضغوط لدى ذوى الدرجة المرتفعة من العصابية فهو (رد فعلهم للأحداث الضاغطة) فتصدر عنهم ردود أفعال انفعالية سلبية وعنيفة، وكان للاستجابة للأحداث الضاغطة ضعف الأهمية (أى مرتين أكثر) من التعرض للأحداث الضاغطة وحدها، وقد نتج رد الفعل تجاه الأحداث الضاغطة لدى أصحاب الدرجة المرتفعة من العصابية عن اتخاذهم استراتيجيات مواجهة غير فعالة مثل لوم الذات، والتفكير الارتغابى Wishful thinking ، وعدم اتباعهم إستراتيجيات فعالة، من مثل اتخاذ خطوات بناءة للتعامل مع المواقف الضاغطة، ولكنهم اعتمدوا على إستراتيجيات لا تنفس عن القلق والإكتئاب والعدائية، ولا تفرغ شحنتها فى مواجهة العقبات اليومية.

والمصدر الثالث والأخير للكرب والضيق لدى ذوى الدرجة المرتفعة من العصابية لا يرتبط بالتعرض الزائد للأحداث الضاغطة، ولا بالاستجابة السلبية المبالغ فيها لمثل هذه الضغوط عندما تحدث، بل يرجع إلى سلبية عامة تجاه الحياة لديهم، وحتى عندما لا تحدث الأشياء السيئة فإن العصابية تجلب معها المشاعر السيئة. مما سبق نتأكد أن العصابية ترتبط بسلوك غير مناسب وأخرق فى عدد من المواقف الاجتماعية المختلفة، حيث ظهر فى إحدى التجارب المعملية أنهم يواجهون صعوبة فى تعديل سلوكهم الاجتماعى ليتواءم مع متطلبات الموقف، ويبدو أن ذوى الدرجة المرتفعة فى العصابية غافلون عن مواجهة المواقف الاجتماعية بما يناسبها، وقد يرجع ذلك إلى زيادة انشغالهم بذواتهم بحيث لا يلاحظون ما يقوله الموقف الاجتماعى لهم (McAdams, 1994, pp. 274-279).

وهنا نوضح نماذج من العبارات التى تقيس العصابية:

- 1- أنا شخص قلق.
- 2- أشعر أننى أقل من الآخرين.
- 3- أشعر بالوحدة أو الكآبة.
- 4- أشعر بالتوتر والنفرة.
- 5- أنا حزين ومكتئب.

ثانياً: الانبساط (E) Extraversion

يجمع ذوى الدرجة العليا فى عامل الانبساط بين الصفات الاجتماعية والنزعة إلى التجمع مع الآخرين، وحب اللعب (لعوب) والهزل، والقدرة على التعبير، والتلقائية، والتوكيدية، والسيطرة، والطموح، وحب الدعابة، والمزاح، والتفاؤل والانطلاق، والحيوية، والطاقة، والحماسة، ولهذا العامل قطب مقابل هو الانطواء، ويتسم أصحاب الدرجة العليا من الانطواء (والدنيا من الانبساط) بصفات منها الانسحاب والهدوء والخجل والكف والتحفظ وعدم الرغبة فى التجمع مع الآخرين والسلبية والتشاؤم.

فيما يلي بعض العبارات من مقياس الانبساط:

- 1- أحب أن يكون حولي عدد كبير من الناس.
- 2- أضحك بسهولة.
- 3- أعتبر نفسي شخصا فرحا.
- 4- أستمتع حقا بالتحدث مع الناس.
- 5- أنا متفائل مبهج.

ولقد قام "أيزنك" وزملاؤه عبر سنين طويلة بربط الدرجات على مقياس الانبساط بعدد كبير من الجوانب المتصلة بالسلوك الاجتماعي، وأمدت نتائج هذه الدراسات بدلائل قوية على الصدق البنائي لبعد الانبساط، فقد ظهر على سبيل المثال أن المنبسطين يتكلمون أكثر وأسرع من المنطويين عندما يقابلون شخصا ما، ويندمج المنبسطون ويشاركون في التواصل بالعين عندما يتفاعلون ويتحدثون مع شخص آخر، وتجذبهم المهن التي تتعامل بشكل مباشر مع الآخرين وينجحون في هذه المهن، مثل مهن البيع والوظائف في مجال التمريض والتدريس والأعمال (المرجع نفسه).

ومن ناحية أخرى فإن المنطويين يميلون إلى تفضيل المجالات المنفردة والمنعزلة، ويشتركون في كثير من ميولهم مع الفنانين والعلماء الباحثين وعلماء الرياضيات والمهندسين، ويميل المنبسطون إلى أن يكونوا أكثر اندفاعا واعتيادا على ركوب المخاطر من المنطويين، ويقوم المنبسطون بالمقاومة والمراهنة بدرجة أكبر، ويميلون كذلك إلى أن يكونوا أكثر نشاطا من الناحية الجنسية بالمقارنة إلى المنطويين، والمنبسطون أكثر تساهلا وإباحية في اتجاهتهم الجنسية، ويعترفون أن لديهم مستويات مرتفعة من دافع الجنس، كما أنهم أقل قابلية للعصبية والكف في العلاقات الجنسية، وذلك بالمقارنة بالمنطويين (المرجع نفسه).

الانبساط والمشاعر الإيجابية:

يشير عدد كبير من البحوث إلى أن الانبساط يرتبط ارتباطا إيجابيا بتقارير المشاعر الإيجابية والشعور بأن كل شيء على ما يرام في الحياة، يقرر المنبسطون مستويات مرتفعة من الوجدان الإيجابي Positive sffect في أمور الحياة اليومية مقارنة بالمنطوين، وقد تكررت هذه الدراسات كثيرا ووصلت لنفس النتائج، حتى اقترح بعض علماء النفس أن تكون التسمية الأفضل لعامل الانبساط هي (الانفعالية الإيجابية) Positive emotionality أو الوجدان الإيجابي (المرجع نفسه).

وقد افترض "أيزنك" أن عامل الانبساط يتكون على الأقل من مكونين مترابطين معا وهما الاجتماعية والاندفاعية، واختبر "إيمونز، ودينر" علاقة هذين المكونين بالسعادة، وكشفت دراستهما أن السعادة ترتبط بدرجة أعلى بالاجتماعية، في حين أن السعادة لم ترتبط مطلقا بالاندفاعية، ونلاحظ أن مكون الاجتماعية في عامل الانبساط يشمل الصداقة والمرح والود والانفتاح على الناس، ومن ناحية أخرى فإن مكون الاندفاعية (الذي لم يرتبط مطلقا بالسعادة) يتكون من البحث عن الإثارة وركوب المخاطر والبحث عن التنبيه الاجتماعي في الحشد أو التجمع الكبير من الناس.

ومن بين أسباب تقرير المنبسطين لمزيد من المشاعر الإيجابية بالنسبة للمنطوين، أن المنبسطين أقل استجابة للعقاب، وأن المنطوين يركزون على الجوانب السلبية والعقابية لمواقف اجتماعية معينة، ويسترجعون قدرا أقل من المعلومات الإيجابية، ويضعون تقديرا للآخرين على أنهم أقل إيجابية في المواقف الاجتماعية، ويقررون أن عدم الاتفاق أو الخلاف في العلاقات الاجتماعية أمر كرهه ومنفر، ويتوقعون وجود خلافات أكثر وعدم اتفاق بينهم والآخرين أكثر مما يفعل المنبسطون، ويميل المنبسطون أكثر من المنطوين إلى الاستمرار في الاستجابة في مواجهة العقاب والإحباط في تجربة معملية (المرجع نفسه).

التنبه: Arousal

يرتفع انتاج المنبسطين عند ارتفاع مستوى الضوضاء، في حين أن المنطون ينتجون أفضل في المستويات المنخفضة من الضوضاء، وعند ما يتعرض انسان ما لأضواء مبهرة فإن الاستجابة الطبيعية غير المتعلمة هي الانقباض التلقائى لإنسان العين ليتجنب الزيادة الفجائية في التنبه (الضوء)، ولو حظ أن معدل انقباض إنسان العين يرتبط بعامل الانبساط، فعندما يقع ضوء مبهر على عين المنطوى فإن انقباض إنسان العين لديه يكون أسرع من المنطوعندما يتعرض للظلام، وهكذا فإن المنطوى يكشف عن تجنب المستويات العليا من التنبه، في حين أن المنبسط يظهر نوعا من (الجوع للمنبه) Stimulus hunger (رغبة ملحة في حالة التنبه).

ويقاس الجوع لزيادة مستويات التنبه بمقياس "زوكرمان"، البحث عن الإثارة، ويعرف هذا المفهوم بأنه الحاجة إلى الإحساسات والخبرات المتنوعة الجديدة والمركبة، والاستعداد لركوب المخاطر الجسمية والاجتماعية من أجل هذه الخبرات، ويرتبط البحث عن الإثارة ارتباطا إيجابيا بعامل الانبساط.

نموذج لمقياس البحث عن الإثارة من وضع "زوكرمان" ويتكون كل بند من بدلين، يتعين على المبحوث اختيار البديل الذى يصف ميوله أو مشاعره

- (1) أ- لا أصبر على الأشخاص الأغبياء أو المملين.
ب- أحيانا أجد شيئا ما ممتعا في كل شخص أتحدث إليه تقريبا.
- (2) أ- الرسم الجميل يجب أن يصدم الحواس ويرجها.
ب- الرسم الجميل يجب أن يمنحنا شعورا بالسلام والأمان.
- (3) أ- الأشخاص الذين يركبون (الموتوسيكلات) لابد أن لديهم نوعا من الحاجة اللاشعورية إلى إيذاء أنفسهم.
ب- أحب أن أقود (موتوسيكل) أو أركبه.
- (4) أ- أفضل أن أعيش في مجتمع مثالى يكون فيه كل فرد آمنا وسعيدا.
ب- أفضل لو كنت أعيش في الأيام غير المستقرة في التاريخ.
- (5) أ- أحب أحيانا أن أقوم بفعل أشياء تعد مخيفة إلى حد ما.

- ب- الشخص الحساس يتجنب الأنشطة الخطرة.
- (6) أ- لا أحب أن أكون تحت تأثير التنويم الصناعى.
ب- أحب أن أكون تحت تأثير التنويم الصناعى.
- (7) أ- أكثر أهداف الحياة أهمية هو العيش (بالطول والعرض) وأن يجرب الإنسان كل ما يمكنه.
ب- أكثر الأهداف أهمية فى الحياة هو أن نجد السلام والسعادة.
- (8) أ- أحب أن أجرب القفز بالمظلات.
ب- لا أحب أبدا أن أجرب القفز من الطائرة، سواء أكان ذلك عن طريق (باراشوت) أم بدونه.
- (9) أ- أدخل فى الماء البارد بالتدريج وأعطى لنفسى الوقت للتعود عليه.
ب- أحب أن أغطس أو أقفز مباشرة فى البحر أو حمام السباحة البارد.
- (أحمد عبد الخالق، 1994، ب، ص 69)

وتشير دراسات طولية كثيرة كتلك التى أجراها "كوستا، وماك كرى" إلى ثبات ملحوظ لعامل الانبساط عبر الزمن، على الأقل بالنسبة لسن الرشد، فقد أجريت إحدى الدراسات الطولية على بضع مئات من المبحوثين عبر فترة زمنية قوامها 50 سنة، ويبدو أن هناك انخفاضا طفيفا فى عامل الانبساط عبر الزمن فى اتجاه انطواء أعلى فى العمر المتقدم، ولكن الفرق كان صغيرا جدا (McAdams, 1994, pp. 265-274).

ثالثا: التفتح للخبرة (O) Openness to experience

توصلت البحوث التحليلية العاملية المبكرة للسّمات فى اللغة الإنجليزية إلى تحديد بعد من الأبعاد الأساسية للشخصية على أنه (الثقافة) Culture، وكان هذا العامل يشير إلى مجموعة من السّمات الصغرى التى تتصل بكون الشخص مولعا بالتأمل والتفكير، وتخيلىا، وفنانا، وراقيا، ويبدو أن هذا العامل أكثر من العوامل الأربعة الكبرى، ويتضمن بعدا عقليا، وتشير الدرجات العليا فى هذا العامل إلى الصقل العقلى الممتاز، ورحابة الأفق، والاستبصار، فى حين تشير الدرجات المنخفضة لهذا العامل إلى ضيق الأفق، وعدم القدرة على التخيل، وعدم النضج، وعدم الثقافة.

وقام "ماك كرى، وكوستا" فى وقت أحدث، بإعادة فهم هذا العامل على أنه (التفتح للخبرة)، ويصف أصحاب الدرجات المرتفعة فى هذا العامل بوساطة انفسهم وغيرهم ممن يعرفونهم جيدا بأنهم يتسمون -بوجه خاص- بالأصالة، والتخيل والإبداع وحب الإستطلاع والجسارة أو الجرأة والاستقلال والتحليلية وعدم التقليدية، والفن والتحرر والاهتمامات الواسعة.

نماذج لبنود عامل التفتح للخبرة

- 1- تأسرنى الأشكال الفنية التى أجدها فى الفن والطبيعة.
- 2- للشعر تأثير كبير علىّ.
- 3- أهتم بالتأمل فى طبيعة الكون والأحوال الإنسانية.
- 4- لدى قدر كبير من حب الإستطلاع الفكرى.
- 5- عندما أقرأ شعرا أو انظر إلى قطعة من الفن أشعر بقشعريرة ونوبة من الإستثارة.

ويعتقد أن أصحاب الدرجة العليا فى التفتح للخبرة، لديهم ميول عقلية وجمالية واسعة، ولا يعنى ذلك أن هؤلاء الناس لهم نكاه مرتفع بالضرورة، ويرى "ماك كرى، وكوستا" أن الذكاء والتفتح للخبرة مفاهيم مختلفة جدا، ويبدو أن من يحصلون على درجة مرتفعة فى عامل التفتح للخبرة يرحبون بالتحدى والتغيير، كتغيير المهنة مثلا بعد فترة زمنية معينة (المرجع نفسه).

ويوجد داخل المجال العام لعامل التفتح للخبرة سمة شائقة سميت الانهماك أو الاستغراق Absorption ، وترتبط هذه السمة بحياة تخيلية عميقة وحيوية ونشطة، ومن الممكن أن يصبح الأشخاص الذين يحصلون على درجة مرتفعة فى الانهماك مستغرقون فى خبراتهم التخيلية، بحيث يفقدون تماما مسار الزمان والمكان والهوية، كما كشفت البحوث عن أن الانهماك يرتبط ارتباطا إيجابيا بتقارير عن ظواهر ماوراء النفس.

واظهرت دراسة تحليلية عاملية أن الانهماك أو الاستغراق يرتبط ارتباطا وثيقا بجوانب معينة في عالم التفتح للخبرة تتضمن، الحساسية الجمالية، والإدراكات والترابطات غير العادية، والخيال والأحلام، والنظرة غير الاصطلاحية للواقع، والوعي بالمشاعر الداخلية، وعلى العكس من ذلك يبدو أن الانهماك لا يرتبط بجوانب معينة في عامل التفتح للخبرة، مثل الاستطلاع العقلي، والتفتح للأفكار غير العادية، والحاجة إلى التنوع عند القيام بفعل معين، والقيم التحررية (McAdams,1994,pp.284-288).

رابعا: القبول (A) Agreeableness

يشمل هذا العامل الجوانب التعبيرية في الحب، والتعاطف والصدقة، والتعاون وما شابهها، ويضم هذا العامل مفاهيم مثل الإيثار، والوجدان، وكثير من الجوانب الإنسانية الرائعة للشخصية الإنسانية، والأشخاص الذين يحصلون على درجة مرتفعة في هذا العامل أو المتصل يتصفون بالدفء في علاقاتهم الشخصية، والتعاون والتكيف ومساعدة الآخرين والصبر والود والتعاطف والشفقة والتفهم والكياسة، والدمائة والطبيعية والإخلاص، إنهم أكثر من أناس يتسمون باللطف، كما وصفوا كذلك بصفات مثل، الأمانة والخلق القويم، وعدم الأنانية، وحب السلم والإنسانية والالتزام تجاه الأصدقاء والأسرة، والجوانب الاجتماعية الخيرة (المرجع نفسه).

وعلى الطرف النقيض يتصف أصحاب الدرجة المنخفضة على بعد القبول، بأسوأ السمات في معجم العوامل الخمسة الكبرى بأسره، إنهم خصيمون، وعدائيون ومحاربون وخشنون، وغير متعاطفين ومخادعون وماكرون، وهازئون، وغير مهذبين وغير ناضجين، وقاسون، ولا يوثق بهم، وحقودون ولا يكثرثون بمشاعر الآخرين، ويدخلون في معارك، ويؤذون الآخرين، (McAdams,1994,p.289f).

نماذج لبنود عامل القبول

- 1- أحاول أن أكون لطيفا مع كل شخص ألتقى به.
- 2- أفضل التعاون مع الآخرين على التنافس معهم.
- 3- يحبني معظم الناس الذين أعرفهم.
- 4- أحاول بصورة عامة أن أكون حذرا ومراعيا لمشاعر الآخرين.
- 5- لا أدخل في نقاش حاد مع أفراد أسرتي وزملائي في العمل.

خامسا: الإتيقان (C) Conscientiousness

يشمل هذا العامل جوانب متعددة من الأوصاف المتصلة بنزوع الشخص واستعداداته في مجال العمل، والإنجاز، وتحقيق النجاحات...، وغير ذلك، وفي الدرجة العليا لهذا العامل يوصف الشخص بأنه جيد التنظيم وكفاء ويعتمد عليه، ويتقدم مثل هذا الشخص إلى إنجاز المهام بطريقة منظمة ومرتبطة، ويحلل المشكلات بطريقة منطقية، ويكون لديه إجابات موجزة للأسئلة، وينفذ العمل تبعا لمستويات دقيقة في كل من العمل واللعب (المرجع نفسه).

ويمكنك أن تعتمد على مثل هؤلاء الناس الذين يتسمون بالإتيقان والتفاني، فإن لهم تنظيم ذاتي جيد، وموجهون نحو الواجب، ويعتمد عليهم، ويتصفون بالمسؤولية لدى تعاملهم مع الآخرين، إنهم نادرا ما يتأخرون عن المواعيد، ولا يتأخرون عن الفصل الدراسي، ويخططون لحياتهم بعناية على هدى مبادئ وأهداف، وقد يظهرون الحرص الزائد في بعض الأحيان، ولكنهم مع ذلك قادرين على اتخاذ قرارات صعبة ويلتزمون بها عندما تسوء الأمور، إنهم مثابرون وثابتون ويمكن التنبؤ بسلوكهم، ومتمسكون بالعرف وقواعد السلوك المرعية ومقتصدون (المرجع نفسه).

وفى الطرف الآخر يتسم ذوو الدرجة المنخفضة فى هذا العامل بأنهم يميلون إلى عدم التنظيم، واتباع المصادفة، وعدم الفاعلية واللامبالاة، والتهاون، كما أنهم لا يعتمد عليهم، ومن الصعب أن نتنبأ بما سيقومون به من موقف إلى آخر، ولذا فإنهم شاردون، وغير متسقين فى سلوكهم، وينقص حياتهم الخطط والأهداف. ويضاف لأصحاب الدرجة المنخفضة، الكسل والبطء وعدم الحسم ووهن العزيمة، والتهور والإفراط، وأنهم غير عمليين، ويتسمون بعدم احترام المستويات الدقيقة فى كل من العمل والأخلاقيات (المرجع نفسه).

ويقوم عامل (الإتقان) بدور مهم فى التحصيل الدراسى، حيث أعاد بعض الباحثين تسميته ليصبح " إرادة الإنجاز " Will to achieve وتؤكد دراسات عديدة هذه العلاقة.

نماذج لبنود تقيس عامل الإتقان

- 1- أنا بارع فى أن أدفع نفسى لإنجاز الأشياء فى وقتها المحدد.
- 2- أحاول إنجاز الأعمال المسندة إلي بتقان.
- 3- أعمل باجتهاد فى سبيل تحقيق أهدافى.
- 4- أنا شخص منظم.
- 5- أكافح من أجل التميز فى كل شىء.

أسباب أهمية العوامل الخمسة:

بدأ نموذج العوامل الخمسة بشكل جدى قرابة الستينات من القرن الماضى، وتسارعت وتيرة البحوث عليه فى الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى (Friedman & Schustack, 1999, p.260)، ويذكر "كوستا، وماك كرى" كما ورد فى (Matthews et al., 2003, pp. 28-30) أن نموذج العوامل الخمسة ضرورى وكاف معا لوصف الأبعاد الأساسية للشخصية، إن هذا النموذج يمدنا بإطار موحد للعمل فى بحوث السمات، لإظهار النتائج الخاصة بثبات الشخصية واستقرارها، والقابلية للوراثة، والصدق المتفق عليه، وعدم التغير عبر الثقافات، فضلا عن الاستخدام التنبؤى لهذه العوامل، كما يشير آخرون أن نموذج "الخمس الكبار" أكتسب مكانة النموذج المرجعى، حيث تستول مفاهيم العوامل الخمسة الأساسية على جانب كبير من موضوع علم نفس الشخصية.

ومن أهم أسباب أهمية نموذج العوامل الخمسة الكبار، أن هذا الحل الخماسى تم التوصل إليه عن طريق عدد من المصادر المختلفة، وأمكن اكتشاف هذه العوامل من أنواع مختلفة من البيانات، والمصدر الأول هو المدخل المعجمى Lexical، الذى هدف إلى التوصل إلى تجمعات لأوصاف الشخصية التى توجد فى اللغة الطبيعية.

والمصدر الثانى للبيانات التى تؤكد نموذج العوامل الخمسة لسمات الشخصية يأتى من مقارنة أكثر من اختبار أو نموذج للشخصية فى عينة المبحوثين نفسها، وقد وضحت التحليلات العملية المشتركة لاختبارين أو أكثر الخلط الذى ينبع عن العدد الكبير جدا من اختبارات الشخصية المتاحة، وحقق هذا المدخل بعض النجاح، فظهر أن نموذج العوامل الخمسة يستحوذ تماما على التباين الذى تشترك فيه اختبارات للشخصية تعتمد على نظريات مختلفة (المرجع السابق).

وبين "كوستا، وماك كرى" التقابل الواضح بين نموذج العوامل الخمسة والعوامل المستخرجة من اختبارات سابقة مثل مسح "جيفورد، وزيرمان" للمزاج، وقائمة مينيسوتا متعددة الأوجه للشخصية، وقائمة كاليفورنيا المعدلة للشخصية وغيرها، كما تعد هذه العوامل الخمسة متطابقة مع العوامل المستخرجة من نماذج الشخصية لدى كل من "كاتل، وكومرى، وأيزنك، وويجنز، وموراى" فضلا عن قائمة "ماير - برديج" المعتمدة على نظرية "يونج" واختبار الشخصية المهنية، كما أمكن استخراج نموذج العوامل الخمسة فى ثقافات مختلفة.

وفى دراسة على عينة ضخمة شملت أكثر من 17000 مبحوث طبق عليهم اختبار "كاتل" ذى الستة عشر عاملا، أمكن استخراج خمسة عوامل من الرتبة الثانية، وتسمح الصيغة الأخيرة من هذا الاختبار-بشكل صريح- أن يصحح على أساس خمسة عوامل ثانوية، ولكن التطابق بين هذه العوامل والعوامل الخمسة الكبرى ليس تاما.

تطبيقات العوامل الخمسة الكبرى:

يؤكد "ماك كرى، وكوستا" أن العوامل الخمسة -كما تقاس باختبارهما- ضرورية وكافية معا لوصف الأبعاد الأساسية للشخصية، وفى الحقيقة فإنهما يذهبان إلى أبعد من ذلك، إذ يقولان (لا توجد نظرية أخرى كاملة، وتكون فى نفس الوقت موجزة مثل العوامل الخمسة كما تقاس بمقياسهما، وتوجد تطبيقات محتملة عدة لهذا النموذج للشخصية والاضطرابات النفسي، واتخاذ القرارات بالنسبة للعلاج النفسى (Pervin & John, 1997,pp.271).
ونعرض لأهمها فيما يلى:

الميول المهنية:

يرى علماء النفس المهتمون بمجال السلوك المهني أن الشخصية ترتبط بأنواع المهن التي يختارها الناس وبكيفية قيامهم بوظائفهم فى هذه المهن، والفكرة الثبينة هنا أن الناس الذين يحوزون خصالا معينة سوف يختارون مهنا معينة، ويكون أدائهم فيها أفضل من مهن غيرها، وتطبيقا لنموذج العوامل الخمسة فإن الأشخاص الذين يحصلون على درجات مرتفعة فى الانبساط يجب أن يفضلوا المهن الاجتماعية والمهن التي تتسم بالمغامرة والإقدام، ويبدعون فيها، بالمقارنة إلى الأفراد الذين يحصلون على درجة مرتفعة فى الإنطواء.

مثالا آخر، إن الأشخاص الذين يحصلون على درجة مرتفعة فى عامل التفتح للخبرة يجب أن يفضلوا المهن الفنية وتلك التي تتطلب الإستقصاء، ويكون أدائهم فيها جيدا، مثال الصحفي والكاتب الحر غير المرتبط بعمل محدد، أكثر من الأفراد الذين يحصلون على درجة منخفضة فى هذه السمة، حيث تتطلب المهن الفنية والتي تحتاج إلى الاستقصاء والبحث مثل حب الاستطلاع، والإبداعية والتفكير المستقل.

الصحة وطول العمر:

تعود فكرة العلاقة بين الشخصية والصحة إلى قدامى اليونان على الأقل، حيث أعتقدوا بوجود علاقة بين المرض والمزاج، وقد أشارت البحوث التي قام بها "فرايدمان" وزملاؤه عام 1995 إلى أن هناك بعض الحقيقة في هذا الاعتقاد، فبينت دراسة طويلة استغرقت وقتا طويلا أهمية عامل الإلتقان في التنبؤ بطول العمر، فقد تتبعت عدة أجيال من الباحثين عينة كبيرة من الأطفال لمدة سبعين عاما، فظهر أن الراشدين الذين كانت لهم درجة مرتفعة في الإلتقان عندما كانوا أطفالا (تبعاً لتقديرات الآباء والمدرسين لهم وهم في سن 11 سنة) عاشوا عمرا أطول بمستوى دال.

كما اتضح أن الأفراد الذين يحصلون على درجة مرتفعة في عامل الإلتقان يقل احتمال موتهم نتيجة حوادث عنيفة، ويقل احتمال قيامهم بالتدخين والإسراف في شرب الخمر، كما أنهم يمارسون التمرينات الرياضية بانتظام، ويتناولون وجبات متوازنة، ويتبعون أنظمة صحية أفضل، ويتجنبون سموم البيئة، ولم يجد "فرايدمان" وزملاؤه في هذه الدراسة علاقة بين طول العمر وكل من حياة الكسل والدعة، وإطلاق العنان للأهواء والرغبات والحياة المدللة (المرجع السابق).

تشخيص اضطرابات الشخصية:

بين عدد من الباحثين في العوامل الخمسة الكبرى أن كثيرا من أشكال السلوك الغير سوى يمكن أن تعد نسخا أو صورا مبالغاً فيها من سمات الشخصية السوية، أى أن كثيرا من أشكال الاضطرابات النفسية تقع على متصل (يشبه الخط المستقيم) مع الشخصية السوية، أكثر من كون هذه الاضطرابات تمثل ابتعادا واضحا عن السواء، يعنى ذلك أن الفرق بين السوى واللاسوى فرق في الدرجة عل الأبعاد، وليس فرقا في نوع هذه الأبعاد، فمن الممكن مثلا أن ينظر إلى الشخصية القهرية على أنها درجة مرتفعة بشكل متطرف على عامل الإلتقان، والشخصية المضادة للمجتمع على أنها درجة منخفضة جدا في عامل القبول.

العلاج:

من الممكن أن يكون نموذج العوامل الخمسة مفيدا في اختيار أفضل أشكال العلاج لكل حالة، ويمكن كذلك أن تساعد هذه العوامل في الإرشاد الزواجى (Pervin & John, 1997, pp.271-273).

نقد العوامل الخمسة الكبرى:

ركز النقد المعتمد على القياس النفسى للعوامل الخمسة الكبرى على خمس نقاط كما يلي:

- 1- العوامل الخمسة الكبرى التى استخرجها مختلف الباحثين ليست متكافئة بالضرورة.
- 2- قد تكون العوامل الخمسة العريضة غير كافية.
- 3- قد تكون العوامل الخمسة كثيرة جدا.
- 4- معاملات الارتباط بين العوامل الخمسة المستخرجة من الاستخبارات ومن السمات المعتمدة على المدخل المعجمى معاملات موجبة وجوهرية، ولكنها أقل ارتفاعا مما يجب أن تكون عليه بين الصور المتكافئة للاختبار الواحد.
- 5- اختلاف تسميات بعض العوامل الخمسة تبعا لمختلف الدراسات واللغات (Matthews et al., 2003, p.32).

ويرى "أيزنك" أن عاملى القبول والإتقان سمات على المستوى الثالث من بعد الذهانية، كما رأى أن العامل الخامس من العوامل الخمسة الكبار والمسمى التفتح للخبرة أو الثقافة بعد معرفى لا يناسب البعاد المزاجية الثلاثة التى وضعها فى المجال الخاص بالمزاج، أى المجال غير المعرفى، إذ يرى "أيزنك" أن الذكاء خاصية مستقلة تخص الفروق الفردية فى المجال المعرفى (Hall et al., 1998, p. 362).

ويذكر "فورنهام، وهفين" فى تعقيبهما على عوامل "أيزنك" أن هناك اتفاقا كاملا إلى حد بعيد على وجود عاملين أساسيين غير مرتبطين، هما الانبساطية والعصابية، ولكن الجدل يدور حول: ما بقية العوامل؟ وبماذا يجب أن نسميها؟ ويبدو أن الأدلة حول العوامل الخمسة تتزايد من عدة مصادر: من الدراسات الطولية عبر الزمن، ومن مختلف العينات، ومن دراسات فى مختلف اللغات.

ومع ذلك يظل هناك عدم الاتفاق على هذه العوامل الخمسة، وهل هى كثيرة جدا أم قليلة جد، وهل الذكاء أو تقويم الفرد لقدراته أو الثقافة، (وهو أحد العوامل الخمسة) جزء من الشخصية؟ ويظل هذا سؤالاً مفتوحاً، وينطبق ذلك على عامل "التفتح للخبرة".

ويضيف بدر الأنصارى (1999، ص ص 107-109) أن نموذج العوامل الخمسة الكبرى يتم نقده من حيث عدم قابلية هذه العوامل للتكرار فى بعض الثقافات مثل روسيا وأيسلندا والفلبين، مما يشكك فى عمومية هذا النظام لوصف الشخصية، ويعد كل من " أيزنك، وكاتل" من أكبر المعارضين للعوامل الخمسة الكبرى، حيث يصر "كاتل" على وجود عدد أكبر بكثير من العوامل الخمسة الكبيرة، فى حين يؤكد "أيزنك" أن العوامل الخمسة كثيرة، ويمكن تقليصها إلى نموذجه الثلاثى، ويذكر "أيزنك" أن العاملين: القبول والإلتقان من العوامل الخمسة الكبرى يندرجان تحت عامل الذهانية، فقد اتضح أن عامل الذهانية مزيج من عامل القبول المنخفض وعامل الإلتقان فى درجة المنخفضة، فإن الأشخاص الذين يحصلون على درجة مرتفعة فى الذهانية مثل المجرمين يتصفون بسوء الطبع وعدم المسؤولية.

ويذكر "ماثيوز" وزملاؤه أن المفاضلة تكون بين العوامل من المستوى الأرقى: الثلاثة "أيزنك" أو الخمسة الكبرى، أما عوامل "كاتل" الستة عشر فلا تدخل فى المفاضلة أو المقارنة لأنها تمثل سمات أولية يرتبط بعضها ببعض، ويمكن أن تخفض إلى عدد أقل من الأبعاد المتعامدة ذات المستوى الأرقى، كما أن مفاهيم السمات المحدودة (الضيقة) مثل نمط الشخصية (أ) لم يدع أصحابها أنها تغطى مجالات الفروق الفردية بين الناس، ولم يحاولوا أن يقدموا مفهوماً شاملاً للشخصية، كما أن هذه السمات المحدودة أو الضيقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً غالباً بأبعاد مشتقة من النظريات الشاملة للشخصية.

الفصل الرابع

النظرية الاجتماعية المعرفية (باندورا)

الانتقال من السلوكية للتعلم الاجتماعي:

أثرت السلوكية التي وضعها "واطسون" عام 1913 في علم النفس الأمريكي، وقد دخلت بعض الجوانب القوية للسلوكية في تيار علم النفس الأمريكي، مثال ذلك الروح العملية Pragmatic والوظيفة لها، وتركيزها على الدقة التجريبية والجوانب الكمية، وكان للسلوكية تأثير كبير أيضا في الممارسة الإكلينيكية، ونجم عنها طرق عملية كثيرة لتغيير السلوك المشكل مثل تعديل السلوك، العلاج السلوكي، وفيما يختص بالنظرية فإن السلوكية قد أنتجت عددا من المداخل الحديثة التي تندرج تحت اسم نظريات التعلم الاجتماعي، واحتفظت هذه النظريات ببعض جوانب السلوكية مثل التركيز على ما يمكن ملاحظته، وأثر البيئة وأهمية التعلم، في حين أنها تبنت وجهة نظر أشمل للسلوك الإنساني، بحيث تتضمن المتغيرات المعرفية المهمة التي لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر (McAdams, 1994,p. 323)، وأهم رواد نظريات التعلم الاجتماعي كما يطبق على علم نفس الشخصية هم " جوليان روتر، وولتر ميشيل، وألبرت باندورا" ونعرض فيما يلي نظرية "باندورا".

جذور النظرية الاجتماعية المعرفية:

تعود جذور النظرية الاجتماعية المعرفية إلى نظرية التعلم التقليدية، وقد عرفت بادىء ذي بدء بنظرية التعلم الاجتماعي Social learning ، ولكن بمرور الزمن ازداد تركيز النظرية على المعرفة Cognition (عمليات التفكير) وأثرها في قيام الإنسان بوظائفه، وأصبحت النظرية أكثر اتساقا، وتعرف الآن بالنظرية الاجتماعية المعرفية Cognitive social theory (Pervin & John,1997,p. 398f)

وتركز النظرية الاجتماعية المعرفية على ال فردمنبسطا أو منظويا أكثر من معرفة المستوى العام للانبساط - الانطواء لدى الفرد بالنسبة للآخرين، وفيما يختص بالجدل التقليدي حول الأهمية النسبية للمحددات الداخلية والخارجية للسلوك، فإن أصحاب النظريات الاجتماعية المعرفية يفترضون أن هناك دائما عملية تفاعل بين الكائن العضوى والبيئة (المرجع نفسه).

آفاق النظرية الاجتماعية المعرفية:

بالإضافة إلى ما سبق ذكته فى الفقرة السابقة فإن أصحاب النظريات الاجتماعية المعرفية يحاولون أن يتجنبوا القسمة التقليدية للمجال إلى التوجه "السلوكى" مقابل "الإنسانى"، فهم سلوكيون فى تركيزهم على الدراسة النظامية للسلوك البشرى، ولكنهم أصحاب توجه إنسانى فى تركيزهم على إمكانات البشر فى التأثير على مصائرهم وفى تطوير قدراتهم تبعا للحدود البيولوجية لكل منهم، وأخيرا هناك انشقاق عن نظرية التعلم التى تعتمد على التدعيم، والتركيز على العمليات المعرفية، مع افتراض أن التعلم يحدث فى غياب الثواب (Pervin & John, 1997, p. 398f).

أهم ملامح النظرية:

تعد النظرية الاجتماعية المعرفية -وسط المجتمع الأكاديمى- أكثر نظريات الشخصية شيوعا، كما أنها تكسب أعدادا متزايدة من المناصرين لها فى المجال الإكلينيكي أيضا.

الملامح المميزة للنظرية الاجتماعية المعرفية

- 1- التركيز على الأدميين بوصفهم كائنات نشطة.
- 2- التركيز على الأصول الاجتماعية للسلوك.
- 3- التركيز على العمليات المعرفية (التفكير).
- 4- التركيز على المحددات الموقفية للسلوك.
- 5- التركيز على البحوث النظامية.
- 6- التركيز على تعلم الأنماط المركبة للسلوك فى غياب الثواب.

التعليم بالملاحظة عند "باندورا":

ربما كانت نظرية "ألبرت باندورا" أكثر نظريات التعلم الاجتماعي اليوم انتشارا وتأثيرا، فقد قدم "باندورا" نظرية شاملة في التعلم الاجتماعي، حيث وسع مجال التعلم ليشمل التعلم بالملاحظة والعمليات المعرفية، مع التركيز على الطرق المعقدة التي تؤثر فيها متغيرات الشخص والبيئة والسلوك ذاته في بعضها بعضا (McAdams, 1994, p.330).

والبيئة أحد المحددات المهمة للسلوك في نظر أصحاب التعلم الاجتماعي، وعلى رأسهم "باندورا"، فيركزون على أهمية المحددات البيئية والموقفية للسلوك، والسلوك كما يرون نتيجة تفاعل مستمر بين المتغيرات الشخصية والبيئية، وكما تشكل الظروف البيئية السلوك خلال التعلم، فإن سلوك الفرد بدوره يشكل البيئة، إن الأفراد والمواقف يؤثر كل منهما في الآخر بشكل تبادلي، ويحتاج عالم النفس حتى يتنبأ بالسلوك من وجهة نظر التعلم الاجتماعي إلى أن يعرف كيف تتفاعل خصائص الفرد مع خصائص الموقف (المرجع نفسه).

إننا لسنا مستجيبين سلبيين للظروف الموقفية، فإن العلاقة بين سلوكنا والمواقف التي نواجهها في الحياة علاقة متبادلة، ويقوم الناس إلى حد معين، بإنتاج الظروف البيئية التي تؤثر في سلوكهم من خلال ما يقومون به من أفعال، فإن الشخص الذي يتصرف بطريقة فظة خشنة، كثيرا ما يواجه بيئة اجتماعية عدوانية، لأن سلوكه يثير عداة الآخرين، في حين أن الشخص الودود الماهر في جعل الآخرين يشعرون بالإرتياح سيواجه بيئة مختلفة تماما، إن المواقف تعد جزئيا من صنعنا.

ملاحظات سلوك الآخرين مصدر أساسي للتعلم:

اعتبر "باندورا" أن التفرقة بين الاكتساب Acquisition (التعلم) والأداء Performance أمر حاسم، فإن بعض المبادئ التقليدية المشتقة من السلوكية مثل قوانين التدعيم والعقاب تتعلق بالأداء أكثر من تعلقها بالاكتساب أو التعلم، إن الثواب والعقاب يشكلان بشكل مباشر ما سيفعله الشخص، ولكنهما قد لا يدخلان دائما فيما يتعلمه الناس (McAdams, 1994, p. 331).

ويؤثر الثواب والعقاب كثيرا في سلوك الفرد، وتنتج الفروق الفردية في السلوك - في جانب كبير منها - عن الفروق في الأنواع المختلفة من خبرات التعلم التي يواجهها الفرد خلال نموه، وبعض أنواع السلوك يتم تعلمها خلال الخبرة المباشرة: يثاب الفرد أو يعاقب نتيجة لسلوكه بطريقة معينة، ولكن

كثيرا من الاستجابات تكتسب بطريقة غير مباشرة، أى خلال التعلم بالملاحظة أو التعلم بالبدل، فيمكن أن يتعلم الفرد اعتمادا على ملاحظة سلوكه غير من الناس، ومن ملاحظة عواقب سلوكهم، إنها ستكون عملية بطيئة وغير فعالة فى الحقيقة إذا كانت كل أنواع السلوك الصادر عنا يجب أن نتعلمه من خلال التدعيم المباشر لاستجابتنا، وتبعاً لنظرية التعلم الاجتماعى فإن التدعيم ليس ضرورياً للتعلم، على الرغم من أنه يسهل التعلم بتركيز انتباه الفرد على الاتجاه المناسب (Smith et al., 2003, p. 470).

إن النظريات السلوكية لكل من " سكينر، وهل، وميلر، ودولارد" لا يمكنها أن تفسر لماذا يتعلم الشخص فى غياب التدعيم أو فى حالة عدم إشباع الحاجات البيولوجية، فإن أنواعاً معينة من التعلم تحدث خارج حدود اللذة واللم، فإننا لا نحتاج أن نثاب حتى نتعلم، وبدلاً من ذلك يرى "باندورا" أن الإنسان يتعلم أشياء كثيرة ببساطة عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، أو القراءة عما يفعله الآخرون، فضلاً عن ملاحظة العالم بوجه عام، وهذه العملية البسيطة تسمى التعلم بالملاحظة، وكثيراً ما يسلكون ويتصرفون عن طريق تقليد ما يرونه (McAdams,1994, p. 331).

والافتراض الأساسى هنا أن قطاعاً كبيراً من التعلم يعتمد على ملاحظات الكائن العضوى لسلوك غيره من أفراد جنسه، وأن جانباً كبيراً من استجابات الإنسان يتم لمجرد ملاحظة غيره من الناس، ويعد الآخرون فى مثل هذه الحالات نماذج Models.

ومن الممكن أن يكتسب الناس عدداً كبيراً من الاستجابات عن طريق ملاحظة بعضهم بعضاً، بما فى ذلك المحصول اللغوى للفرد، وطريقة كلامه، وأنشطته الجسمية الآلية التى يمارسها كل يوم، والآداب الاجتماعية، والقواعد الشائعة، والسلوك النمطى لكل من الرجال والنساء والأباء والأمهات، ويمكن تفسير عدد من أشكال السلوك المهمة كاللغة والقواعد الثقافية والاتجاهات وكثير من الانفعالات بشكل أفضل، عن طريق التعلم بالملاحظة، كما يمكن بواسطة هذه النظرية تفسير الخوف الذى لا معنى له من أشياء معينة لم يجربها الفرد تجربة مباشرة، ولذا يرى أصحاب هذه النظرية أن التعلم بالملاحظة هو المصدر الرئيسى للتعلم فى الثقافة المعاصرة.

والتعلم بالملاحظة يختزل عملية التعلم، وغالبا يكون من الأفضل أن يتعلم الإنسان بعض الاستجابات بالملاحظة أو عن طريق النموذج بهدف تحقيق قدر من الأمن للمتعلم وبمعدل سريع، مثال تعلم إطلاق الرصاص بالمسدس، والسباحة، وقيادة السيارات، وإجراء الجراحات، فيعد التعلم بالملاحظة في مثل هذه الأنواع من التعلم ، أكثر فاعلية، وأقل خطورة (المرجع نفسه).

أنواع النماذج

يتم التعلم بالملاحظة إذن عن طريق نماذج معينة يحاكيها الشخص ويقلدها، ويمكن أن تتكون النماذج بطرق مختلفة أهمها خمس كما يعرضها "أحمد عبد الخالق" كما يلي:

أولاً: النموذج الحى:

وهو أن يقوم أحد الكائنات العضوية بنسخ (تصوير) سلوك كائن آخر بطريقة مباشرة، ويحدث ذلك عادة فى المواقف الاجتماعية التى تتضمن الأشخاص الذين يتعامل معهم المتعلم باستمرار كالآباء والمعلمين والأصدقاء، وهذا النوع أكثر أشكال التعلم عن طريق النموذج انتشارا.

ثانياً: التعلم البديل:

يلاحظ المتعلم فى التعلم البديل، استجابة النموذج وردود أفعاله الانفعالية ونتائج هذه الاستجابة، وعند هذه المرحلة لا يستجيب المتعلم للنموذج، وتسهم هذه الخبرة البديلة فى استثارة استجابة المتعلم فى المواقف التالية والتأثير فيها، مثل ملاحظتك لصديق وهو يلمس سلكا مكشوفاً يمر به تيار كهربائى، نجد أن رؤيتك للحرق الذى أصاب يده والألم البادى على ملامحه كافيان لإثارة قلقك وفهمك لما حدث، ولست محتاج إلى أن تمر بالخبرى ذاتها كى تعرف أن الكهرباء مؤذية.

ثالثاً: التعلم الرمزى:

يعتمد التعلم الرمزى Symbolic على النموذج اللفظى Verbal أكثر من اعتماده على ملاحظة السلوك الفعلى، وعن طريق اكتساب المهارات اللفظية تصبح الكلمات عادة أكثر الطرق أهمية فنقل المعلومات عن الاستجابات التى يراد اتخاذها نموذجاً، ويميز هذا النوع من التعلم -أكثر ما يميز- الكائنات البشرية عن غيرها من الكائنات، وتجعل مدى السلوك البشرى متسعا جداً، وتمكن الإنسان

من اختزان مثل هذه النشاطات الممثلة فى صور لفظية، كما تمكنه من استرجاعها لاستخدامها فيما بعد، ويؤدى استخدام النموذج الرمزى إلى اختزال الوقت والجهد اللازمين لتعلم سلوك ما، مثل اكتشاف طريقا مختصرا من الكلية للمكتبة الجامعية، ووصف هذا الطريق لفظيا لزميل آخر، واتخاذ هذا الزميل ذلك السلوك كنموذج له.

رابعاً: التقليد الأعمى:

يعنى هذا النوع مجرد نسخ استجابة نموذج ومحاكاته دون فهم أو وعى بالاستجابة التى قام بتقليدها، مثال ذلك تقليد صغار الأطفال لأبائهم، أو غناء الأطفال أغانى تسخر من الأطفال أنفسهم، أو نطق الأطفال ألفاظا بذئيه تعلموها دون أن يدركوا معناها.

خامساً: التعلم عن طريق الأفلام والإنترنت:

يتم تقديم النموذج فى هذا النوع عن طريق وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون والقنوات الفضائية، وهى مصدر مهم من مصادر المعلومات، ويحدث هذا تمثيل بالصور لسلوك النموذج، وقد أمكن نقل المواقف والاستجابات الانفعالية وأنماط السلوك الجديدة عن طريق التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، وقد أجريت فى هذا الصدد تجارب كثيرة عن تأثير مشاهدة أفلام العنف فى زيادة العدوانية لدى الأطفال، والواقع أن هذا الشكل من أشكال نقل النماذج أصبح أكثر تأثيرا بصورة متزايدة، فقد كشفت التجارب مثلا أن الاستجابات العدوانية التى أدت إلى عقاب مقترفها بصورة مستمرة، لا يميل إلى تقليدها من يشاهد الفيلم الذى يعرضها (المرجع نفسه).

وأن الانتشار الكبير والذيع لوسائل الإعلام على اختلافها لا سيما الشبكة العنكبوتية Web سوف يزيد من الدور الكبير للنمذجة الرمزية، فإن نموذجا واحدا مقدما من خلال موقع واحد على هذه الشبكة يمكن أن يؤثر فى آلاف المشاهدين (أو الداخلين لهذا الموقع) فى وقت واحد، وقد يكون الأمر خطيرا مثل (كيف نصنع قنبلة) الذى يقدم معلومات قابلة للتحويل إلى سلوك صنع القنابل، وليس هذا فقط بل يوصل معلومة مفادها أن صنع القنابل أمر مقبول وجدير بالثناء (Allen,2000, p. 304).

خطوات التعلم بالملاحظة

حدد "باندورا" أربع عمليات أو خطوات متضمنة في التعلم بالملاحظة (عن طريق النموذج) وهي كما يلي:

أولاً: عمليات الانتباه Attention :

إن مجرد وجود نموذج لا يؤثر في الشخص الملاحظ، ولا يتضمن حدوث تعلم، ما لم ينتبه له هذا الشخص بطريقة ما، فإن الشخص قد يتجاهل النموذج تماماً، أو يغفل الخصائص الأساسية لسلوك النموذج، وتتأثر عملية الانتباه إلى النموذج بعوامل كثيرة منها خصائص كل من النموذج والشخص القائم بالملاحظة، ومستوى الدافعية لدى الأخير، والجاذبية المتبادلة بين النموذج والشخص، وإدراك كفاءة النموذج وتقبله ومكانته وقوته الاجتماعية، فضلاً عن التشابه في العمر، والجنس والسلالة والمستوى الاجتماعي الاقتصادي بينهما (المرجع نفسه).

وهناك جوانب معينة في النموذج يمكن أن تزيد من احتمال ملاحظة الشخص للنموذج، مثال ذلك أن النموذج المميز، أو الشخص الجذاب بوجه خاص، والمألوف، أو حتى الشيء الغريب يمكن أي منها أن يستحوذ على انتباه الملاحظ، ولا بد أن تكون لدى الفرد القدرة على ملاحظة النموذج، فالشخص الكفيف مثلاً لا يستطيع أن يقلد ما لا يستطيع أن يراه، ولكنه يمكن أن يعتمد على حواس أخرى في التعلم بالملاحظة، ويجب أن تكون لدى الفرد أيضاً الدافعية لملاحظة النموذج، فإذا كان الشخص الملاحظ مثلاً متعباً جداً بحيث لا يمكنه ملاحظة النموذج، فإن التعلم بالملاحظة لن يحدث (McAdams, 1994, p. 232).

ثانياً: عمليات الاحتفاظ Retention :

يتضمن الاحتفاظ اختزان استجابات النموذج في ذاكرة المتعلم، وذلك عن طريق عمليات الترميز (التدوين على شكل رموز) وبخاصة التدوين اللفظي، ثم تكرار المعلومات مما يجعل الشخص يحتفظ بها، ويستفيد منها فيما بعد.

ثالثا: عمليات الاستحضار الحركى Motor reproduction processes :

عندما يتقبل الشخص سلوك النموذج على أنه ملائم بالنسبة له، ويرى أنه من المحتمل أن يؤدي إلى نتائج إيجابية، فإن الشخص يميل إلى تكرار سلوك النموذج، فيحول الملاحظات إلى سلوك، وقد تعمل الصور العقلية والأفكار المكتسبة خلال التعلم بالملاحظة، بوصفها منبهات داخلية شبيهة بالمنبهات الخارجية التي يقدمها النموذج، فقد ظهر أن البشر قادرون على إنتاج الصور العقلية والأفكار التي تعمل من حيث هي منبهات دافعية، فمن الممكن أن يعمل التذكر بوصفه دافعا للسلوك، مثال ذلك أن البشر يستطيعون توليد العمليات الفكرية التي قد تؤدي إلى الغثيان، أو تؤدي إلى الإثارة الجنسية أو الغضب، وذلك باستدعاء النشاطات التي شاهدوها على الآخرين (المرجع نفسه).

رابعا: عمليات الدافعية Motivation :

لا بد من توافر الدافع لأداء الاستجابة المكتسبة، وهذا شرط مهم لحدوث التعلم بالملاحظة، فقد تتوافر شروط: الانتباه والاحتفاظ والأداء، ولا تصدر استجابة التعلم نظرا لعدم وجود دافع أو سبب، فلا تظهر الاستجابة ويحدث كف لها.

ويقوم الثواب والعقاب في هذه المرحلة بأقوى أدوارهما، وقد يأتي تدعيم محاكاة سلوك ما في هذه الحالة بشكل مباشر من البيئة الخارجية، أو من الفرد الملاحظ نفسه (التدعيم الذاتي)، أو عن طريق رؤية شخص آخر، أو تخيلة يدعم السلوك (التدعيم البديل).

ويؤكد "بانديورا" في نظريته عن التعلم بالملاحظة، الطبيعة الاجتماعية الشاملة للتعلم الإنساني والأداء، ويحدث التعلم بالملاحظة خلال سياق حوارى معين بين الأشخاص، فالملاحظ والنموذج مندمجان في علاقة شخصية مركبة، ويمكن أن تؤثر كثيرا طبيعة هذه العلاقة في كيفية حدوث التعلم، وفي المدى الذى يمكن أن تتضح فيه المحاكاة، وقد اتضح أن الأطفال يميلون أكثر إلى محاكاة النماذج إذا كانت من نفس جنسهم (ذكر أو أنثى)، فضلا عن محاكاة النماذج التي تدرك على أنها مؤثرة، والنماذج التي يؤدي سلوكها إلى تدعيم من قبل الآخرين (McAdams, 1994, p. 232).

العوامل المؤثرة فى تكوين النموذج

تتأثر ملاحظة نموذج ما والافتداء به بكثير من العوامل، يعرض أهمها "أحمد عبد الخالق" كما يلى:

أولاً: درجة الانتباه:

من الضرورى أن يشاهد الشخص سلوك النموذج وينتبه إليه، ومن المعروف أن الانتباه درجات، وقد تؤدى الدرجة الضعيفة إلى تعلم جزئى، أو إلى عدم التعلم.

ثانياً: القرب:

يميل الشخص عادة إلى اختيار نموذج قريب منه كالآباء، والأقارب والأصدقاء، أكثر من ميله إلى نموذج بعيد عنه كالغرباء.

ثالثاً: مكانة النموذج:

يتلقى الشخص نماذج ذات مكانة، وتتضمن المكانة المركز الذى يشغله النموذج، والدور الذى يقوم به، وقدرته على الاتصال، فظهر أن المعلم الذى يحترمه طلابه أكثر ميلاً لاتخاذ نموذجاً يحتذى به، وليكون قدوة حسنة، ومن ثم عندما يشير هذا المعلم إلى عدم ملائمة بعض الأنماط السلوكية كالتدخين فسوف تكون الفرصة سانحة لاعتناق أفكاره، وإقلاع بعض الطلاب عن التدخين فعلاً، وقد يتخذ بعض الأعراب نماذج تحتذى دون أن يقابلهم الشخص وجهاً لوجه مطلقاً بل عن طريق وسائل الإعلام، ويحدث ذلك إذا كانوا يشغلون مراكز مشهورة.

رابعاً: التأثير:

التأثير هو التغيير فى اتجاهات الشخص أو سلوكه، الذى يرجع إلى شخص أو جماعة أخرى، وقد يحدث هذا التغيير إما نتيجة للإقناع بالرسالة ذاتها، وإما للإقناع بالنموذج الذى يقدمها.

خامساً: قوة النموذج:

القوة هى إمكانية التغيير الذى يرجع إلى مركز النموذج اعتماداً على مدى قوته، فقد يتعلم الأطفال تقليد الآباء، لأن الآباء لديهم القوة والسلطة للتحكم فى مصادر السرور أو المتعة لدى الطفل (المرجع نفسه).

الفاعلية الذاتية

الفاعلية الذاتية Self – efficacy مفهوم مهم فى نظرية "باندورا" عن التعلم بالملاحظة، وتعرف الفاعلية الذاتية بأنها معتقدات الفرد بأنه قادر على القيام بنجاح بتسيير الأمور المطلوبة للتعامل مع المواقف المستقبلية التى تشتمل على كثير من العناصر الغامضة وغير المتوقعة والضاغطة، بعبارة أخرى فإن الفاعلية الذاتية هى اعتقادنا فى كفاءتنا السلوكية فى موقف معين، وتظهر الفاعلية الذاتية المرتفعة فى الاعتقاد القوى بأننى قادر على القيام بسلوك معين، فى حين تتضح الفاعلية الذاتية المنخفضة فى الإعتقاد القوى بأننى لن أستطيع القيام بهذا السلوك (McAdams, 1994, p. 333).

ويمكن أن نفكر فى الفاعلية الذاتية على أنها شكل من أشكال الثقة Confidence، ولا تحدد الفاعلية الذاتية إذا كان الشخص سيحاول القيام بالسلوك أو لا فقط، بل إنها تحدد أيضا نوعية الداء الذى سيقوم به الفرد، فإن الفاعلية المرتفعة يترتب عليها توقع النجاح، وسوف تؤدى إلى المثابرة فى مواجهة العقبات والإحباط، والمثابرة المؤدية للنجاح سوف ينجم عنها مزيد من التدعيم للفاعلية، فى حين أن الفاعلية المنخفضة سوف تقلل من المجهود، ومن ثم تزيد من احتمال الفشل، وتزيد من تناقص الفاعلية (Allen, 2000, p. 305f).

ويجب التفرقة بين الفاعلية الذاتية والتوقعات المرتبطة بعواقب الأمور، وتشير الأخيرة إلى اعتقادات الفرد عما يمكن أن يؤول إليه فعل معين فى موقف محدد، ويعنى توقع العواقب الإيجابية أننى أعتقد أن سلوكا ما سياتررتب عليه نتيجة مرغوبة، فى حين أن توقع العواقب السلبية يعنى أننى أشك فى أن هذا السلوك لن يترتب عليه النتيجة المرغوبة.

ومن الممكن من الناحية النظرية أن يكون لدى الفرد توقع مرتفع للفاعلية الذاتية فى موقف معين، ولكن توقع العواقب يكون منخفضا، مثال ذلك أننى ممكن أن أكون متأكدا أننى سوف أشرح لصديقى بشكل منطقى وقوى السبب فى أننى أرى أنه يجب ألا يطلق زوجته (فاعلية ذاتية مرتفعة)، ولكننى يمكن أيضا أن أكون متأكدا أن أى توضيح من هذا النوع سيكون تأثيره ضعيف جدا مع ذلك (توقع منخفض للعواقب) (McAdams, 1994, p. 333).

نماذج لبنود مقياس الفاعلية الذاتية

- 1- أستطيع دائما أن أتدبر حل المشكلات الصعبة إذا بذلت الجهد الكافى.
- 2- إذا عارضنى شخص ما فإننى أستطيع أن أجد الطرق والوسائل لأحصل على ما أريد.
- 3- أنا متأكد من أننى أستطيع أن أحقق أهدافى.
- 4- أنا واثق من أننى أستطيع أن أتعامل بكفاءة مع الأحداث غير المتوقعة.

مصادر الفاعلية الذاتية:

للفاعلية الذاتية أربعة مصادر (McAdams, 1994, p. 333) كما يلى:

- 1- **الإنجاز الفعلى:** تعد الخبرات السابقة من النجاح والفشل وصولا إلى تحقيق الأهداف أكثر العوامل أهمية فى تحديد الفاعلية الذاتية.
- 2- **الخبرات البديلة:** إن مشاهدة نجاحات الآخرين وفشلهم تمدنا بأساس للمقارنة التى تجعلنا نحدد مدى كفاءتنا الشخصية فى مواقف مشابهة.
- 3- **الإقناع اللفظى:** عندما يقول لنا الآخرون : أن الشخص يمكنه (أو لا يمكنه) أن يتقن عملا ما فإن ذلك يمكن أن ينقص من الفاعلية الذاتية أو يزيدها، ولكن تأثير مثل هذا الإقناع ضعيف عادة.
- 4- **التنبه الانفعالى:** يتأثر شعور الفرد بالكفاءة الذاتية بدرجة التنبه الانفعالى ونوعيته التى يشعر بها فى موقف واقعى معين، فإن درجة القلق التى يشعر بها الفرد مثلا تمده بمعلومات مهمة عن درجة إدراكه لكل من الصعوبة والضيق والمثابرة التى يتطلبها العمل، وتشير المستويات المرتفعة جدا من القلق إلى أن الشخص لا يشعر بالتمكن والسيطرة على الموقف.

الفاعلية الذاتية والتفاؤل:

يعد مصطلح "الفاعلية" على نظرية "باندورا" ولكن هناك مفاهيم كثيرة مرتبطة به في دراسة الشخصية، ومنها التفاؤل Optimism بالنسبة لأحداث الحياة، وقد أورد الباحثون جوانب كثيرة لمفهوم التفاؤل مناظرة لتلك التي ذكرت لمفهوم الفاعلية، فإن المتفائلين لديهم ميل عام للتوقع بأن الأمور ستكون على ما يرام بالنسبة لهم، وأن الأحداث السارة سوف تتغلب على الأحداث السلبية.

وأظهرت بحوث "شاير، وكارفر" أن المتفائلين يواجهون الأحداث الضاغطة للحياة بطريقة أكثر فاعلية، ويواصلون السعى إلى تحقيق أهدافهم ومواجهة المشكلات على الرغم من الصعوبات، وذلك بدلا من تجنب المواقف، كما يواجه المتفائلون المواقف الضاغطة بكفاءة، مثل البطالة والسرطان ومرض القلب والتأهيل بعد علاج القلب والامتحانات الأكاديمية، وغير ذلك من الضغوط، وذلك مقارنة بالمتشائمين، وهناك دلائل قوية على أن التفاؤل وتوقعات الفاعلية وغيرهما من التوقعات الإيجابية تسهم في زيادة كفاءة الإنسان في القيام بوظائفه بطرق عدة، ولكن الباحثين يحذرون من ناحية أخرى من الإسراف في التفاؤل، أو في توقعات الفاعلية بشكل غير واقعي، فقد تكون عواقبها وخيمة ومؤذية (Cloninger, 2000, p. 373f)، ويرتبط ذلك بمفهوم التفاؤل غير الواقعي (أنظر: بدر الأنصاري، 2001، 2002).

الجوانب المعرفية فى نظرية "باندورا"

تبنى "باندورا" فى نظريته عن التعلم الاجتماعى مفاهيم معرفية كثيرة فى السنين الأخيرة، مع ابتعاد أكثر عن المفهوم السلوكى الذى يؤكد تأثير البيئة، وفى حين أكدت السلوكية التقليدية أن السلوك يتحدد أساسا عن طريق البيئة، فإن الطبقات الأحدث من نظرية "باندورا" تعترف إلى جانب ذلك بوجود محددات مهمة للسلوك داخل الفرد نفسه أيضا، وقد لاحظ "باندورا" أن الناس يستخدمون الرموز والتدبير فى العواقب عندا يقررون كيف يتصرفون، فعندما يواجهون مشكلة جديدة فإنهم يتخيلون العواقب الممكنة، وينظرون فى احتمالات كل منها، ومن ثم يضعون أهدافا، ويطورون إستراتيجيات لتحقيقها، وهذا أمر مختلف تماما عن فكرة الإشراف عن طريق الثواب والعقاب، وبطبيعة الحال فإن الخبرات السابقة للفرد والخاصة بالثواب والعقاب سوف تؤثر فى قراراته فيما يختص بسلوكه فى المستقبل (Allen, 2000, p. 300f).

وأشار كذلك إلى أن معظم السلوك يحدث فى غياب الثواب والعقاب الخارجى، أى عدم وجودهما، ويصدر معظم السلوك عن عمليات داخلية ذات تنظيم ذاتى، إن أى شخص يحاول أن يغير شخصا مسالما إلى شخص عدوانى، أو يغير شخصا متدينا إلى شخص ملحد، سوف يدرك سريعا صعوبة مثل هذا التغيير، وأن هناك مصادر شخصية للتحكم فى السلوك (المرجع نفسه).

وتتطور هذه المصادر الداخلية للشخصية للتحكم، نتيجة لتعلمنا كيف نتصرف عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين، أو عن طريق القراءة أو السماع عن هذا السلوك، ولا يجب علينا أن ننفذ فعليا السلوك الذى نلاحظه، ولكننا نستطيع أن ننتبه إلى هذا السلوك، وإذا ما كان يثاب أو يعاقب، ونختزن هذه المعلومات فى ذاكرتنا، وعندما تظهر مواقف جديدة فإنه يمكننا أن نتصرف تبعا للتوقعات التى جمعناها على أساس مشاهدتنا لنماذج السلوك.

وتذهب نظرية "باندورا" الاجتماعية المعرفية إلى أبعد من السلوكية التقليدية، وبدلا من التركيز فقط على كيفية تأثير البيئة فى السلوك فإن هذه النظرية تبحث التفاعل بين كل من البيئة والسلوك والجوانب المعرفية لدى الفرد، بالإضافة إلى الاهتمام بالتأثيرات الخارجية كالثواب والعقاب فإنها تهتم

بالعوامل الداخلية كالتوقعات، وبدلاً من تفسير السلوك ببساطة على ضوء مصطلحات الإشارات فإنها تركز على دور التعلم عن طريق الملاحظة (المرجع نفسه).

الاحتمية المتبادلة:

وضع "باندورا" مفهوم الاحتمية المتبادلة، وينص على أن السلوك يتحدد نتيجة تضافر عوامل متعددة في كل من البيئة وداخل الفرد، ومن المحددات الخارجية الثواب والعقاب، وأما المحددات الداخلية فمنها المعتقدات والتوقعات، وتعد المحددات الخارجية والداخلية وسلوك الفرد أجزاء في نسق System مركب، وتتفاعل هذه الأجزاء بطريقة معقدة ويصعب حلها، وأن تغير في جزء من النسق يمكن أن يؤثر في بقية الأجزاء، وليس هناك جزء منها أكثر أهمية من الأجزاء الأخرى (McAdams, 1994, p. 336).

وتتاح دراسات كثيرة تثبت العلاقة التبادلية بين عوامل الشخص، والسلوك والبيئة الخارجية، فقد ظهر أن السلوك يمكن أن يؤثر في الجوانب المعرفية والمشاعر، وحتى في الجوانب البيولوجية العصبية Neurobiological، كما أن البيئة والمعتقدات يمكن أن تؤثر في الوظائف البيولوجية العصبية، فمن الدراسات الهامة التي أجراها "ماتلن، وفولي"، دراسة عن المرأة التي تنتقل إلى العيش في سكن واحد مع عدد من النساء، فظهر أن تقبل هذه المرأة لهذه البيئة الجديدة يمكن أن يغير من دورتها الهرمونية، فتصبح بداية دورة الطمث ونهايتها لديها متطابقة مع زميلاتها في المسكن، ومن ناحية أخرى إذا توقعت امرأة أن الدورة الشهرية لديها قد أوشكت على البدء، بصرف النظر عما إذا كان ذلك حقيقياً أم لا، فإنها يمكن أن تمر بخبرات فسيولوجية وتغيرات معينة كزيادة احتفاظ الجسم بالماء، ومن الممكن أن يؤثر السلوك في البيئة ويتأثر بها، كما تؤثر الجوانب المعرفية والمشاعر في السلوك وفي البيئة (Allen, 2000, p. 300f).

بناء الشخصية

يتضمن بناء الشخصية الذي ركزت عليه النظرية الاجتماعية المعرفية في - المقام الأول - العمليات المعرفية، وهناك ثلاث مفاهيم بنائية جديرة بالاهتمام، وهي التوقعات والمعتقدات والكفاءات والمهارات والأهداف، نعرض لها بإيجاز فيما يلي: (Pernin & John, 1997, pp. 405-409):

التوقعات – الاعتقادات (Expectancies – Beliefs) :

تركز النظرية الاجتماعية المعرفية على التوقعات التي يحملها الناس بخصوص الأحداث، وعلى الاعتقادات التي يشغلون انفسهم بها، مثال ذلك أن الناس لديهم توقعات متصلة بسلوك الآخرين وبالثواب والعقاب الناتج عن سلوكهم الشخصى فى أنواع معينة من المواقف، كما أن لديهم أيضا اعتقادات مرتبطة بقدراتهم الخاصة للتعامل مع الأمور والتحديات التي تكمن فى أنواع محددة من المواقف، ومن الواضح أن كل هذه الجوانب تتضمن عمليات معرفية مثل تصنيف المواقف، (كمواقف العمل، ومواقف المزاح، والمواقف الرسمية، وغير الرسمية، والمواقف المؤدية إما إلى الإسترخاء ، وإما إلى التهديد)، والتوقع المستقبلى، والاستبطان أى فحص الشخص لأفكاره ودوافعه ومشاعره، والأمر المهم فى هذا المجال هو نوع التوقعات والمعتقدات التي يطورها الشخص فى علاقتها بمواقف معينة أو مجموعة من المواقف، ويختلف السلوك نتيجة الفروق فى إدراك المواقف، ويكمن جوهر الشخصية – تبعا للنظرية الاجتماعية المعرفية – فى اختلاف الطرق التي يدرك بها الأشخاص المواقف، وفى الأنماط السلوكية التي كونوها بالنسبة لهذه الإدراكات المختلفة.

الكفاءات – المهارات (Competencies – Skills) :

تركز النظرية الاجتماعية المعرفية على الكفاءات المعرفية والمهارات التي يمتلكها الفرد، أى قدرة هذا الفرد على حل المشكلات ومواجهة صعوبات الحياة، وبدلا من التركيز على السمات التي يحوزها الفرد فإن النظرية الاجتماعية المعرفية تؤكد الكفاءات التي تتجسد فيما يقوم به الفرد من مهام، وتشمل هذه الكفاءات كلا من طرق التفكير فى مشكلات الحياة، والمهارات السلوكية للتوصل إلى حلها، والمهم أن الناس يمتلكون غالبا مثل هذه الكفاءات فى سياقات معينة، فقد يكون الشخص الكفاء فى مجال معين على كفاءة فى سياق آخر، وقد لا يكون كذلك، فإن الأشخاص الذين يتسمون بالكفاءة فى المجال الأكاديمى قد يكونون على كفاءة فى المجال الاجتماعى، أو مجال الأعمال، وقد لا يكونون.

الأهداف Goals :

يرتبط مفهوم الأهداف بقدرة الأشخاص على توقع المستقبل، وبأن تكون لديهم دافعية ذاتية، إن الأهداف هي التي تقودنا إلى وضع الأولويات والاختيار من بين المواقف، وإن الأهداف هي التي تمكننا أن نذهب أبعد من التأثيرات اللحظية، وننظم سلوكنا عبر فترات طويلة من الزمن، وتنظم أهداف الفرد بطريقة تجعل بعض هذه الأهداف أكثر أساسية وأهمية بالنسبة إلى غيرها، ولكن ذلك ليس نظاما

جامدا أو ثابتا بوجه عام، وقد يختار الشخص بين عدد من الأهداف اعتمادا على ما يبدو أنه أكثر أهمية بالنسبة له في زمن معين وتبعا لمطالب البيئة.

تطبيقات التعلم الاجتماعي المعرفي

تعددت الإمكانيات النظرية والتطبيقية لنظرية "باندورا" التعلم بملاحظة النموذج، فقد طورت على أساسها طرق جديدة لرعاية الأطفال، وأصبحت تطبيقاتها في مجال العلاج النفسي معروفة الآن، ولكن تطبيقاتها في علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا ما زالت في بداياتها، ونعرض في الفقرة التالية لتطبيقاتها العلاجية كما لخصها "أحمد عبد الخالق" (1994ب، ص ص 214-216).

العلاج النفسي تبعا لنظرية التعلم الاجتماعي المعرفي :

تعتمد الإجراءات العلاجية التي يقدمها "باندورا" على نظريته في التعلم الاجتماعي، مستخدما إياها في تعديل السلوك، وهو يقدم عدد من الطرق الفنية التي تعتمد على تجارب معملية، ونعرض لإحدى هذه الطرق التي تستخدم نموذجا أو قدوة، فيعرض في كتابه الأساسي (Bandura, 1969, p. 175f). لحالة بنت مصابة بالهلع من الكلاب، وبعد تعريضها لسلسلة من الأفلام التي يقدم فيها نماذج من أطفال في عمرها يكشفون عن تفاعل إيجابي مع الكلاب، انخفض خوف هذه البنت عن طريق هذا الإجراء.

ولتوضيح استخدام التعلم البديل ذكرت حالة شاب جامعي مصاب بالخجل الشديد والإنطواء، والمعاناة من القلق عند تعامله مع الآخرين، وبخاصة مع الفتيات، مع شعور بالقصور الاجتماعي، وبعد تردد يذهب إلى عيادة الجامعة طلبا للمعونة، وذلك لأن أحد معارفه كان قد ذهب إلى هناك، واستفاد منها فائدة كبيرة، ولقد بدأت رغبته في تغيير سلوكه -جزئيا- عن طريق ملاحظة نموذج إيجابي، واستخدمت طريقة الفاعلية الذاتية Self - efficacy وهي مجموعة التوقعات التي تجعل شخصا ما يعتقد بأن المسار الذي سيتخذة سلوك معين سيحظى بالنجاح، وهناك عدة مصادر أساسية يمكن أن يتبعها المعالج النفسي لتغيير فاعلية المريض الذاتية، وتهدف هذه المصادر إلى تشجيع المريض على الاعتقاد بأنه قادر على النجاح في المواقف الاجتماعية التي تهدده.

ويبدأ المعالج بأن يعلم المريض كيف يتصرف في مختلف المواقف الجديدة، ويمكن توصيل هذه المعلومات إليه عن طريق حركات الجسم أو الكلمات أو الأفلام، وأفضل الطرق أن يوجد نموذج فعلى أو نموذج مصور على فيلم يشبه المريض في مختلف خصائصه، ويطلب من النموذج أن يسلك بالطريقة المحددة له، ويبدأ المريض في محاكاة سلوك النموذج، ويتدرب على أنماط السلوك التي لاحظها على النموذج، ثم يطلب من المريض أن يلاحظ ثلاث أشخاص مختلفين لهم مهارة اجتماعية مرتفعة، لكي يعرف المريض أي نزع من السلوك يود أن يحدده لنفسه وأن يجربه فعلا، مما يؤدي إلى تخلصه من أعراضه.

الكفاءة الذاتية والصحة :

يتعلق مجال من أهم المجالات النشطة في البحوث الاجتماعية المعرفية بالعلاقة بين معتقدات الكفاءة الذاتية والصحة، وتتخلص نتائج البحوث في هذا المجال فيما يلي: إن المعتقدات القوية والإيجابية عن الكفاءة الذاتية جيدة للصحة، وعلى العكس فإن المعتقدات الضعيفة والسلبية عن الكفاءة الذاتية سيئة للصحة، وتوجد طريقتان أساسيتان تجعلان معتقدات الكفاءة الذاتية تؤثر في الصحة، إذ تؤثر هذه الطرق في السلوكيات المرتبطة بالصحة كما تؤثر في الوظائف الفسيولوجية، وتؤثر معتقدات الكفاءة الذاتية في كل من احتمالات الإصابة بأمراض مختلفة، وفي عملية الشفاء من هذه الأمراض (Pervin & John, 1997, pp. 428-430).

وترتبط معتقدات الكفاءة الذاتية بسلوكيات متعددة مثل تدخين السجائر واستخدام الكحول، وعدم الحرص في العلاقات الجنسية حتى الإصابة بزملة فقدان المناعة المكتسب أو الإيدز، وقد استخدمت النمذجة Modeling وتحديد الأهداف فضلا عن طرق أخرى لزيادة معتقدات الكفاءة الذاتية، ومن ثم القليل من السلوكيات الخطرة، كما تتوافر دلائل على أن معتقدات الكفاءة الذاتية المرتفعة تقي من آثار الضغوط، وتحسن جهاز المناعة الذي يقاوم الأمراض (المرجع نفسه).

تقويم نظرية "باندورا"

جوانب القوة فى النظرية :

ربما كانت النظرية الاجتماعية المعرفية ، النظرية المفضلة حاليا لدى علماء نفس الشخصية الأكاديميين، كما أن كثيرا من الإكلينيكيين يمكن أن يسموا أنفسهم أيضا علماء نفس اجتماعيين معرفيين، ومن أسباب هذا التفضيل اهتمام واضعى هذه النظريات، وعلى رأسهم "باندورا" بالبحوث التجريبية الدقيقة التى تستخدم طرقا متعددة، مع الدقة فى تحديد المفاهيم، وتعريفها بطرق تجعلها قابلة للتحقق العملى من قبل الآخرين، ومن الأهمية بمكان أن تكون معظم هذه التجارب قد أجريت على البشر، ومن ثم فليس هناك حاجة إلى الامتداد بالنتائج من الحيوان للإنسان،

وقد اهتمت النظريات الاجتماعية المعرفية بفحص الظاهرة المهمة التى تهتم معظم الناس وهى العدوان من مختلف جوانبها، ومن مزايا هذه النظريات أنها تطورت من النسخة الأولياتى وضعها لها مؤلفوها إلى النسخة الحالية التى اعتمدت على بيانات جديدة، مع تركيزها على موضوعات مهمة فى مجال الشخصية الإنسانية، فضلا عن نقد النظريات الأخرى كالتحليل النفسى، والسماة، ونظرية "سكينر".

وقدمت النظريات الاجتماعية المعرفية وجهة نظر عن الإنسان تعد أكثر واقعية عن الإنسان الآلى Robot أو لوحة مفاتيح التليفون، واقترحت حولا ممكنة لمشكلات ذات أهمية اجتماعية كبيرة (Pervin & John, 1977, pp. 444-6).

ويذكر "بيم ألين" أن نظرية "باندورا" ربما كانت أكثر النظريات شمولا، وأكثر وجهات النظر التى يمكن تطبيقها بشكل جيد على كل أنواع الوظائف الإنسانية أكثر من غيرها (Allen, 2000, p. 297)، وتضيف "سوزان كلوننجر" أن "باندورا" يؤكد السياق الاجتماعى للشخصية، وهو معروف جيدا بدراسته المأثورة عن نمذجة العدوان، التى برهنت على أن السلوك العدوانى يمكن أن يكون - ببساطة- متعلما عن طريق ملاحظة النماذج، من دون أن يكون هناك تدعيم للسلوك العدوانى، وتجد الملاحظة أن التعلم بالملاحظة يكسر افتراضا تقليديا لنظرية التعلم، مفاده أن التعلم يمكن أن يحدث فقط إذا كان هناك تدعيم، وقد فصل "باندورا" الفرق بين التعلم والأداء، فإن التدعيم يمدنا بحافز ضرورى للأداء ولكنه أى التدعيم ليس ضروريا للتعلم (Cloninger, 2000, p. 359f).

حدود النظرية :

نقدت النظرية الاجتماعية المعرفية بأنها لم تصبح بعد نظرية متسقة موحدة، إن هذه النظرية تمثل توليفة أو مزيجا من المفاهيم، بعضها خاص بالنظرية وبعضها الآخر مشتق من نظريات أخرى، كما واجه كل تطور جديد فى النظرية الاجتماعية المعرفية نقدا جديدا وصعوبات جديدة، على سبيل المثال فإن تركيز النظرية على تعلم الأفعال المركبة فى غيبة التدعيم هوجم بشكل مستمر من أنصار "سكينر" الذين افترضوا أن التعلم بالملاحظة ربما يمثل فى الحقيقة استجابة تقليد أو محاكاة معممة ولكن حدث لها -أحيانا وليس دائما- تدعيم، كما أضاف أنصار "سكينر" أنه على الرغم من أن الفرد يمكن أن يتعلم استجابة ما قام بها نموذج أو قدوة من دون تدعيم، فإن ذلك لا يعنى أن التدعيم ليس جانبا أساسيا فى عملية التعلم بصورة كلية، ولا نستطيع تحديد ذلك من دون معرفة تاريخ التدعيم لدى ذلك الفرد.

وقد نقد علماء النفس الذين يعملون فى الإطار السلوكى الصارم والدقيق ، تركيز النظرية الاجتماعية المعرفية حديثا عن المتغيرات الداخلية والتقرير الذاتى اللفظى، فكثيرا ما يكون الناس غير واعين للعمليات الداخلية فى أنفسهم، فقد خلفت سنين من البحوث فى مفهوم الذات Self – concept كثيرا من المشكلات الجوهرية غير المحسومة، وفى هذا السياق فقد واجه مفهوم الفاعلية الذاتية عددا من جوانب النقد، أهمها أن معتقدات الكفاءة الذاتية مرتبطة بعواقب التوقعات ، وأن المفهوم الأخير يحكم السلوك، وبكلمات موجزة فإن مفهوم الكفاءة الذاتية مفهوم قيم ولكنه فى حاجة إلى مزيد من الفحص والإتقان، وأهملت هذه النظرية مجالات مهمة مثل تأثير عوامل النضج، ومفهوم الصراع (Pervin & John,1997, pp. 444-9).

كما نقدت نظرية " باندورا" بأنه لم يناقش الأسس الفيسيولوجية للشخصية، وبالطريقة نفسها فإن هناك تركيز قليل جدا على مفاهيم مثل الصراع والتنبه والوجدان والدافعية، وذلك على العكس من الصورة الواضحة فى النظرية للأليات المتضمنة فى التعلم بالملاحظة، والفاعلية الذاتية، وتقدير الذات (Hall et al., 1998, p.629).

جوانب القوة والضعف فى النظرية الاجتماعية المعرفية

جوانب القوة	جوانب الضعف
1- النظرية لها سجل ممتاز فى البحوث.	1- ليست نظرية متسقة وموحدة.
2- تهتم بظواهر مهمة.	2- تواجه مشكلات كثيرة مرتبطة باستخدام التقرير الذاتى اللفظى.
3- تكشف عن تطور متسق وإتقان بوصفها نظرية.	3- تحتاج إلى مزيد من الإتقان والتطوير فى مجالات معينة مثل : الدافعية، والوجدان، وبعض جوانب تنظيم الشخصية.
4- تركز الانتباه على موضوعات نظرية مهمة.	4- تمدنا بنتائج تقريبية عن العلاج أكثر من كونها حاسمة.

الفصل الخامس

نظرية "كارل روجرز" المتمركزة حول الشخص

تمهيد :

كانت هذه النظرية تدعى (نظرية الذات) Self theory، ولكن هذا الوصف لم يعد دقيقا بعد، فمن الواضح أن تركيز "كارل روجرز" يقع على الكائن العضوى Organism وليس الذات، فإن الذات أو مفهوم الذات Self-concept معرض أن يكون صورة مشوهة لطبيعة الفرد الحقيقية والأصيلة، وقد وضع "روجرز" نظريته ضمن إطار التوجه الإنساني Humanistic فى علم النفس المعاصر، ويعارض علم النفس الإنساني ما يعتبره تشاؤما ويأسا مما يعد خاصية فى التوجه التحليلى النفسى للبشر من ناحية، ومفهوم الإنسان الآلى من ناحية أخرى. وتتنمى نظرية "روجرز" -عن جدارة- إلى قلب التوجه الإنساني فى علم النفس.

ونعرض لهذا التوجه فى الفقرة الآتية ونتبعه بالتوجه الظاهرى والوجودى اللذين تنتمى لهما أيضا نظرية "روجرز".

التوجه الإنساني :

خلال النصف الأول من القرن العشرين ساد فى علم النفس المدخلان التحليلى والسلوكى، وفى عام 1962 أسس مجموعة من علماء النفس (رابطة علم النفس الإنساني)، ورأوا أن علم النفس الإنساني هو القوة الثالثة، كما أعتقدوا أنعد بديل للتوجهين التحليلى والسلوكى (Smith et al., 2003, p. 476)، وقد حددت هذه الرابطة أهدافها فى المبادئ الأربعة الآتية:

- 1- الأدميون ليسوا -ببساطة- موضوعات للدراسة، ويجب أن نصفهم ونفهمهم على ضوء وجهة نظرهم الذاتية إلى العالم ، وإدراكهم لأنفسهم ، ومشاعر الجدارة والقيمة الذاتية لهم.
- 2- يجب أن تتضمن الموضوعات المفضلة للبحث : الاختيار الإنساني، والإبداع أو الابتكار، وتحقيق الذات، إن الناس لا تدفعهم فقط الدوافع الأساسية كالجنس أو العدوان، أو الحاجات الفسيولوجية كالجوع والعطش، إنهم يشعرون بالحاجة إلى تطوير إمكاناتهم وطاقاتهم، ويجب

أن يكون النمو وتحقيق الذات محكات الصحة النفسية ومعاييرها، وليس مجرد التحكم فى الأنا أو التوافق للبيئة.

- 3- من الضرورى دراسة المشكلات الإنسانية والاجتماعية المهمة، حتى إذا تطلب ذلك أحيانا تقبل طرق للدراسة أقل دقة، ويجب أن تقود القيم اختيار علماء النفس لموضوعات بحوثهم.
- 4- تتجسد القيم المطلقة فى كرامة الفرد، إن الناس جيّدون فى المقام الأول، وهدف علم النفس هو فهم الناس وليس التنبؤ بسلوكهم أو التحكم فيه.

ويعد "جوردون أولبورت" من رواد هذا التوجه، أما "كارل روجرز" و"أبراهام ماسلو" فتعد آراؤهما النظرية فى القلب من الحركة الإنسانية (Smith et al., 2003, p. 476).

ويركز أصحاب هذا التوجه على الصفات والخصائص التى تميز البشر عن الحيوانات، وأهم هذه الصفات : التوجه الذاتى وحرية الاختيار، كما يهتم أصحاب هذا التوجه بالخبرات الذاتية الداخلية التى تكون إحساس الإنسان بوجوده، كما يركزون على الطبيعة الإيجابية للكائنات البشرية، وعلى انطلاقها نحو النمو وتحقيق الذات، وقد أسست مجلة علم النفس الإنسانى التى تعبر عن آراء هذه الجماعة من علماء النفس فى عام 1961 .

وعلم النفس الإنسانى أكثر أملا وتفاؤلا بالنسبة للإنسان، إذ يعتقد أصحابه أن الشخص، أى شخص يضم داخله إمكانات للنمو الصحى والخلاق، ويرجع الفشل فى تحقق هذه الإمكانيات إلى التأثيرات التى تقلص هذه الإمكانيات وتشوهها من قبل التنشئة والتدريب الذى يقدمه الآباء، فضلا عن الضغوط الاجتماعية الأخرى، ومع ذلك فإنه من الممكن التغلب على هذه الآثار الضارة إذا كان الفرد مرحبا بتقبل مسؤولية حياته الشخصية (Hall et al., 1998, p. 456).

التوجه الظاهرى :

يعد "كارل روجرز" من أنصار النظريات الظاهرية، ومن أهم قادتها فى علم النفس، فما أهم مسلمات هذه النظرية؟ يرى أصحاب النظريات الظاهرية Phenomenological أن المعرفة محصورة فى الظواهر المحسوسة، وأن الظواهر هى وحدها الحقائق، وتضم الظاهرية مجموعة نظريات تركز على الخبرات الذاتية، أى نظرة الشخص الخاصة إلى العالم، وتختلف هذه المجموعة من النظريات

عن سابقتها وغيرها فى أن النظريات الظاهرية لا تهتم بالدوافع أو بالتنبؤ بالسلوك، إنها تركّز-بدلاً من ذلك- على كيفية إدراك الفرد للعالم، وكيفية تفسيره للأحداث، والنظريات الظاهرية -فى جانب منها- رد فعل ضد وجهة نظر التحليل النفسى القائلة بأن الإنسان تدفعه نزعات لا شعورية، وبدلاً من ذلك فإن الظاهريين يركّزون على وجهة نظر الفرد الذاتية لما يحدث الآن (أحمد عبد الخالق، 1991، ص 468).

وتضم النظريات الظاهرية فى الشخصية النظريات التى تدعى (إنسانية) لأنها تركّز على الصفات والخصائص التى تميز البشر عن الحيوانات، وأهم هذه الصفات: التوجه الذاتى وحرية الاختيار، ونظريات الذات (لأنها تهتم بالخبرات الذاتية الداخلية التى تكون إحساس الإنسان بوجوده)، وتركّز معظم النظريات الظاهرية أيضاً على الطبيعة الموجبة للكائنات البشرية، وانطلاقها نحو النمو وتحقيق الذات، ومن أهم قادة هذا الاتجاه "كارل روجرز" (المرجع نفسه).

وقد اتخذ "روجرز" مدخلاً ظاهرياً، أى أن الفرد هو الذى يجب أن يحدد الأمور المهمة، إن تركّز علم النفس الإنسانى على ما يسمى بالشخص المجرب، ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ المفارقة بين ما يفكر فيه الشخص عن نفسه، ومختلف الخبرات التى مر بها، فإن عجز الفرد عن تقبل جوانب نفسه يقف حجر عثرة أمام تقدمه نحو النمو الشخصى (Friedman & Schustack, 1999, p. 296).

المنحى الوجودى :

أفضل ممثل للمنحى الوجودى الإنسانى فى دراسة الشخصية هو "كارل روجرز" والمسلمة الأساسية لهذا المنحى أن كل شخص مؤول عن حياته الخاصة ونضجه، ويعتقد "روجرز" أن الناس لديهم ميل فطرى نحو النمو والنضج، ولكن هذا النضج ليس حتمياً، فإن الناس بالأحرى يمكن أن يكتسبوا الفهم الجيد لأنفسهم من خلال بيئة نفسية داعمة لهم، إن الناس أحرار فى قيامهم بتوجيه أنفسهم، وليسوا مسوقين بقوى أخرى، وفضلاً عن ذلك فإن الناس يجب أن يكافحوا للأضطلاع بهذه المسؤولية - مثلها فى ذلك مثل الحب - مصطلح يستخدم كثيراً فى التحليل الإنسانى للشخصية، ويندر أن نسمعه فى نظريات أخرى (Friedman & Schustack, 1999, p. 295f)، وتتركّز الأمور المشتركة بين نظرية "روجرز" وعلم النفس الوجودى فى تركيزة على خبرات الفرد، ومشاعرة، وقيمه، وكل ما يمكن أن نجمعه فى تعبير <الحياة الداخلية> (Hall et al., 1998, p. 456).

طبيعة الكائنات الإنسانية

إن التصور الشائع للكائنات الإنسانية أنهم بطبيعتهم غير عقلانيين وغير اجتماعيين، وأنهم مخربون لأنفسهم ولغيرهم، ولكن وجهة النظر التي يقوم عليها أسلوب " روجرز " المتمركز حول الشخص مناقض لهذا التصور، فالكائنات الإنسانية -على العكس مما تقدم- عقلانية في الأساس، واجتماعية، وتقدمية، وواقعية، وقد نمت وجهة النظر هذه نتيجة لخبرة " روجرز " العملية في العلاج النفسي وليس نتيجة لأفكار مسبقة، إن الانفعالات المضادة للمجتمع أو غير الاجتماعية موجودة، وكذلك الغيرة والعدوانية ونحو ذلك، ويؤكد وجودها العلاج النفسي، ولكنها ليست دفعات أو دوافع اختيارية أو تلقائية يجب ضبطها، ولكنها ردود أفعال لإحباط دوافع أكبر أو أقوى مثل الحب والانتماء والأمان ونحوها (س. باترسون، 1990، ص 386).

فالكائنات الإنسانية في الأساس متعاونة، وبناءة وأهل ثقة، وحينما تتحرر من الدفاعية فإن ردود أفعالها تكون إيجابية، وتقدمية، وبناءة، ومن ثم فإنه لا ضرورة للاهتمام بدفعاتها العدوانية أو العدائية للمجتمع، حيث يمكن للكائنات الإنسانية أن تضبطها ضبطاً ذاتياً، وتقيم توازناً بين حاجاتها المتعارضة، فالحاجة إلى المحبة والحنان أو إلى الصحة يمكن -على سبيل المثال- أن تحدث توازناً لأي رد فعل عدواني، أو لأي رغبة جنسية جانحة، أو لأي حاجة أخرى يمكن أن تتعارض مع إشباع حاجات الأشخاص الآخرين (المرجع نفسه).

وإن الكائنات الإنسانية تملك القدرة على أن تعلم -بصورة واعية- العوامل المؤثرة في سوء التوافق كما تملك القدرة والاستعداد للتحرك بعيداً عن حالة سوء التوافق إلى حالة التوافق النفسي، وهذه القدرات والاستعدادات يمكن إطلاقها من خلال علاقة لها خصائص العلاقة العلاجية، والاستعداد أو التوجه نحو التوافق هو استعداد أو توجه نحو تحقيق الذات، فالعلاج النفسي عملية تحرير لطاقة موجودة بالفعل لدى الفرد.

ويمكن القول -من الناحية الفلسفية- بأن الفرد لديه القدرة على توجيه الذات وتنظيمها وضبطها إذا تحقق وجود ظروف معينة ومحددة، ولا يحتاج الفرد إلى ضبط خارجي إلا إذا غابت تلك الظروف المعينة، فالحاجة إلى الضبط والتنظيم من خارج الذات ليست هي الأساس أو ليست ضرورية، وحينما

تتوافر للفرد الظروف المعقولة أو المقبولة لكي يتحقق له النمو فإنه سوف ينمي إمكاناته بصورة بناءة كما تنمو البذرة وتحقق إمكاناتها (سز باترسون، 1990، ص 386).

أسس التوجه المتمركز حول الشخص

نمت نظرية "روجرز" من خلال خبراته في العمل في العيادة النفسية كما أسلفنا، وابتدع طريقته الخاصة في العلاج غير الموجه أو المتمركز حول العميل (أو الشخص فيما بعد) ، ويعتقد "روجرز" -مثله في ذلك مثل كل منظري التوجه الإنساني- أن أكثر الأمور أهمية في النظر إلى الشخصية هي الفرد بوصفه كلا شاملا، بما في ذلك الوعي الشعوري للفرد، وحرية في الاختيار، وأحكامه وتوجهه نحو غاياته، ونوعية خبراته، وهذا المدخل يركز على الكائن العضوي الإنساني بوصفه موجودا متكاملًا، لا يمكن فصل جوانبه العضوية والنفسية والروحية، ولا تجزئتها إلا بطرق مصطنعة، بعبارة أخرى فإن الشخص هو الذي يوضع في المكان الأول، وهذا هو السبب في أن نظرية "روجرز" يطلق عليها الآن عادة (المنحى المتمركز حول الشخص) Person – centered وكانت تدعى سابقا (المنحى المتمركز حول العميل) Client – centered وما زال المصطلح الأخير مستخدما من قبل بعض المعالجين، وحتى في المقالات الأخيرة التي كتبها "روجرز".

والفرض الأساس في التوجه (المتمركز حول الشخص) أن الأفراد لديهم -داخل ذواتهم- مصادر عميقة للفهم الذاتي، مع قدرة على تغيير مفهوم الذات عندهم، فضلا عما يمتلكونه من اتجاهات أساسية وسلوك موجه ذاتيا، ويختلف "روجرز" في ذلك عن "فرويد"، إذ يفترض "روجرز" أن البشر يمتلكون إمكانات إيجابية لتطوير أنفسهم، إن التطور الطبيعي للكائنات البشرية إنما يكون نحو (الإشباع البناء) Constructive fulfillment لإمكاناتهم الفطرية، ويضيف "روجرز" "إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الإنسان واحد من أكثر الكائنات على ظهر هذا الكوكب حساسية، واستجابية، إبداعا ، وتكيفًا، ومن ثم فإذا أخبرني باحث ذو توجه "فرويدى" مثل "كارل مننجر" أنه يرى الإنسان حشيري بالفطرة > أو <مدمر بطبيعته> فإننى أعترض على ذلك" (Allen, 2000,p. 201f).

بناء الشخصية عند "روجرز"

تتلخص التصورات الرئيسية المكونة لنظرية "روجرز" فيما يلي :

- 1- الكائن العضوى Organism، هو الفرد بكلية.
- 2- المجال الظاهرى Phenomenal، وهو مجموع الخبرة.
- 3- الذات Self، وهو الجزء المتمايز من المجال الظاهرى، وتتكون من نمط الإدراكات والقيم الشعورية بالنسبة لـ "أنا" و "ضمير المتكلم" I or Me (هول، ولندزى، 1971، ص 612).

ولم يركز "روجرز" على المفاهيم البنائية، وفضل أن يكرس اهتمامه فى تغير الشخصية وتطورها، والمفهوم المركزيان فى نظريته أو حجر الزاوية فيها، إذ تعتمد عليهما هذه النظرية بأسرها، وهما الكائن العضوى، والذات، ونعرض لهما بشيء من التفصيل فيما يلي :

الكائن العضوى :

الكائن العضوى هو مناط الخبرات جميعا ومصدرها، وتشتمل الخبرة على كل ما هو متاح للوعى Awareness الذى يحدث داخل الكائن العضوى فى لحظة معينة، وتمثل هذه الخبرة الشاملة المجال الظاهرى Phenomenal field ، ومجال الظاهرة هو الإطار المرجعى الذى يمكن أن يعرفه الشخص نفسه فقط، وتعتمد تصرفات الفرد على المجال الظاهرى هذا (الواقع الشخصى)، ولا تعتمد على الظروف التى تنبه سلوكه (الواقع الخارجى)، والشخص السليم هو ذلك الشخص المتفتح على الحقائق التى تأتيه عن طريق خبرته الداخلية، والحقائق التى تأتيه بواسطة العالم الخارجى (Hall et al., 1998, p. 461f).

ويمتلك الكائن العضوى الخصائص الآتية :

- 1- يستجيب للمجال الظاهرى بوصفه كلا منظماحتى يشبع حاجاته.
- 2- له دافعا أساسيا واحدا وهو أن يحقق ذاته، ويصونه ويعززها.
- 3- قد يرمز إلى خبراته بحيث تصبح شعورية ، أو قد ينكر عليها الرمز بحيث تظل لا شعورية، أو قد يتجاهلها كلية (هول، ولندزى، 1971 ، ص 612).

الذات :

يتميز قسم من المجال الظاهري تدريجيا، ويصبح هذا القسم هو الذات Self، وتتصف الذات أو مفهوم الذات بأنها الكل المنظم المتسق الذى يتكون من إدراكات خصائص الذات (أنا ا، أو نفسى Me)، وإدراك العلاقات بين "أنا" والآخرين ومختلف جوانب الحياة، فضلا عن القيم المرتبطة بهذه الإدراكات، والذات كل شامل يصل إليه الوعى، ومع ذلك فإنه ليس الوعى بالضرورة، إنها كل مرن ومتغير، إنها عملية Process، ومع ذلك فإنها -فى لحظة محدودة- وحدة معينة (Hall et al., 1998, p. 463).

لقد طور "روجرز" نظريته من خلال عمله مع الأشخاص المضطربين انفعاليا كما أسلفنا، وقد تأثر بما رأى من إمكانية لدى الفرد وميل داخلى إلى التحرك فى اتجاه النمو والتطور وكذلك النضج والتغير الإيجابى، ويفترض "روجرز" فى علاجه غير الموجه أو < المتمركز حول الشخص > Person-centered therapy أن كل فرد (إذا أعطى الظروف المواتية) لديه الدافعية والقدرة على التغيير، وأنها أعظم الخبراء فى أنفسنا، ويتلخص دور المعالج فى أن يعمل مثل أداة توجيه الصوت فى الآلات الموسيقية، فى الوقت الذى يستكشف فيه الفرد ويحلل مشكلاته، وتختلف هذه الطريقة عن العلاج بالتحليل النفسى الذى يحلل فيه المعالج تاريخ المريض لتحديد المشكلة، ويصمم خط سير علاجه (هول، ولندزى، 1971، ص 613).

وتتكون الذات من كل الأفكار والإدراكات والقيم التى تميز "أنا" أو الشخص، كما تتضمن: من أنا؟ مالذى أقدر عليه؟ وتؤثر هذه الذات المدركة بدورها فى كل من إدراك الشخص للعالم وسلوكه، إن الشخص الذى يمتلك مفهوم الذات Self concept قويا وإيجابيا يرى العالم بشكل مختلف تماما عن شخص لديه مفهوم ذات ضعيف، وليس من الضرورى أن يعكس مفهوم الذات الواقع، فإن الشخص قد يكون ناجحا جدا ويرى نفسه على أنه فاشل (المرجع نفسه).

وتبعا لنظرية "روجرز" فإن الفرد يقدر كل خبرة فى علاقتها بمفهوم الذات لديه، إن الناس يريدون أن يتصرفوا بطرق تتسق مع صورة ذواتهم وخبراتهم ومشاعرهم، وتتسبب الخبرات والمشاعر غير المتسقة فى تهديد الشخص، وقد ينكر الشعور الاعتراف بها (المرجع نفسه).

والذات - وهى المفهوم النواة فى نظرية "روجرز" عن الشخصية- لها خصائص عدة منها :

- 1- أنها تنمو من تفاعل الكائن العضوى مع البيئة.
- 2- أنها قد تمتص قيم الآخرين وتدرجها بطريقة مشوهة.
- 3- تنزع الذات إلى الاتساق.
- 4- يسلك الكائن العضوى بأساليب تتسق مع الذات.
- 5- الخبرات التى لا تتسق مع الذات تترك بوصفها تهديدات.
- 6- قد تتغير الذات نتيجة للنضج والتعلم. (هول، ولندزى، 1971، ص 613).

وتظهر "الذات" فى حديثنا اليومى فى عبارات مثل (أنا أحب) و(السير تحت المطر يسعدنى) و(هذا ما أحبه)، والاعتقاد بأهمية الذات أحد العلامات المميزة لعلماء النفس من ذوى التوجه الإنسانى، وتعد خبرة الشخص مع الذات -من وجهة نظر "روجرز" - جانبا أساسيا فى الحياة، إنها تكون السلوك والمعرفة والمشاعر وتحددها (Allen, 2000, p. 203).

والذات الأخرى فى نظرية "روجرز" هى الذات المثالية Ideal - self إن كل واحد منا لديه فكرة عن نوع الشخص الذى يتمنى أن يكونه، إنها الذات التى يقدرها الفرد حق قدرها، ويرغب فى حيازتها، والتى يضع لها أعلى قيمة لنفسه (Allen, 2000, p. 204)، وكلما اقتربت الذات المثالية من الذات الواقعية أصبح الشخص محققا ذاتهمنجزا وسعيدا، أما المفارقة الكبيرة بين الذات الواقعية والذات المثالية، فيتربت عليها أن يكون الشخص تعسا غير راض عن حياته.

الذات بوصفها إدراكا للذات :

على الرغم من أن "روجرز" لم يقدّم بتعريف الشخصية بشكل رسمى، إلا أنه عرف "الذات" بأنها: "الكل المنظم والمتناغم الذى يتكون من الإدراكات التى تميز قول "أنا" أو ضمير المتكلم Me، والقيم التى نلحقها بهذه الإدراكات والعلاقات بين "أنا" أو ضمير المتكلم ومختلف جوانب الحياة، ومن الواضح أن هذا التعريف يركز على الأصول الإدراكية للذات: "ذات الشخص هى مجموع إدراكاته، والذات مكافئة وظيفيا لمفهوم الذات" كل التقويمات الخاصة بوظائفه بوصفه إنسانا، والعلاقات الإنسانية التى يستخدمها لتنظيم خبراته وتفسيرها" (Allen, 2000, p.204).

تطور الذات :

يتعرض الكائن العضوى والذات لتأثيرات قوية من البيئة لا سيما البيئة الاجتماعية، ولم يورد "روجرز" جدولا زمنيا للمراحل المهمة التى يمر بها الفرد من الطفولة إلى النضج، وهذا ما قام به معظم أصحاب النظريات التى تمتد جذورها إلى العمل الإكلينيكي من أمثال: "فرويد، سوليفان، وإريكسون" وبدلا من ذلك فقد ركز "روجرز" على الطرق التى يقوم بها الآخرون الشخص، وبخاصة فى مرحلة الطفولة (Hall et al., 1998, p. 466f).

ويقوم الآباء والأمهات وغيرهم بتقويم سلوك الطفل بصورة مستمرة، ويتم ذلك بشكل إيجابى أحيانا، وسلبى أحيانا أخرى، ونتيجة لذلك فإن الطفل يتعلم بسرعة أن يميز بين الأفكار والأفعال التى يراها جديرة بأن يقوم بها أو غير جديرة، ومن ثم فإن الخبرات غير الجديرة تستبعد من مفهوم الذات، على الرغم من أنها قد تكون خبرات صادقة تماما وطبيعية، مثال ذلك أن إنهاء التوتر الفيسيولوجى فى المثانة يعد خبرة سارة بالنسبة للطفل، ومع ذلك فإذا لم يتبول الطفل بشكل خاص فى المكان المناسب فإن الآباء عادة يدينون هذه النشاطات، ويرون أنها سيئة، وحتى يحتفظ الطفل بمشاعر الوالدين الإيجابية فإنه يجب أن ينكر خبرته الخاصة تلك، وهى أن التبول يتسبب فى نوع من الرضا بالنسبة له (أحمد عبد الخالق 1991، ص ص 470-471).

إن مشاعر المنافسة والعدوانية تجاه أخ صغير انتزع مركز الاهتمام تعد تعد مشاعر طبيعية، ولكن الآباء والأمهات لا يوافقون على أن يضرب الأخ أخاه الصغير أو أخته، وعادة يعاقبونه إن حدث ذلك، ويجب أن يقيم الأطفال نوعا من تكامل هذه الخبرة داخل صورة الذات لديهم.

ويقول الأطفال غالبا عبارة من هذه العبارات الثلاث :

- 1-إنهم سيئون ويجب أن يشعروا بالخجل.
- 2-قد يقررون أن آباءهم لا يحبونهم ويشعرون برفضهم لهم.
- 3-قد ينكرون مشاعرهم ويقررون أنهم لا يريدون أن يضربوا الرضيع.

ويتضمن كل اتجاه من هذه الاتجاهات تشويها للحقيقة، وتعد العبارة الثالثة أسهل الاحتمالات بالنسبة للطفل، فيقبلها، ولكنه عندما ينفذها فإنه ينكر مشاعره الحقيقية، التي تصبح -عندئذ- لا شعورية، وكلما وجب على الناس أن ينكروا مشاعرهم الخاصة ويتقبلوا قيم الآخرين فإنهم سيشعرون بالضيق بالنسبة إلى أنفسهم (المرجع نفسه).

ويؤكد "روجرز" أهمية الاستجابة للطفل باعتبار وتقدير إيجابي غير مشروط، هذا الاهتمام والانشغال به هو أفضل بداية بمجرد خروجه من الرحم إلى الحياة، ويوصى "روجرز" باستخدام أسلوب "ليبوير" Leboyer الآمن والهاديء في ولادة الأطفال (الضوء الخافت، والسكون، والملاطفة، والغمر في ماء دافئ)، وذلك بدلا من الطريقة التي قد تلحق الضرر بالطفل (ضوضاء صاخبة، أضواء مزعجة، وصفعات)، إن الدخول إلى الحياة الجديدة تدريجيا بلمسة حب واهتمام هو أفضل كثيرا للنمو النفسى للطفل من تعريضه المفاجيء لكل أنواع المثيرات المفزعة، وإرغامه على الدخول إلى حياة جديدة مخيفة، فمن الأفضل التخلص من كل صور الصراخ والرعب والتعامل العنيف مع الطفل كما في النمط التقليدى (محمد السيد عبد الرحمن، 1998، ص 415).

كما ينصح "روجرز" بضرورة معاملة الطفل بطريقة ديمقراطية، وبوصفه شخصا مستقلا وجديرا بالتقدير، يحق له تقدير خبرته بطريقته الخاصة، وأن يقوم باختياراته من خلال عمليات تقويم ذاته بوصفه كائنا عضويا، والوالدان أيضا مؤهلان للاحترام، ويجب أن يحصلوا على حقوقهما التي لا يمكن تجاهلها من قبل الطفل (المرجع نفسه).

النمو والضبط الداخلى والشخص المجرب :

يرى "روجرز" أن الناس يميلون إلى التطور فى اتجاه إيجابى، فما لم يحبطوا أو يخذلوا فإنهم يحققون إمكاناتهم، ويمكن تتبع هذه الفكرة إلى الفيلسوف السياسى الفرنسى فى القرن الثامن عشر : "جان جاك روسو"، الذى أعتقد فى الجدارة الفطرية للإنسان، ورأى "روسو" أن المدارس يجب أن تشجع التعبير عن النفس أكثر من محاولة فرض النظام على السلوك غير الملائم، وقد اتخذ علماء النفس من أصحاب التوجه الإنسانى موقفا مماثلا، فيرى "روجرز" أن الشخص السليم من الناحية النفسية هو ذلك الشخص الذى يمتلك مفهوم ذات يمكنه أن يتفهم ويتقبل مشاعر وخبرات متعددة، فإن الضبط

الذاتي Self – control الداخلى أمر صحى أكثر من الضبط الخارجى القسرى (Friedman & Schustack, 1999, p. 296).

تحقيق الذات

يعتقد "روجرز" أن القوة الرئيسية التى تدفع الكائنات الأدمية هى تحقيق الذات Self-actualization، وهى الميل نحو الإنجاز وتحقيق النجاح، والميل نحو المحافظة على الكائن العضوى النامى يبحث عن إشباع إمكاناته وتحقيقها خلال حدود وراثته، وقد لا يدرك الشخص - بشكل واضح دائما- أى الأفعال تؤدى إلى النمو، وأى الأفعال ترجع به إلى الوراء، ولكن مجرد كون الطريق واضحا فإن الفرد يختار أن ينمو لا أن يتقهقر، ولا ينكر "روجرز" أن هناك حاجات أخرى، وأن بعضها بيولوجية، ولكنه ينظر إليها على أنها ثانوية وتابعة لدافع الكائن العضوى إلى أن يتقدم، ويحافظ على نفسه (أحمد عبد الخالق، 1991، ص 471 ب).

وتحقيق الذات عملية تجسيد لإمكانات الفرد وجعلها واقعا حقيقيا حتى يمكن للشخص أن يقوم بأقصى وظائفه، وتستمر هذه العملية طوال حياة الفرد، وهدف تحقيق الذات أن يصبح الشخص ذاته الحقيقية، ويتجه تحقيق الذات نحو (الحياة الجديدة).

وربط "روجرز" بين عملية تحقيق الذات وتقدم الفرد فى قيامه بواجباته ووظائفه فى ثلاث مجالات كما يلى :

- 1- يتضمن تحقيق الذات زيادة فى الانفتاح على الخبرة، وتشتمل الأخيرة على كل الانفعالات، والجوانب المعرفية، والإدراكات التى تحدث داخل الفرد فى أية لحظة معينة، ويتمكن من الاهتمام بها على المستوى الشعورى، والوعى Awareness هو التفهم الشعورى للخبرة.
- 2- يعيش الشخص المحقق ذاته وجوده، يتناغم وينسجم مع كل لحظة من لحظات حياته، ويشارك بشكل كامل فيها، ويتسم هذا الشخص بإدراكه الدقيق لعنصر الوقت، ويخبر الحياة ويعيشها فى الزمان والمكان الراهن، دون إدراك مسبق متصلب ينظر إلى الأمور الراهنة على أنها يجب أن تسير كما كانت عليه فى الماضى، ومن دون التحكم فى ما يجب أن تكون عليه الأمور فى المستقبل.

3- يضع الشخص المحقق ذاته كل ثقته فى حدسه الأدمى، وينفذ ما يشعر أنه صواب بعد أن يزن كل المعلومات المتاحة، ولا يعتمد كثيرا على الماضى ولا على الموضوعات الاجتماعية، ويقدر هذا الشخص كذلك الإرادة الحرة، والثقة فى الطبيعة البشرية، وفى قيمة الحياة (Allen, 2000, p. 418).

إن الشخص المحقق ذاته قريب من الخبرة الداخلية، تلك الخبرة التى يترتب عليها النمو بشكل طبيعى وفطرى، وتلك هى عملية التقويم التى يقوم بها الكائن العضوى، إنها مرشد شبه شعورى يقوم الخبرة لبحث إمكانية نموها، إنها تجذب الفرد نحو الخبرات المسببة للنمو، وتبتعد به عن تلك الخبرات التى تعوق النمو، ومن ثم فإن الخبرة الداخلية - وليست القواعد الخارجية - هى التى توجه اختياراتنا (Cloninger, 2000, p. 418).

خصائص الشخص المحقق ذاته بشكل كامل :

وضع "روجرز" قائمة بخصائص الشخص المحقق ذاته بشكل كامل، وهذه الخصائص تعد كذلك علامات على الصحة النفسية، ويلخصها الآتى :

خصائص الشخص المحقق ذاته

- 1- متفتح على الخبرة فى جانبيها : الذاتى والموضوعى.
 - 2- يعيش كل لحظة فى حياته بشكل كامل ومرن وتكيفى.
 - 3- يثق بخبرته الداخلية بوصفها قائدة لسلوكه.
 - 4- يدرك حاجاته ومشاعره الداخلية والمواقف الاجتماعية دون تشويه.
 - 5- يمارس حرية الاختيار فى كل لحظة.
 - 6- يعيش حياته بطريقة مبتكرة، ويبحث عن طرق جديدة للعيش، مع القدرة على التكيف معها.
- (Cloninger, 2000, p. 419).

المسائل الأساسية فى نظرية الذات

عرض "روجرز" بعض القضايا أو المسائل الأساسية فى نظرية الذات، و"الذات" مركز نظريته فى الشخصية، وأساس طريقته فى العلاج غير الموجه، أو المتمركز حول العميل أو الشخص، ونعرض لهذه المسائل بشيء من الإيجاز فيما يلى: (انظر: سيد غنيم، 1975، ص ص 761-768، هول، واندزى، 1971، ص ص 613-625).

- 1- "يوجد كل فرد فى عالم من الخبرة دائم التغير، هو مركزه"، والعالم الخاص بالفرد عالم لا يعرفه بمعنى كامل إلا الشخص نفسه، فالشخص أحسن مصدر للمعلومات عن نفسه.
- 2- يستجيب الكائن العضوى للمجال كما يخبره ويدركه، ومن ثمة فإن معرفة المنبه لا تكفى للتنبؤ بالسلوك، فلا بد من أن نعرف كيف يدرك الشخص هذا المنبه.
- 3- يستجيب الكائن العضوى للمجال الظاهرى بوصفه كلا منظما، وتكون استجاباته موجهة نحو هدف.
- 4- للكائن العضوى نزعة واحدة أساسية لإبقائه وتقويته، ولتحقيق وجوده حيث يعيش الخبرة، إن الكائن العضوى نظام واحد دينامى، فهناك من ناحية قوة دافعة واحدة، وهدف واحد للحياة من ناحية أخرى.
- 5- السلوك فى أساسه محاولة موجهة نحو هدف، هو إشباع الحاجات التى يخبرها للكائن العضوى فى مجاله وكما يدركه، وعلى الرغم من أن الحاجات كثيرة فإنها جميعا تخدم النزعة الأساسية للكائن العضوى لحفظ ذاته وتدعيمها.
- 6- يصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو هدف، ويسهل له مهمته بوجه عام، والانفعال ليس عامل هدم، بل أمر نافع لتحقيق التوافق.
- 7- إن أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعى الداخلى للفرد نفسه، ويعد تقرير الفرد بنفسه عن نفسه مصدرا ممتازا للبيانات النفسية.
- 8- يتميز جزء من المجال الإدراكى الكلى بالتدرج ليكون الذات، والذات هى وعى الفرد بوجوده ونشاطه، أو هى مجموع الخبرات التى تنسب جميعا إلى شيء واحد: "أنا" أو "ضمير المتكلم".
- 9- يتكون بناء الذات بشكل خاص نتيجة لعاملين هما: التفاعل مع البيئة، والأحكام التقويمية للأخريين، والذات نمط تصورى منظم، مرن ولكنه نمط متسق من الإدراكات والعلاقات التى

تقوم بها "أنا" أو "ضمير المتكلم" مع القيم التي ترتبط بهذه المفاهيم، وتساعد الخبرة مع الآخرين على تنمية الإحساس بالذات، وللأباء دور كبير فى بنائها.

10-القيم المرتبطة بالخبرات، والقيم التي تشكل جزءا من بناء الذات قيم يخبرها الكائن العضوى بصورة مباشرة أحيانا، ويستدمجها أو يأخذها من الآخرين فى أحيان أخرى، ولكنها تدرك بطريقة مشوهة كما لو كانت خبرت بشكل مباشر.

11-تتحول خبرات الفرد التي تحدث له فى حياته إلى أحد الأشكال الآتية :

أ-صورة رمزية تدرك وتنظم فى علاقة ما مع الذات.

ب-يتجاهلها الفرد حيث لا تدرك لها علاقة ببناء الذات.

ج-يحال بينها وبين الوصول إلى صورة رمزية مشوهة، لأنها لا تتسق مع بناء الذات. وتسلم هذه القضية بأن الإدراك انتقائى، ويتحدد هذا الانتقاء بمحك أساسى هو مدى اتساق الخبرة مع صورة الذات لدى الفرد فى أثناء عملية الإدراك.

12-تتسق معظم الطرق التي يختارها الفرد لسلوكه مع مفهومه عن نفسه، ولذا فإن أحسن طريقة لإحداث تعديل فى السلوك يكون بإحداث تغيير فى مفهوم الذات، وهذا ما تحاوله نظرية العلاج المتمركز حول العميل أو حول الذات أو حول الشخص.

13-قد يصدر السلوك عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوى التعبيرالرمزى، وقد لا يتسق هذا السلوك مع بناء الذات، وفى مثل هذه الحالات لا يكون السلوك منتميا للفرد، كأن يقول الفرد لنفسه: " لقد خرجت عن طورى"، أو "لم يكن هذا خليقا بى"، أو "لماذا أقدمت على هذا الفعل".

14-ينشأ سوء التوافق النفسى حين يمنع الكائن العضوى عددا من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعى، ويؤدى ذلك بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صورة رمزية، وإلى عدم انتظامها فى منظومة (جشلتت) بناء الذات، ويسبب مثل هذا الموقف قدرا كبيرا من التوتر النفسى.

15-يتحقق التوافق النفسى عندما يصبح مفهوم الذات فى وضع يسمح لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن العضوى بأن تصبح متمثلة فى مستوى رمزى، وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات.

16-تدرك أى خبرة لا تتسق مع مفهوم الذات أو بنائها بوصفها تهديدا، وكلما ازداد هذا النوع من المدركات ازداد الجمود فى تنظيم بناء الذات حتى يتسنى له المحافظة على بقائه.

17- فى ظل ظروف خاصة تتضمن أساسا انتقاء أى تهديد للذات، يصبح إدراك الخبرات التى لا تتسق مع مفهوم الذات أمرا ممكنا، كما يصبح من الممكن مراجعة بناء الذات بشكل يسمح بتمثل هذه الخبرات وجعلها متضمنة فى بناء الذات، وهذا ما يحدث فى العلاج المتمركز حول العميل أو الشخص.

18- عندما يدرك الشخص ويتقبل -فى جهاز متسق ومتكامل- كل خبراته الحسية والحشوية، فإنه يصبح بالضرورة أكثر تفهما للآخرين وأكثر تقبلا لهم، وذلك إحدى نتائج العلاج، حيث تنمو العلاقات الشخصية المتبادلة الطيبة مع الآخرين.

19- عندما يدرك الشخص ويتقبل فى بناء ذاته مزيدا من خبراته العضوية يكتشف أنه يستبدل بجهاز القيم الحالى لديه عملية تقويم متصلة ومستمرة.

20- يسعى الفرد إلى الحصول على تقدير الآخرين واحترامهم، وعندما يصبح الاعتبار الاجتماعى Social regard مهما بالنسبة للشخصية فإنه قد يسيطر على الوظائف والديناميات الداخلية للذات العضوية.

21- لدى الفرد حاجة إلى اعتبار الذات Self - regard واحترامها، وتسير هذه الحاجة جنبا إلى جنب وبشكل متميز مع الحاجة إلى الاعتبار الاجتماعى (سيد غنيم، 1975، ص ص 761-768؛ هول، ولندزى، 1971، ص ص 613-625).

الاتساق والتناغم بين الذات والخبرة

من الممكن أن يكون مفهوم الذات متقفا مع الخبرات المرتبطة بالذات، فعندما يكون الفرد فى حالة تناغم أو اتساق فإن مفهوم الذات لديه يكون متسقا مع الخبرات المرتبطة بالذات، ويكون الميل إلى التحقق عندئذ صحيا وموحدا، ومن ثم يكشف الفرد عن النضج والتوافق النفسى، وعلى العكس من ذلك فإن عدم التناغم يعكس عدم الاتساق بين مفهوم الذات والخبرات المرتبطة بالذات، ومن الممكن أن تكون إدراكات الفرد غير صحيحة، نظرا لأن معتقداته متصلبة، أو مشوهة أو خيالية أو زائدة التعميم (Allen, 2000, p. 204).

وتفصيل ذلك أن المفاهيم البنائية الأساسية فى نظرية "روجرز" هى الكائن العضوى والذات كما أسلفنا، وقد يحدث التطابق والانسجام بينهما وقد لا يحدث، فإذا كانت الخبرات الرمزية التى تكون (الذات) تعكس بصدق خبرات الكائن العضوى، فإن الشخص يقال عنه : إنه متوافق وناضح، ويضطلع بوظائفه على أحسن وجه، ومثل هذا الشخص يقبل كل خبرات الكائن العضوى دون تهديد أو قلق، ويصبح قادرا على التفكير بطريقة واقعية، ومن ناحية أخرى فإن عدم الانسجام بين الذات والكائن العضوى يجعل الفرد يشعر بالتهديد والقلق، ويتصرف بطريقة دفاعية، ويصبح تفكيره ضيقا ومحدودا وجامدا (Hall et al., 1998, p. 463).

وتبعا لنظرية "روجرز" فإن الفرد يقدر كل خبرة فى علاقاتها بمفهوم الذات لديه، إن الناس يريدون أن يتصرفوا بطرق تتسق مع صورة ذواتهم وخبراتهم ومشاعرهم، وتتسبب الخبرات والمشاعر غير المتسقة فى تهديد بالنسبة للشخص، وقد ينكر الشعور الاعتراف بها، وكلما زادت مجالات الخبرة التى يتعين على الشخص إنكارها نتيجة لعدم اتساقها مع مفهوم الذات لديه، اتسعت الهوة بين الذات والواقع، وزاد احتمال حدوث القلق، إن الشخص الذى لا تتسق صورته عن ذاته مع مشاعره الذاتية وخبراته يجب أن يدافع عن نفسه ضد الحقيقة؛ لأن هذه الحقيقة سينتج عنها قلق، وإذا أصبح عدم الاتساق كبيرا جدا فإن الدفاعات يمكن أن تنهار، وينتج عن ذلك قلق شديد أو غير ذلك من أشكال الاضطراب الانفعالى، وعلى العكس من ذلك فإن الشخص حسن التوافق يكون مفهوم الذات لديه متسقا مع أفكاره وخبراته وسلوكه، وتكون الذات لديه مرنة غير متصلبة، ويمكن أن تتغير كلما استوعبت خبرات وأفكار جديدة.

يوجد فى نظرية "روجرز" إذا مظهران للانسجام أو عدم الانسجام :
أولهما: الانسجام أو عدمه بين الواقع الذاتى (المجال الظاهرى) والواقع الخارجى (العالم الخارجى كما هو).

ثانيهما: درجة التطابق بين الذات والذات المثالية، فإذا كانت المفارقة بين الذات والذات المثالية كبيرة يصبح الشخص ساخطا غير قانع وغير متوافق (Hall et al., 1998, p. 463f).

ديناميات الشخصية

يرى "روجرز" أن الكائن العضوى لديه ميل أساسى وسعى حثيث نحو تحقيق ذاته والحفاظ عليها وتطوير خبراتها، وهناك قوة دافعة وحيدة ؛ هى الدافع إلى تحقيق الذات، ومن ناحية أخرى فهناك هدف واحد للحياة : أن نصبح محققين لذواتنا متكاملين، مطورين لأنفسنا، ويرى "روجرز" أن السلوك -فى المقام الأول- محاولة موجهة نحو هدف يقوم بها الكائن العضوى لإشباع حاجاته كما يخبرها ويدركها (Hall et al., 1998, pp. 464- 466).

وعلى الرغم من الوجهة الأحادية فى نظرية "روجرز" للدافعية، فقد وجه اهتماما خاصا إلى نوعين من الحاجات هما الحاجة إلى الاعتبار أو التقدير الإيجابى Positive regard والحاجة إلى احترام الذات Self - regard وكلاهما حاجات متعلمة، وتتطور الأولى فى الطفولة نتيجة لكون الوليد محبوسا، ومعتنى به، وتتكون الثانية اعتمادا على تلقى الوليد الاحترام والتقدير الإيجابى من الآخرين (المرجع نفسه).

نبذة مختصرة عن العلاج المتمركز حول الشخص

يرتبط اسم "كارل روجرز" في أعين كثير من علماء النفس بالعلاج غير الموجه، أو المتمركز حول العميل أو الشخص، وقد وضع "روجرز" نظريته في الشخصية اعتمادا على خبراته العلاجية، فلا بأس من عرض موجز لهذه الطريقة حتى تكتمل صورة هذه النظرية.

يذكر "روجرز" أن العلاج المتمركز حول العميل أو الشخص يعني أن المعالج قد تمكن من الدخول في علاقة شخصية وثيقة وذاتية مع ذلك العميل، وهي علاقة ليست كعلاقة العالم بموضوع دراسته، ولا كعلاقة الطبيب المتوقع شفاء المريض، وإنما هي علاقة شخص بشخص، إنها تعنى أن المعالج يحس بأن هذا العميل شخص ذو قيمة في حد ذاته بلا قيد أو شرط، له قيمة بصرف النظر عن حالته وسلوكه ومشاعره، إنه تعنى أن المعالج يستطيع أن يطلق لنفسه العنان في فهم هذا العميل، وأنه لن تعوقه أى عوامل داخلية عن الإحساس بوضع نفسه في مكان العميل في كل لحظة من لحظات العلاقة، وأنه يستطيع أن ينقل بعضا من هذا الفهم المتعاطف إلى العميل، إنها تعنى أن المعالج قد ارتاح تماما إلى الدخول في تلك العلاقة ودون أن يدرى معرفيا بما ستؤدى إليه، مكتفيا بتوفير جو سحرر العميل ليصبح ذاته (هول، ولندزى، 1971، ص 610).

وبالنسبة للعميل فإن هذا العلاج الأمثل يعنى استكشافا لمشاعر مجهولة وخطيرة ومتزايدة الغرابة في نفسه، ولا يصبح هذا الأمر ممكنا إلا لأن العميل يدرك تدريجيا أنه مقبول بلا قيد أو شرط، وهكذا يتعرف إلى عوامل في خبرته، أنكرت فيما مضى على الوعي بوصفها مهددة ومدمرة لبناء الذات، فيجد نفسه يخبر هذه المشاعر بكليتها وتامها في هذه العلاقة، بحيث يكون في لحظة هو خوفه أو غضبه أو رفته أو قوته، وفي أثناء عيشه لهذه المشاعر الواسعة التنوع بكل درجات شدتها يكتشف أنه يخبر نفسه وأنه هو كل تلك المشاعر، ويجد سلوكه يتغير بطريقة بناء وفقا لهذه الذات المعيشة الجديدة، ويقترب من إدراك انه لم يعد يخاف ما تأتى به الخبرة، بل يستطيع أن يفتح لها ذراعيه مرحبا بوصفها جزءا من ذاته المتغيرة النامية (المرجع نفسه).

ولقد نال العلاج غير الموجه رواجاً كبيراً بين الإختصاصيين النفسيين، لأنه مرتبط بتاريخياً بعلم النفس أكثر من ارتباطه بالطب، ويقال أنه من السهل تعلمه، ولا يتطلب للاستخدامه معرفة -أو معرفه ضئيلة- بتشخيص الشخصية ودينامياتها، فضلاً عن ذلك فإن فترة العلاج قصيرة نسبياً بالمقارنة إلى التحليل النفسي مثلاً، ويقال أن بعض العملاء استفادوا بعد عدة جلسات علاجية (المرجع نفسه).

وكان "لروجرز" تأثير كبير في ممارسة العلاج النفسي بطريقته غير الموجهة، ففي هذا النوع من العلاج يميل المعالج إلى أن يكون مسانداً Supportive، ولا يوجه المسترشد وجهة معينة، ولكن المعالج يبدي تفهمه لمشكلات المسترشد، ويقدم له احتراماً غير مشروط، وقد رأى "روجرز" -خلال سنى عمله في توجيه الطفل وعلم النفس الإكلينيكي- أن العميل -وليس المعالج- هو الذى يفهم جيداً أين تكمن المشكلات، وفي أى اتجاه يجب أن يبدأ العلاج ويستمر، وقد نظر "روجرز" إلى الشخص على أنه "عملية" Process؛ أى : مجموعة متغيرة من الإمكانيات، وليس مقداراً ثابتاً من السمات، وفي مثل هذا الجو النفسى الداعم لعلاج "روجرز" الموجه نحو العميل فإن الشخص يتعلم أن يسقط القناع الذى يرتديه، ويصبح أكثر انفتاحاً وثقة فى نفسه (Friedman & Schustack, 1999, p. 297).

ووضع "روجرز" شرطين ضروريين حتى يحدث تغير بناء فى الشخصية خلال العلاج النفسى:
أولاً: أن المعالج يقدم للعميل الاحترام والاعتبار الإيجابى غير المشروط.
ثانياً: أن يمر المعالج بخبرة الفهم الوجدانى للإطار المرجعى للعميل، ويوصل هذه الخبرة للعميل.

بكلمات أخرى فإن المعالج الناجح يشعر بما لدى العميل من توترات ومشاعر غير ملائمة، ويعيدها مرة ثانية إلى العميل، ومن ثم يساعده على أن يصبح أكثر نضجاً وتكاملاً، وقد قادت هذه المبادئ إلى تدريب عدد لا حصر له من المعالجين (المرجع نفسه).

وتعرض "سوزان كلوننجر" لأهم الظروف الضرورية والمناسبة للعملية العلاجية من وجهة نظر "روجرز" وهي كالتالى :

الظروف الضرورية

والمناسبة للعملية العلاجية تبا لطريقة "روجرز"

- 1-شخصان فى علاقة نفسية.
- 2-العميل فى حالة عدم اتساق، معرض للإضطراب والقلق.
- 3-المعالج فى حالة اتساق أو تناغم، ومندمج فى هذه العلاقة.
- 4-يحمل المعالج تقديرا إيجابياغير مشروط للعميل.
- 5-لدى المعالج تفهم وتعاطف مع الإطار المرجعى الداخلى للعميل، ويسعى إلى توصيل هذه الخبرة للعميل.
- 6-تواصل العميل مع الفهم المتعاطف والتقدير الإيجابى غير المشروط للمعالج يتحقق عند أقل درجة.

تقويم نظرية "روجرز"

"روجرز" له تأثير كبير في كل من علم نفس الشخصية والعلاج النفسي، فقد أضاف كثيرا إلى فهم الناس بوصفهم كلا شاملا، وإلى تقدير العلاقات بين الأشخاص التي تتصف بالرعاية والاهتمام، وإلى فهم عمليات نمو الشخصية، وإلى التفتح العلمي والمرونة النظرية، وقد نقد محاولات فهم الإنسان سلوكيا وآليا من خارجه في إطار موضوعي يغفل الجوانب الشخصية الخاصة بالإنسان من الداخل، كما أكد الثقة في الإنسان، ويرى أن لديه إمكانات فطرية وطبيعية للنمو، والفهم والتغير والتوجه نحو تحقيق أهدافه، وفي الاستخدام المسؤول للحرية الشخصية (Allen, 2000, pp. 210-212).

وقد أكد "روجرز" دور الرعاية والعلاقات بين الشخص في عملية تطوير الشخصية والمحافظة عليها وتغييرها، وفي العلاج الموجه نحو الشخص لا يعد المعالج لوجا أبي ولا فنيا آليا خبيرا، بل هو شخص إنسان قابل للنمو، ومندمج في سعي إنساني أصيل، ويتأثر من "روجرز" فقد عدل المعالجون السلوكيون من إجراءاتهم لتكون أكثر إنسانية، ولا تغفل العلاقات بين الأشخاص، وأدخل "روجرز" تغييرا كبيرا على مجال العلاج النفسي من خلال إخضاع ملاحظاته الإكلينيكية للبحث، مع عرض جلسات علاجية كاملة على شريط فيديو وعلى صفحات كتاب، كلمة كلمة وبالتفصيل، وقد حدث ذلك لأول مرة في تاريخ العلاج النفسي (المرجع نفسه).

ومع ذلك فهناك جوانب ضعف محددة في نظرية "روجرز" في الشخصية، وكذلك طريقة العلاجية أهمها الآتى :

- 1- صعوبة ترجمة بعض المفاهيم إلى صورة قابلة للاختبار.
- 2- مشكلات متصلة بقبول التقارير الذاتية.
- 3- عدم ملاءمة العلاج غير الموجه لبعض الأفراد (المرجع نفسه).

وعلى الرغم من أن النظرية لها مؤيدون متحمسون فقد نقدت من آخرين، واستبعدت لكونها نظرية ساذجة عن الطبيعة البشرية، كما أنها نظرية مسرفة في التفاؤل فيما يخص جدارة الناس وصلاحهم وطيبتهم، وذلك أكثر مما يعتقد كثير منا، فهي مسرفة في التفاؤل بخصوص الطبيعة البشرية من دون إدراك للمدى الواسع لقدرة الإنسان على فعل الشر، وإن إهمال المعالجين في هذا المنحى للجانب الشرير في الطبيعة البشرية جعلهم غير مهئين للتعامل بكفاءة مع الانفعالات السلبية كالغضب والعدوان لدى العميل، كما أن النمو الإنساني ليس دائماً صوب الأحسن، وعلى العكس من فرض الميل إلى تحقيق الذات فقد يكون النمو أيضاً -كالسرطان - نحو التدمير (Cloninger, 2000, p. 432).

الفصل السادس

نظرية إريك أريكسون

حول الشخصية

مقدمة

على عكس كل من يونج وأدلر وهورنى وفروم وسوليفان الذين اختاروا جميعاً رفض نموذج الطاقة النفسية الذى وضعه فرويد. اختار بعض المنظرون العودة له مرة أخرى مع بعض التعديل، ويقبول للمبادئ الأساسية لفرويد كالنشاط الجنسى الطفولى والصراعات اللاشعورية والنموذج التركيبى للشخصية، وباستخدام بعض كتابات فرويد الأخيرة كنقطة انطلاق أخذ هؤلاء المنظرين يبحثون عن إعادة التوازن المفقود عن طريق التركيز على قوة الأنا العقلانية، وهو ما أصبح معروفاً بعلم نفس الأنا ومن العلماء الذين ساهموا فى تطوير علم نفس الأنا بول فيدمر Fedrem,P وأنا فرويد Freud,A، هينز هارتمان Hartman,H. وارنيسـت كريس Kris,E لوفنشـتين Loewenstin، ودافيد رابابورت . Rapaport,D. وعلى سبيل المثال فقد أكد هارتمان على أن وظائف كاللغة، والذاكرة، والمهارات الحركية والتفكير، هى من وظائف الأنا، وشبه الأنا بمركز الوطنية والسلام فى بلد تحدث الحروب على حدودها، كما حافظ هارتمان على المظهر المقبول للفرويديين الجدد والميتافزيقيين .

لكن يعتبر ما حققته نظرية الأنا من الانتشار والاهتمام المهنى لم يكن ليحدث لولا هذا الرجل غير العادى المبدع الذى دخل دائرة فرويد فعليا وعمره (25 سنة) بدون أية درجة جامعية على الإطلاق، وخرج بعد ذلك كواحداً من أوائل المهتمين بعلم نفس الطفل، كما أسهم بمصطلح أزمة الهوية Identity Crisis فى تفسير الكثير من ظواهر مرحلة المراهقة.

إريك هومبرجر إريكسون Erik H. Erikson

نشأته وحياته

ولد "إريكسون" في الخامس عشر من مايو عام (1902 م) في فرانكفورت بالمانيا لوالدين دنماركيين وكان أبوه بروتستانتى ترك الأسرة قبل ولادة إريكسون وتزوجت أمه بعد ثلاث سنوات من عمر إريكسون من الدكتور تيودر هومبرجر طبيب الأطفال الذى كان يعالج ابنها وكان يعتقد اليهودية وهى نفس ديانة الأم. وعاش فترة طويلة تحت رعاية الأم وزوجها ناسياً تلك الفترة التى عاشها مع الأم بمفردها. وخلال العقود الأربعة الأولى من عمره عرف باسم إريك هومبرجر إلى أن أصبح مواطن امريكى الجنسية عام 1939 ففضل أن يحمل اسمه الحقيقى وهو "إريك إريكسون"، أما مصدر الألم الآخر الذى كان من أسباب تميع الهوية عند "إريكسون" هو التناقض بين وراثة إريك لليهودية (عن أمه وزوجها) وبين ما لديه من خصائص شعوب شمال اوربا وما تميز به من طول القامة والشقرة وزرقة العيون، وهو ما جعله مرفوض من جماعات الطفولة فى كلا المجموعتين، ولقد انعكس ذلك عليه فى السنوات الأخيرة من عمره.

كان إريكسون طالباً متوسط التعليم لم يحصل على شهادة جامعي من أى نوع ، وخلال العشرين سنة الأولى كان هائماً على وجهه إلى أن درس فى مدارس الفن ورسم صوراً زيتية للأطفال، وعانى من مشاكل نفسية تتأرجح بين العصاب والذهان وكان يصف نفسه بأنه نابغ منذ صغره ولكنه بلا مأوى. وفى صيف عام 1927 تحرك الى (فيينا-بالنمسا) وقبل العمل كمعلم للأطفال فى مدرسة صغيرة أنشئت لأطفال مرضى وأصدقاء فرويد، وتمتع بتبنى حقيقى من قبل أنصار "فرويد"، ومنذ ذلك التاريخ بدأ يتلقى تدريبات فى التحليل النفسى للطفل، وفى سبيل الحصول على هوية توجه "إريكسون" إلى كوبنهاجن (بالدنمارك) ليحصل على الجنسية الدنماركية وليؤسس أول مركز فى التحليل النفسى هناك، لكنه فشل فى تحقيق الهدف، وعندما تنبأ بقدم التهديد النازى هاجر من الدنمارك إلى بوسطن بأمريكا عام 1923، وفيها أصبح أول من مارس التحليل النفسى فى هذه المدينة، والنحق بالعمل فى عيادة "هنرى موراي" فى هارفرد.

وفى عام 1936 - 1939 عين فى قسم الطب النفسى بمعهد العلاقات الإنسانية بجامعة ييل Yale ، ولقد اتاح له هذا المنصب حرية كاملة ليتابع ما يرغب من بحوث، وفى عام 1939 انتقل إلى سان فرانسيسكو حيث استأنف عمله فى التحليل النفسى للأطفال وواصل اهتمامه بالانثروبولوجيا والتاريخ، وفى عام 1942 م اصبح استاذ لعلم النفس فى جامعة كاليفورنيا بيركلى وشارك فى الدراسة الطولية المشهورة " دراسة توجيه الطفل" تحت اشراف "جين ماكفرلين" J.Macfarline، وتبع ذلك فترة مكثفة من الملاحظة الاكلينيكية قضاها "إريكسون" ليرسخ هويته المهنية كمحلل نفسى عن طريق التأليف، وفى عام 1950 نشر "إريكسون" أول كتبه (الطفولة والمجتمع) Childhood & Society الذى اكتسب شهرة واسعة واعيد طبعه عام 1963، ورغم أنه ألف بعد ذلك سبع كتب أخرى فإن كتابه الطفولة والمجتمع اعتبر أهم كتبه لأنه يقدم فيه الموضوعات التى شغلته بقية حياته.

وبعد تخليه عن منصبه فى جامعة كاليفورنيا كاحتجاج على قسم الولاء الخاص بأعضاء هيئة التدريس عام 1951 والذى أعلن مؤخراً أنه غير قانونى، فقد أخذ "إريكسون" موقعه فى مركز اوستن ريجرز فى ماشستس وهو مركز يهتم برعاية الشباب الذى يعانى اضطراباً نفسياً، وفى سنة 1960 عين استاذاً فى جامعة هارفرد، حيث كان مدخله الى دورة الحياة مألوفاً جداً لطلابه. وتقاعد "إريكسون" فى 1970 م، وانتقل إلى سان فرانسيسكو بكاليفورنيا، واستمر يكتب ويعمل كاستشارى لمستشفى مونت زيون Mont Zion واستشارى لبرنامج العلوم الطبية والصحية فى جامعة كاليفورنيا كما تابع الكتابة فى صحف ومجلات واسعة الانتشار مثل التايمز والنيوزويك .

طبيعة الشخصية عند "إريك إريكسون" :

العمليات البيولوجية والليبدو والجنس :

ظل "إريكسون" على ولاءه "لفرويد" حيث ضمن الليبدو فى البناء الأساسى لنظريته، ولكن بدون بعض الجوانب التى يشملها هذا المفهوم. فقد شبه هذا المفهوم بالضوء الواضح والقوى الذى يلقى على ظلام العقل البشرى فيضيئه، وعرفه بأنه طاقة جنسية متحركة تسهم فى رفع وخفض مساعى الإنسان وغالباً ما يحدث ذلك فى وقت واحد. وحذر من أنه يعطى قليل من الاهتمام للتحدث عن الطاقات التى لا يمكن إثباتها عملياً (Erikson , 1968).

عمليات الأنا: الهوية والسيادة:

1- الهوية :

يرى "إريكسون" أن الأنا أبعد من أن تحاول التوسط بين الهى الغريزية والأنا الأعلى التأديبى والبيئة المحيطة، ولكن قدرتها تمتد إلى أبعد من مجرد الدفاع ضد الغرائز المحرمة والقلق، والسبب الاساسى هنا هو أن الوظيفة البنائية للأنا السوية هو احتفاظها بالشعور بالهوية Identity أو هوية الأنا أو الهوية السيكولوجية. وهذه حالة داخلية تتضمن أربعة جوانب رئيسية هى:

أ- الفردية Individuation :

وتعنى الإدراك الواعى بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية مستقلة واضحة.

ب- التكامل وتوفيق المتناقضات:

أى الاحساس بالكمال الداخلى وعدم الانقسام، وهو ما ينتج من العمليات اللاشعورية للأنا، فالطفل النامى يكون صور مختلفة للذات مثل: أنه أقل حياً من الآخرين، النبوغ والفشل، الطاعة والعصيان، الثقافة والجهل، ضآلة الجسم والعجز عن الاستقلال فى الصغر، مقابل كبر الجسم والقدرة على الاعتماد على النفس فى الكبر وغيرها. والانا السوية تتكامل بفاعلية بين هذه الصور الخيالية وينتج عن ذلك احساس بالتكامل والانسجام الداخلى والتفرد مع نمو الشخص وتطوره.

ت- التماثل والاستمرارية:

أى بذل مجهود شعورى للإحساس بالتماثل الداخلى والاستمرارية بين ما هو ماض وما يتوقع أن يحدث فى المستقبل، والشعور بأن حياة الفرد ملائمة له وأنه منقاد فى اتجاه ذو معنى.

ث- التماسك الاجتماعى:

أى الاحساس الداخلى بالتمسك بالمثاليات والقيم التى تؤمن بها بعض الجماعات، والشعور بالتدعيم الاجتماعى والصدق، والهوية الثابتة تحقق احساس داخلى بالتماثل والاستمرارية وبكونها ذات معنى للآخرين، وان الفرد قريب لادراكهم وتوقعاتهم وعند حسن ظن الآخرين به، إذا فالهوية كعملية مستقرة، ليس فقط فى ذات الفرد لكن ايضاً فى ثقافته التى ينتمى إليها.

وفضلاً عن احساسه الداخلى بتشتت الهوية فى وقت ما فقد لاحظ "إريكسون" الصعوبات التى واجهت بعض الجنود الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية، والعقبات التى لاقوها عندما حاولوا الاندماج فى المجتمع، واصبح اكثر اهتماماً بالمشكلات التى ترتبط بالانتشار الحاد فى الهوية، ومع الوقت ومن خلال خبراته الاكلينيكية بدأ يعتقد أن الأزمات النفسية التى خبرها بعض الجنود انما حدثت كنتيجة لتخليهم عن دورهم العسكرى ودخولهم فى دور آخر مدنى، وهو ما يتماثل مع المشكلة التى يمر بها المراهقين عندما يتركون طفولتهم من خلفهم ويتحركون قدماً خلال مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد.

ويعرف "هوية الأنا" بأنها إدراك الحقيقة، أى أن هناك تماثل ذاتى واستمرارية فى طرق الانا التكاملية، وفى نمط الفردية الشخصية، وان هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرارية للمعنى الشخصى كما يدركه الآخرون الذين يمثلون أهمية فى الوسط الاجتماعى لهذا الفرد."

وحتى فى الكتابات المبكرة "لإريكسون" (1956)، حيث كان يرى أن مصطلح الهوية يتضمن كل من استمرار التماثل (الاتساق مع النفس) واستمرار الاشتراك فى بعض الصفات الجوهرية مع الآخرين، وفى كتاباته بعد ذلك قرر أن التماثل الذاتى، والاستمرارية يتم التعبير عنها من خلال الإحساس الشعورى بالهوية الفردية والكفاح اللاشعورى بغرض استمرارية الخصائص الشخصية والعمليات المستمرة للمحافظة على تركيبية الأنا Ego Synthesis (أى تكوين مركب عن طريق

الجمع بين مركبات اكثر بساطة أو الجمع بين الشيء ونقيضه) والكفاح الداخلى مع معايير الهوية للمجموعة التى ينتمى لها.

تمثل الهوية عند اريكسون حاجة حيوية لوجود كل إنسان فى حياة اجتماعية ذات معنى، ولا يمكن الشعور بالرغبة فى البقاء على قيد الحياة بدون الأحساس بهوية الأنا، والحرمان من الهوية يمكن أن يقود إل الانتحار (1963). وغالباً ما ترجع حالة انتشار الهوية أو انتشار الدور، فى أزومات الهوية، إلى كل ما هو عكس ثبات الهوية كالأحساس بالإنهيار الداخلى، وقلة أو انعدام الإحساس بما يمكن ان تقود إليه الحياة، والعجز عن الاستفادة من المساعدة المتاحة بواسطة الادوار الاجتماعية المشبعة أو المهمة.

هذه الظروف قد تتمثل فى صعوبة الذهاب للسريير أو النوم فى الحال، وفى الاستيقاظ ومواجهة اليوم الجديد، وقلة التركيز واستغراق الوقت فى اجترار الهموم الذاتية والخيالات الخاصة به، كما يكون لدى الفرد إحساس غير مفهوم بكونه شخص تائه وغير ذات قيمة أو أنه ليس حسناً.

ويرى "اريكسون" أن انتشار الهوية تمثل المشكلة الكبرى التى تواجه العلاج النفسى الحديث فيقول: " إن مرضى اليوم يعانون فى أغلب مشاكلهم من: ما الذى ينبغى ان يعتقده أو يؤمن به؟، وما ينبغى أن يفعله؟، وما ينبغى أن يكون عليه؟، بينما المريض فى حالة التحليل النفسى يعانى أكثر من الكبت الذى يمنعه من أن يكون كما يفكر وكما يعرف.

الشعور بالهوية يبدأ فى المهد عن طريق الاشخاص الآخرين ذات الأهمية فى حياة الطفل ثم الأم ، ولكنها لا تكتمل أو تصل إلى تمام النضج حتى مرحلة المراهقة، وكل هوية تشمل جوانب تعد ايجابية (متوافقة مع ما يتعلم الفرد ليبدو مرغوب فيه)، أو تعد سلبية (أو تماثل ما يعاقب عليه الفرد أو حذر من إتيانه مرة أخرى).

إن النمو الايجابي للهوية يعد اكثر صعوبة لوجود مؤشرات أو علامات معينة تدفع اكثر إلى التمتع وحتى الهوية السلبية من المحتمل أن تبدو مفضلة لذوى الاضطرابات الداخلية من مشتي الهوية، ومثل هؤلاء الاشخاص يفضلون مخالفة الادوار التي وضعتها لهم الغالبية من الناس.

عرف "إريكسون" (1956) الهوية بأنها (المجموع الكلى لخبرات الفرد)، وسلم بأن تركيب الهوية يتضمن مكونين متميزين يرجعهما إلى كل من هوية الأنا Ego-Identity وهوية الذات Self-Identity:

- وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام فى بعض النواحي كالعمل والقيم الأيدلوجية المرتبطة بالسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته غيرها.

- أما هوية الذات فتراجع إلى الإدراك الشخصى للأدوار الإجتماعية.

2- السيادة Mastery:

طبقاً "لأدلر وفروم" اسنتج "إريكسون" أنه توجد لدينا حاجة أساسية للسيطرة وتغيير البيئة، كما أن لدينا حاجة للهوية، فالسيادة تمثل وظائف الأنا التي تنشأ السعادة وتبتعد عن إشباع اندفاعات الهى واحباطاتها التي تسبب التوتر الشديد، ويرى "إريكسون" أن التعليم ليس مجرد شكل من اشكال التسامى بالفضول الجنسى بل أنه يحوى طاقة فى ذاته، فحب الحياه يمكن أن يفوز فقط خارج نطاق الاحباطات، ويكون حب الموت إذا اعطى الفرد الفرصة لتقييم هذه الجهود الهامة. (1964).

وكما فى حالة الهوية فإن الأحساس بالسيادة يعتمد على التوقعات والتدعيم من المجتمع، فالطفل يتحرك ويتقن أفعال مثل المشى ليس فقط ليستمتع بالأحساس بالتفوق الجسمى أو السيادة على جسمه أو ليتناول الأشياء التي سوف تشبع دوافعه اللبيدية (الغريزية)، ولكن ايضاً لأن عملية المشى توافق توقعات الكبار وتسهم فى تحقيق ذات واقعية ومشبعة، بالإضافة لذلك ينمو الاقتناع بأن الأنا يمكن أن تتعامل بفاعلية مع العالم الخارجى مما يساعد على تكوين احساس ايجابي بالهوية.

3- المجتمع والثقافة :

يقول "إريكسون": أن الصعوبات الكبرى فى طريق التحليل النفسى كعلم نفس عام، يحتمل أن تتمثل فى بقاءه على مفهومه الأول من أن البيئة تمثل عدو لنا، وإن عالمنا يتضمن الاعراض والدفاعات، وما لدى التحليل النفسى سوى القليل ليقوله حول الطريقة التى بها ينمو محتوى الأنا أو ما يسبب فشل النمو بعيداً عن المجتمع وأعضائه. ولكن التحليل النفسى اليوم (يقصد علم نفس الأنا) قد حرك مواضيع اهتمامه لدراسة جذور الأنا فى التكوين الاجتماعى (1975).

وكما رأينا فإن الاحساس الثابت بالهوية أو السيادة يتطلب المساندة من الأشخاص الآخرين ذات الأهمية والمجتمع أيضاً، ويساعد على تخفيف صراعات الحياة عن طريق تحديده لقيمة الأدوار، فأدوار مثل أمين المكتبة، والطبيب والمحامى، والأم والأب، تؤكد أن الفرد قد وجد قدرته على العمل ويخطط لحياته بفاعلية، بالإضافة لذلك تأكيد المجتمع على العلاقات الاجتماعية المتبادلة، فالتبادلية Mutuality هى حاجة إنسانية عظيمة فى حياتنا، تخلق لدينا الأحساس بالوجود والاحساس بأن يقف الشخص وينظر الى الآخرين، أما تجاهل هذا التأكيد فإنه يوقظ أكثر الاحساسات صعوبة وهى معرفته بطبيعته (1963).

ونظراً لأن "إريكسون" يرى أن المجتمع يلعب دوراً بارزاً فى تطوير ونمو الأنا، فهو خصص بعض الوقت لدراسة تأثير الثقافات المختلفة على الشخصية، وبصورة مبدئية فقد لاحظ اثنين من القبائل فى ولاية انديانا الامريكية هما قبيلة السيوكس واليورك. وعلى سبيل المثال فقد لاحظ أن قبيلة السيوكس كانوا يستمرون فى ارضاع اطفالهم من الثدي لعدة سنوات، أما قبيلة اليورك فكانوا يفضلون الفطام المبكر، السيوكس كانوا يكرهون الادخار ويسعون لمساعدة الآخرين حتى فى الاشياء التى لا تستحق المساعدة ولو كانوا لا يملكون إلا القليل، أما اليورك فكانوا يؤكدون فى ثقافتهم على الأمان الاقتصادى، وهذه الفروق الجوهرية فى هوية قبيلتى السيوكس واليورك ترجع مبدئياً إلى تفضيل قيمة اجتماعية تتركز على اكتساب المال لدى اليورك والعكس فى السيوكس والتى ترجع بدورها إلى جنة الامتيازات الفعلية غير المحددة المتمثلة فى صدر الأم عند اليورك وبقاء الحنين الطفولى إلى الأم من قبل هؤلاء الذين انفصلوا عنها مبكراً وبالقوة، وهذا ما قد يؤدي إلى مثل هذا التناقض فى القبيلتين . .

المنظمة والأسلوب :

حدد اريكسون سبع صور للتعامل مع البيئة هي:

1. إندماجى من النمط الأول: التقبل السلبي والاستسلام.
2. إندماجى من النمط الثانى: التعارف على الآخرين.
3. الاحتفاظى: الحكم السريع على الآخرين.
4. المتجاهل: لا يهتم بأحوال الآخرين.
5. المتطفل: العدوان على البيئة والذكورة المبدئية.
6. الشامل: الجاذبية والرغبة فى الحماية ، الأنوثة المبدئية.
7. التوالدى: ينجب ويتناسل.

وربما تستخدم أساليب مختلفة مقترنة مع بعضها البعض فى أكثر من منطقة واحدة فالاحتجاز أو الإبعاد (أسلوبين مختلفين) قد يكون للطعام أو البول أو البراز (فى مناطق مختلفة). وبالمثل فإن التثبيت قد يحدث لكل من المناطق والأساليب على حد سواء، وعلى سبيل المثال: فالطفل قد يستمر فى مص حلمة الرضاعة أو يمص ابهامه حتى بعد سن الفطام (الفم هنا هو منطقة التثبيت) أو ربما يتوقع الراشد دائماً الحصول على الاشباعات بدون بذل جهد (التثبيت عند الأسلوب الاندماجى الأول) أو الفهم المعرفى (حب المعرفة) المقترن بالتواصل مع الآخرين (التثبيت عند الأسلوب الاندماجى الثانى) وسعة التذكر لكمية كبيرة من الحقائق والصور (احتفاظى)، والنسيان السريع للمعلومات بعد سماعها مباشرة (متجاهل) وهكذا. وفى مثل هذه الأمثلة فإن زيادة النمو فى أسلوب معين أو منطقة معينة وبالمثل بطء النمو فى منطقة أخرى يوضح جانب واحد فى عدم نضج الشخصية.

ويرى "اريكسون" أن الأسلوب المتطفل يوجد أكثر فى الأولاد، أما الأسلوب الشامل فيوجد أكثر لدى البنات من خلال صور الجاذبية مثل تمشيط الشعر، وسهولة الاستثارة بالخوف، وسعيهن لجعل أنفسهن أكثر جاذبية ومحبوبين للآخرين. ولقد رأى "اريكسون" أن لعب الأطفال يميل لظهور الفروق الجنسية فالأولاد يميلون لتركيب الأشياء الطويلة، أما البنات فيركزون على الأسلوب الشامل ويملن لبناء الأشياء المفتوحة والمغلقة أو المفتوحة فقط وبينون العاباً تركيبية تتضمن الاستمرارية.

ويربط "إريكسون" هذه الفروق فى جزء منها بالفروق النفسية فى المستقبل بين الجنسين والفروق فى الأدوار مثل التناسل، والحمل ورعاية الأطفال. كما استنتج أن رغبة المرأة فى الإصلاح تعد من مظاهر الأنوثة لديها. وهو يوافق على أن الرجال يحسدون المرأة (شعورياً ولا شعورياً) على قدرتها على القيام بدور الأم. ويعتقد أيضاً أن النساء يتفوقن على الرجال خاصة فى قدرات اللمس، وتمييز الاصوات، وتذكر الخبرات الحديثة، والعواطف، ويعبر عن أمله فى أن النساء الاحرار سوف يساعدون فى تغيير عصر الرعب النووى والحروب الذرية باتجاه جديد ملئ بالأمن والسلام.

تركيب الشخصية لدى "إريكسون":

1. الهو :

لا شعورية تماماً ولا تستطيع ادراك الصحيح من الخطأ، وهى المكون الوحيد الذى نولد مزودين به، وعلى هذا فهى تحوى تاريخنا الذى يخبر البداية لنا والغرائز الفطرية والمروثة.

2. الأنا :

تقع الأنا بين الهو والأنا الأعلى وهى لا شعورية إلى حد كبير، كما فى نظرية "فرويد"، فهى تحفظ التوازن بين دوافع الهى المحرمة والقيود القاسية التى يفرضها الأنا الاعلى، وذلك باستخدام ميكانزمات الدفاع اللاشعورية كالكبت ورد الفعل العكسى، والانكار والرفض للواقع، والاسقاط، والتوحد والنكوص، واحلام اليقظة وما إلى ذلك. فغالباً ما يشارك الناس فى اخطاء الاخرين الذين يكرهونهم (اسقاط)، متجاهلين تماماً الانذارات التى تقدم لهم لتفادى الكوارث وشيكة الوقوع كالحروب النووية والموت الجماعى (انكار الواقع)، ومحاولة جعل الهوية السلبية تبدو وكأنها فضيلة (رد فعل عكسى)، وميكانزمات الدفاع ربما تستخدم بطرق متوافقة أو طرق غير متوافقة على حد سواء ، وإن قدرات الأنا ايضاً تشمل وظائف عقلية بناءة كالهوية والسيادة. كما يقترح إريكسون ثلاث انجازات للأنا كضرورة لازمة للشخصية السوية والناضجة هى:

أ- التوافق بين التهيج الجنى والاحتياجات الجنسية فوق التناسلية.

ب- التوافق بين الحب والجنس.

ج - التوفيق بين نمط الانتاج الجنى والعمل المنتج.

3. الأنا الأعلى :

يشمل الأنا الأعلى كل المثاليات والقيم الاخلاقية التي يبثها المجتمع فى الفرد، ويخدم الوظيفة الأساسية لحفظ الهو فى حالة ظاهرة، وعلى أية حال فمن الممكن أن يصبح الأنا الأعلى قوة تعسفية تستخدم وسائل بدائية وبربرية ضد الأنا. وهكذا يستطيع أن يجعل العقاب يبدو وكأنه شىء مناسب للتستر على احساس الكراهية والدوافع الجنسية أو يثير مزيد من الاعتقاد بأن الفرد أقوم اخلاقاً من الاخرين وهو ما يجعله يستدير ضد الاخرين فى صورة من المراقبة الاخلاقية الدائمة والصارمة لهم.

وتسهم الأنا الأعلى فى تدعيم العلاقة بين الراشد والطفل الصغير الذى لا حول له ولا قوة، ولذلك فإن "اريكسون" يحذر من التدريب الوالدى الذى يفشل فى أن يعكس المعايير الثقافية والاخلاقية للمجتمع، لأن ذلك سيعمق الشقاق بين الأنا الأعلى والأنا وينتج الصراع النفسى الداخلى.

نمو وتطور الشخصية :

كما فعل "فرويد" فقد نسب "اريكسون" أهمية سيكولوجية غير عادية للمدة الطويلة التى نقضيها معتمدين على الاخرين والتى تميز مرحلة الطفولة الإنسانية، وهو يرى أن اعتمادنا الشامل والمبكر على الغير (الوالدين بالطبع)، سهل تشرب المعايير الوالدية ونمو الأنا الأعلى. ويتفق مع فرويد فى أن صراعات مرحلة الطفولة تظهر تأثيرها فى الشخصية فى مرحلة الرشد. وبعض من هذه الصراعات يرجع للأنشطة الجنسية المكبوتة منذ الطفولة، ولقد استنتج اريكسون أن عدم التكافؤ بين مرحلتى الرشد والطفولة يجعلنا نقضى فترة طويلة من العمر نعانى من عدم النضج الانفعالى. والصراع مع أهدافنا الكثيرة العقلانية والاخلاقية.

ومع ذلك يرفض "اريكسون" جهود "فرويد" فى الاكتفاء بالسنوات الاربع أو الخمس الأولى من العمر كحدود عمرية لنمو الشخصية، ولذلك فقد أكد على أن نمو الشخصية مستمر خلال دورة الحياة Life Cycle ككل، ووضع ذلك فى ثمان مراحل تشتمل على النمو من بداية العمر حتى سن الشيخوخة. وأن الفرد ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التى تليها عندما يكون مستعداً لذلك بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً واستعداده الشخصى هذا يقابله الاستعداد الاجتماعى.

مراحل النمو النفس جنسى :

يشبه "اريكسون" عملية النمو النفسى بعد الولادة بعملية التطور العضوى حيث تتطور اعضاءنا الجسمية وفقاً لسبق تاريخى ، وبالمثل فنحن نرث الاستعداد السيكولوجى لكى نتوافق مع البيئة بنسب محددة وإن كل المراحل الثمانية موجودة فى شكل أولى منذ الميلاد ولكنها تنبثق من بعضها البعض بشكل متتابع أو متعاقب epigenetic، ويصاحب كل مرحلة أزمة أو مشكلة نفسية تحدث بسبب زيادة النضج من ناحية وكنتيجة للمطالب الكبرى للآباء والمجتمع من ناحية أخرى، ويجب أن تحل هذه الازمة بواسطة الأنا اثناء المرحلة المناسبة لنمو الشخصية لكى تتقدم بنجاح.

لأن حل أزمة النمو فى أى مرحلة يساعد فى تثبيت مظاهر النمو التى حدثت فى مرحلة سابقة والتمهيد للمظاهر الجديدة للنمو التى تحدث فى المرحلة اللاحقة. ومن ثم يحدث نمو إيجابى لأنها تجعلها تتصف بالثقة والاستقلالية وغيرها.

أما الحل المرضى لازمات النمو أو استمرار الصراع يجعل الأنا تكون صفات مختلفة تتسم بعدم الثقة والشك والخجل وغيرها، ورغم ان الأزمة أو المشكلة مشتركة بين كافة البشر إلا أن تفاصيل وأسلوب التغلب عليها تختلف من ثقافة لأخرى، وهكذا تتسم كل مرحلة بالدينامية لأن نجاح الفرد فى حل أزمة ما يقوده إلى مزيد من النضج ويؤهله لحل الازمات المستقبلية.

وينبغى ان نلاحظ أن هذه المراحل الثمانية لم توضح طبقاً لجدول زمنى محدد ويشير "اريكسون" إلى ان لكل طفل جدول زمنى خاص به، ولذلك فسيكون مضللاً ان نحدد وقتاً معيناً لكل مرحلة، والأكثر من ذلك فإن كل مرحلة لا تمر وتترك هكذا، بل على العكس فإن كل مرحلة تضيف شىء ما لتكوين الشخصية ويعبر عن ذلك "اريكسون"بقوله: إن أى شىء ينمو طبقاً لخطة أساسية، ومن خلال هذه الخطة الأساسية تنمو الأجزاء، ولكل جزء وقته التصاعدى الخاص حتى يكتمل نمو الأجزاء كلها لتكون الشكل الوظيفى.

ويحدد اريكسون ثلاث متغيرات أساسية تؤثر فى عملية النمو هي:

- 1- القوانين الداخلية للنمو: ومثلها فى ذلك مثل العمليات البيولوجية غير قابلة للإرتداد.
- 2- التأثير الثقافى: الذى يحدد المعدل المطلوب من النمو وينحاز إلى بعض مظاهر النمو عهلى حساب البعض الآخر.
- 3- الفروق الفردية فى النمو: أى الاستجابة الفطرية التى تميز كل فرد عن غيره، وأسلوبه المميز فى النمو كاستجابة لمطالب بيئته.

وتشغل مرحلة الطفولة المراحل الأربعة الأولى، بينما تشغل المراحل الأخرى بقية عمر الكائن الحى.

وفيما يلى وصف مختصر لهذه المراحل:

1- مرحلة الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة (المرحلة الفمية الحسية):

المرحلة الأولى تتركز حول منطقة الفم، والأسلوب المتبع هو عملية الضم أو الدمج، فالشئ الأول الذى يتعلمه الطفل هو عملية الأخذ ليس فقط عن طريق الفم من خلال التغذية والرضاعة ولكن ايضاً من خلال العينين والحواس الأخرى. ويوافق "اريكسون" ايضاً على ان الرضاعة تمدنا بالذلة الليبيدية (الغريزية) من خلال الفم، وإن عملية التقبل السلبي والاستسلام تتحول بالتدريج لأسلوب أكثر عدوانية هو العض والقسوة عندما تظهر الأسنان.

ويؤكد "اريكسون" على الجوانب النفسية الاجتماعية للمرحلة الفمية الحسية خصوصاً الرعاية والاهتمام الأمومى الذى يمثل الأهمية الأولى لتفاعلات الرضيع مع شخص آخر. وحيث أنه حتى أفضل الأباء والامهات لا يسلكون بشكل مثالى فى كل المناسبات فإن كل شخصية تشمل بضع درجات لكل من الثقة وعدم الثقة، إن ذلك لا يعنى أنه امر ضار بالنسبة للفرد أو يؤدي بالجميع إلى عدم التكيف والاتصاف بالتشاؤم والعناد، ولكن إذا كان المعدل السيكولوجى بين هذين المتغيرين (الثقة وعدم الثقة) كبير، ولصالح الشك فإن هذا معناه أن الأنا اصبح فى خطر، ومن غير المحتمل أن يستطيع حل مشكلات أو ازمانات المراحل التالية، والعكس إذا كانت درجة الثقة أقوى فإن الطفل سيتعلم رؤية العالم بشكل افضل ويحدوه الأمل لتحقيق امنياته. ولاشك ان انبثاق هذه الايجابية وتكيف الأنا يساعد على النمو السوى للشخصية والسير قدماً لحل ازمة هذه المرحلة.

2- الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك (المرحلة الأستية العضلية):

بمجرد أن يكتسب الطفل الثقة فى اسلوب أمه فى رعايته، وفى العالم الخارجى، فإن جهازه العضلى يجعل من الممكن له بعض السيطرة على البيئة، وخلال هذه المرحلة يسعى الطفل لكسر علاقة الاعتمادية المطلقة على الأم لى يقوم بأسلوب جديد وهو الاندماج مع المجتمع، والاستقلال الذاتى autonomy، القوة المكتسبة فى أى مرحلة تختبر من خلال استغلال الفرص فى المراحل التالية والقابلية لتعديل ما اكتسب فى المرحلة السابقة.

يتعلم الأطفال سريعاً أن النظافة والتدريب على الذهاب للحمام أمر هام، وهم يستطيعون الاختيار بين الاحتفاظ أو طرد فضلات الجسم، وهذه الجهود يمكن أن تتم أما بأسلوب معتدل أو بأسلوب عدوانى أو قد يتم التعامل مع تدريبات الحمام بأساليب متناقضة تنعكس سلبياً على الطفل.

فإذا كانت أساليب المعاملة الوالدية أو الضبط الوالدى خلال هذه المرحلة تخلق فى نفس الطفل الإحساس بالأمان، فإنه سوف ينمو لديه إحساس إيجابى لأظهار الاستقلالية، وإذا كان الأبوين متساهلين تماماً ومتسيبان أكثر مما ينبغى فإن هذا ربما ينتهى - وليس بالضرورة- بمحاولات فاشلة للاستقلال. ولكن الوالدين الذين يفرطان فى حماية الطفل ويشترطان قيوداً عنيفة وطرقاً لا تقبل التغيير على تدريب الطفل على الذهاب للحمام، فإن الطفل سيستجيب بنوع من العجز وعدم القدرة على ضبط ذاته أو الاستبقاء العنيد لفضلات الجسم، مع قلق صريح وواضح واشمئزاز.

وفى هذه الحالة فإن تعبيرات الطفل لتحقيق الاستقلال ستصبح مشوبة بإحساس واضح من الخجل والشك shame & doubt. فى هذه المرحلة سوف تكون هناك معركة من أجل الاستقلال، الطفل يشعر أن الثقة الاساسية فى ذاته والعالم الخارجى لن تكون عرضة للخطر نتيجة العنف المفاجىء الذى يتولد عن رغبته فى تحقيق اختياراته.

وكما فى حالة الثقة وعدم الثقة، فإن الاستقلال الذاتى والخجل والشك مظهران حتميان لكل شخصية، والنمو الناجح يتحقق من خلال ترجيح كفة الاستقلال واستخدام الاساليب النفسية الاجتماعية التى تدعم حرية الاختيار وضبط النفس ومن ثم قوة الإرادة. فالإرادة لا يمكن تدريبها ما لم يكن الامل أكيداً، ولا يمكن لأى شخص أن يحيا دون أن تبقى الأنا لديها كل من الامل المستمر والإرادة.

3- المبادأة مقابل الشعور بالذنب (المرحلة الجنسية الحركية):

تركز المرحلة الثالثة من مراحل النمو المتعاقبة الضوء على القدرات الحركية كالمشى والجرى، وهو مايزيد احساس الأنا بالسيادة وعمل ما تستطيع، ويمكن للطفل الآن أن يتعلم تغيير الدافع الجنسي المهدد إلى أهداف مقبولة مثل اللعب. ويشغل تفكيره وتخطيطه ويصبح المحاولة التي يعبر من خلالها من بر الفشل إلى بر النجاح، لقد اصبح قادراً على ترك الرغبات الاوديبيية والتغلب على الاحباط وتبديله باللعب بأدوات وأدوار الكبار والتحول من عقدة الذنب والموافقة الوالدية إلى انجازات أخرى تسهم فى تحديد شعوره بالمبادأة initiative، مما ينتج عنه تكيف الأنا واكتساب الصفات الحميدة مثل الشجاعة وتتبع الأهداف القيمة التى يمكن أن تغرس فيه والتخلص من الخوف من العقاب.

ويعيش الطفل فى هذه المرحلة صراعاً بين رغباته الطفولية لاستمتاع باشباعاته الغريزية، وبين التوجيه الذاتى الاكثر نضجاً الذى يفرض عليه من الأنا الأعلى، ولكن انبثاق وظهور الإحساس بالهدف أو الغرض يوضح أن روح المبادأة قد تجاوزت الشعور بالذنب وتغلبت عليها وأن أزمة هذه المرحلة قد مرت بنجاح.

4- اكتساب حاسة المثابرة مقابل الأحساس بالنقص (مرحلة الكمون):

المرحلة الرابعة "الإريكسون" هى فترة تهدأ فيها الرغبات الجنسية وهى تسبق فترة البلوغ مباشرة، وتتميز هذه المرحلة بأنه يمكن وصفها بأنها مرحلة حب الاستطلاع الشامل والرغبة فى التعلم، ومع تسامى الطفل بميوله الغريزية، ويبحث عن اكتساب المعرفة عن طريق إنجاز شىء ذات قيمة، ويبدأ كذلك فى تعلم قيمة العمل، والتكيف مع القوانين المادية، والاهتمام بالثقافات الأخرى التى تؤيد هذه الجهود وتزوده بالمعلومات التى يسعى للحصول عليها، ويتم ذلك بمعاونة المؤسسات التعليمية فى المجتمع. إن هذه المرحلة تمثل تأصيلاً رسمياً لغرائز الفرد، ولعل هذا يفسر عدم بروز منطقة جسدية غالبية فى هذا الوقت بل تجد الطاقة الغريزية موزعة على الجسد كله وتتحول عن الهدف السبقى إلى الانجاز الذى يتوج مثابرتة فى العمل، وتصبح المنطقة البقية هى امكاناته العقلية والحركية فيكتسب المهارات والمعلومات.

ويصبح النمو الجسمى فى هذه المرحلة اكثر بطأً، ويعكس النمو النفسى نمطاً مماثلاً ويعتمد فى لعبه على المظهر الاجتماعى، وهو ما يضمن بلعبه مواقف من الحياه الاجتماعيه الواقعيه، وليس الجنس بالضرورة هو مضمون اللعب، ويميل الجنسين إلى الانفصال فيما يختص بعادات اللعب، وإن كان فى بعض الأوقات يتطرق كل منهما إلى عالم الأخر، ويبدأ اللعب يفقد اهميته فى نهاية هذه المرحلة، ويتخذ عالم الأقران موضعاً ذا اهمية مساوية لموقف الكبار.

إن هؤلاء الأقران لازمون لأجل احترام الذات، فبينهم يجد الطفل مصدراً آخر لتحقيق الذات خارج نطاق الأسرة (هنرى ماير 1981). إن نجاح الطفل اثناء هذه المرحلة فى تحقيق مطالبها يسهم بإيجابية فى الاحساس بالمثابرة Industry. أما الفشل واليأس فيقلل من القدرة على الاستخدام الأمثل للادوات والامكانيات بطريقة منتجة، مما يعطيه الإحساس بعدم التوافق والشعور بالنقص Inferiority، ويتحدد نجاح نمو الشخصية بالمعدل النفسى الاجتماعى لتحقيق المثابرة، وانعكاس ذلك على احساسها بالكفاءة Competence، أو امتلاك الحرية والذكاء لانجاز المهام التى لا يمكن ان ينجزها من يشعر بالنقص.

5- أكتساب الإحساس بالهوية مقابل تميح أو انتشار الدور (مرحلة المراهقة):

مع نمو القدرات والوصول إلى البلوغ تأتى الطفولة إلى نهايتها وتبدأ مرحلة المراهقة التى اعتبرها "اريكسون" فترة فى غاية الأهمية تمثل مرحلة الانتقال من اعتمادية الطفولة إلى استقلالية الراشدين الكبار، ويجب على المراهق أن يتجاوب مع التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للنضج الجنسى، ويضع الضوابط المحددة لخطورة الدوافع الجنسية والصراعات الداخلية التى يمكن حلها فقط عن طريق اكتساب المعرفة والتأييد من الاخرين المحيطين به.

ويصف "اريكسون" المراهق فى هذه المرحلة بقوله: أن الشاب يكون فى عنفوان حيويته، يجب أن يطلق العنان ويتخلص من مرحلة الطفولة ويعتمد على ذاته ويخلق توازناً بين الحاضر والمستقبل، وأن يعرف متى يترك العنان لعواطفه كى تتناسبه، ومتى يتحكم فيها وما الذى يمكنه من ان يحكم الدفاع عن عواطفه المتأججة، ومتى يطلق لها حرية التنافس، لذلك يجب على الفرد أن يتحين الفرص فى عمله وفى حبه، ويجب أن يقتبس ويتشبهه بإناس لهم مغزى فى حياته، ويقارن بين ما يراه فى نفسه وما يخبره به الآخرون وأن يحكم حكماً سليماً، وإن يكون عن حسن ظن وتوقع الآخرين.

والمشكلة الحرجة فى هذه المرحلة هى (أزمة الهوية Identity crisis) وهى أزمة يمر بها أغلب المراهقين فى وقت ما ويعانون فيها من عدم معرفتهم ذاتهم بوضوح، أو عدم معرفة المراهق لنفسه فى الوقت الحاضر، أو ماذا سيكون فى المستقبل فيشعر بالضياع والتبعية والجهل بما يجب أن يفعله ويؤمن به.

وهى علامة على طريق النمو يمكن أن تؤدى إما إلى الاحساس بالهوية أو إلى مزيد من الانهيار الداخلى وتشتت الدور أو تمييع الهوية Identity Confusion، إن أزمة الهوية أو تمييع الدور كثيراً ما تتميز بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو عن مواصلة التعليم، ويعانى كثير من المراهقين من صراع العصر، ويخبرون احساساً عميقاً بالتفاهة وبعدم التنظيم الشخصى وبعدم وجود هدف لحياتهم، انهم يشعرون بالقصور والغربة وحياناً يبحثون عن هوية سلبية هوية مضادة للهوية التى حدد خطوطها الوالدين أو جماعة الاتراب، ويفسر بعض السلوك الجانح بهذه الطريقة.

ويتوقف نجاح المراهق فى حل أزمة الهوية على ما يقوم به من استكشاف للبدائل والخيارات فى المجالات الايديولوجية والاجتماعية، وكذلك على ما يحققه من التزام أو تعهد بالقيم والمعايير السائدة فى مجتمعه، وبناءً على ما يحققه المراهق من نجاح أو فشل فى حل أزمة الهوية يتجه إلى أحد قطبى الأزمة.

فإما أن يتجه إلى الجانب الإيجابى منها فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره فى المجتمع وهو ما يعرف بإنجاز الهوية، وإما أن يتجه إلى الجانب السلبي منها ويظل يعانى من عدم وضوح هويته وعدم معرفته لنفسه فى الوقت الحاضر، وماذا سيكون فى المستقبل وهو ما يعرف بتشتت أو تمييع الهوية.

ويرى "مارشيا" Marcia ,J,E 1966 ، أن المراهقين وهم فى سبيلهم لمواجهة أزمة الهوية يستخدمون أربعة طرق يمكن فى ضوءها تصنيفهم إلى أربعة رتب بناءً على ما حققوه من نجاح فى سبيل ذلك وهم كالاتى:

مشتتى الهوية Identity Deffused:

وهم الاشخاص الذين لم يمروا بأزمة ولم يكونوا هوية بعد، ولا يدركوا الحاجة لأن يكتشفوا خيارات أو بدائل بين المتناقضات وربما يفشلون فى الالتزام بأيدولوجية ثابتة.

منغلقى الهوية Identity Foreclosed

وهم كذلك أشخاص لم يمروا بأزمه ولكنهم تبنوا معتقدات مكتسبه من الآخرين (أخذوا جاهزه من آبائهم والمحيطين بهم)، ولم يختبروا حالة معتقداتهم وأفكارهم أو مطابقتها بمعتقدات وافكار الآخرين، ويقبلون هذه المعتقدات دون فحص أو تبصر أو انتقاد لها، وتمائل هذه العملية عملية التوحد فى مرحلة الطفولة المبكرة. ويوصف هذا الشاب بأنه غلق هويته مسبقا أو حبس هويته.

معلقى الهوية Identity Moratorium

وهم الأشخاص الذين مروا أو يمرون حاليا بأزمة، ولم يقوموا بتكوين هوية، أى انهم خبروا بشكل عام الشعور بهويتهم، وبوجود أزمة الهوية، وسعوا النشاط لاكتشافها، ولكن لم يصلوا بعد الى تعريف ذاتى بمعتقداتهم.

- منجزى الهوية Identity Achieved

وهم الأشخاص الذين مروا بأزمه وانتهوا الى تكوين هوية واضحة محددة، أى انهم خبروا تعليق نفسى اجتماعى وأجروا استكشافات بديله لتحديد شخصيتهم والالتزام بأيدولوجية ثابتة.

6- اكتساب حاسة الألفه مقابل العزلة (مرحلة الرشد المبكر):

تمثل المرحلة السادسة بداية مرحلة الرشد وفيها يبدأ تحمل مسئوليات العمل والزواج، وخلال هذه الفترة يكون الفرد قد اكتسب الاحساس بالهوية، هذا الاحساس يجعله يضحى برغباته الضرورية فى سبيل تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، حيث يزيده انجازه لهويته قدره على الانصهار مع الآخرين دون الخوف من ان يفقد جانب جوهرى من ذاته ومثل هذه الألفه Intimacy هامة وضرورية لتحقيق الصداقة القويه والزواج الذى له مغزى ويحقق هدفه.

7- اكتساب حاسة الانتاجية مقابل الكساد (مرحلة الرشد المتأخر):

مرحلة الرشد هى المرحلة المثالية للانتاجية genativity التى تتضمن الانتاج والابتكارية، وقبل ذلك التناسل وارشاد الأجيال التالية (Erikson , 1968)، فإذا ما نجح الراشد فى تطوير هوية ايجابية وان يحقق الألفه والحياة السعيدة من خلالها، فإنه يصل الى مرحلة الانتاجية، وقد يتحقق ذلك من خلال التفاعل المباشر مع الأطفال أو من خلال ابتكار الاشياء والأدوات التى تدم للأجيال اللاحقة، والشخص الذى يفشل فى تحقيق الانتاجية يتصف بالكساد والركود Stagnation إذا كان معدل النمو فى صالح الانتاجية وتغلب الراشد على أزمة الكساد والركود اكتسبت الأنا احساساً بالرعاية وهو احساس مفاده بان هناك شخصاً أو شيئاً يستحق الإهتمام. ويجب ان ندرك ان الانتاج لا يعنى مجرد التناسل او يتصف به من ينجبون الأطفال فقط ولكن ينطبق على كل من يرعى النشئ ويهتم بشئونه، كما يشير الى الطريقة التى يحددها ويمارسها مع شريك الحياة والمجتمع ككل.

8- تكامل الهوية مقابل اليأس (النضج أو الحكمة):

القليل فقط هم الذين يستطيعون حل أزمت المراحل السبع السابقة، وهم فقط الذين يستطيعون تحقيق تكامل الهوية Ego-Integrity والشعور بالايجابية نحو الحياة التى يعيشونها (Erikson 1968)، وعكس التكامل الذاتى هو اليأس despair او الخوف من ان يتدخل الموت قبل أن يجد الفرد طريقاً منجياً الى حياة لها معنى. فإذا تغلب تكامل الأنا على الشعور بالإحباط يكون الناتج من ذلك هو التوافق السيكولوجى الذى ينتج الأنا المتصفه بالحكمة Wisdom، أو عدم الارتباط بالحياة فى مواجهة الموت، وللحكمة تأثيرها على الأجيال التالية أو كما يقول "إريكسون" "لن يخاف الاطفال الأصحاء من الحياة اذا كان الكبار من حولهم لديهم تكامل ولا يخافون الموت" (1964) .

الطقوس والشعائر الاجتماعية :

اعطى "أريكسون" بعض الاهتمام للطرق أو الأساليب الاجتماعية المذكورة والمتفق عليها التي تساعد على عملية التكيف الذاتى مع البيئة وهو ما أطلق عليه الطقوس أو الشعائر Ritalization ، حيث تساعد هذه الطقوس على تحقيق حاجتنا الفطرية المورثة للإثبات والتأكيد المتبادلين، وهو ما يحدث مثلاً عندما يكتسب الطفل الحس المعرفى والتوافق من خلال انماط التفاعل اليومي مع الأم التي تطمئنه وتحميه وتمرضه وتغير ملبسه وتدعوه بابتسامة، كما تنمي لديه هذه الطقوس بالإحساس بالانسجام والتعايش مع المعايير الاجتماعية.

تطبيقات نظرية إريكسون :

1- تفسير الأحلام :

كما فى الجوانب الأخرى لنظرية الأنا التزم "إريكسون" بنظرية "فرويد" فى تفسير الأحلام مع ادخال بعض التعديلات عليها، فهو يوافق على أن الأحلام تقدم معلومات هامة عن محتوى ومضمون اللاشعور، وأن عملية التكثيف تنتج رموز اللحم بأكثر من معنى، وأن كل من عملية التداعى الحر، والتعرف على أحداث اليوم السابق للحلم تعد عوامل مساعدة ومعينة ذات قيمة فى عملية التفسير.

وفى رأى "إريكسون" تبقى الأنا السوية قوية نسبياً حتى أثناء النوم، فهى لاتقوم بمجرد حلول وسط والتوصل الى تسوية فيما يتعلق بالدوافع غير المشروعة للهوى الغريزيه كما يدعى فرويد، ولكنها أيضاً تنتج أحلام بالنجاح والإنجاز مما يمكننا من الاستيقاظ ولدينا إحساس بالكفاءة والكمال.

كما رفض "إريكسون" الجدل الفرويدي القائل بأن كل حلم يشبع تقريباً رغبة جنسية طفولية، ويرى الأزمات المستمرة التى يمر بها الحالم (مثل التهديدات وشبكة الوقوع للإحساس بالهوية) وتقترح الحلول الممكنة لها. وقد يكون للحلم غرض معين يمكن تفسيره من قبل الحالم أو المحلل النفسى.

وهكذا فإن "أريكسون" يتماثل مع "يونج وفروم" فى رؤيتهما من أن الأحلام غائبة وتتضمن رموزاً جنسية وغير جنسية على السواء، وهو يرى أن بعض أحلام "فرويد" اذا ما أعيد تفسيرها بصورة صحيحة وسليمة فإنها سوف تدعم نظرية الأنا النفسى الاجتماعية، بدلاً من نظرية الهوى الغريزية الفرويدية.

2- الأمراض النفسية: Psychopathology

على الرغم من "إريكسون" قد عرف نمو الأنا السوية بتفصيل أكثر من "فرويد" إلا أنه يوافق "فرويد" بأن الفرد حسن التوافق هو ذلك يمكنه عمل شئئين على أكمل وجه هما : **الحب والعمل** وهو أيضاً يتفق معه على ان الأمراض النفسية تمثل اختلاف فى الدرجة أكثر من كونها اختلاف فى النوع.

وان الدراسة التحليلية للمرضى والصراعات النفسية غير العادية لديهم يمكن ان تساعد على فهم المرض النفسى من خلال فهمنا للنواحي الخفية من الوظائف العقلية العادية (كالميكانيزمات الدفاعية). حيث يحذر "إريكسون" من الصراعات التى تحدث لانا لا يمكن ان تفهم كلية من سلوك الافراد المرضى نفسياً.

اسباب المرضى النفسى :

تحدث الأمراض النفسية عندما تتحول الأنا القادرة إلى انا ضعيفه بواسطة المرض الاجتماعى أو الأمراض الجسمية، والأكثر اهمية من ذلك هو الفشل فى حل ازمات تعاقب المراحل. وتوجد عوامل أخرى يحتمل ان تمنع تأثير الحلول الفعالة فى مختلف الازمات المتعاقبة للنمو تتضمن الفطام الفجائى او الرضاعة الخالية من الحب، خلل المرحلة الفمية الحسيه، والقسوة الزائدة والتساهل المفرط، فى تدريبات استعمال التواليت خلال المرحلة الشرجية، او عدم سلوك الوالدين بثبات أو يغلب عليهم التناقض والنفاق، والاهتمام الزائد بمداعبة الطفل لاعضائه التناسلية أو فتحه الشرج، وترغيب الطفل فى الاهتمام الزائد بمداعبة الطفل لاعضائه التناسلية أو فتحه الشرج، وترغيب الطفل فى سن متقدمة فى دراسة طبيعه الشريرة لدى البشر أو تحطيم روح الطفل بالسيطرة الشديده والتسليط أو القسوة المفرطة.

3- العلاج الطبيعي :

أ- الأساس النظرى :

حيث أن "إريكسون" يعتبر فى الأساس كمحلل نفسى، فإنه أعظم أهدافه العلاجية مشابهة ل"فرويد"، لذلك فالمريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعورية الى الشعور، ويحقق استبصار هام فى كل من المستوى العقلى والانفعالى، وتقوى قدره على العقلانية كمحاولة لتحقيق الإحساس بالهوية.

بالإضافة لذلك يحذر "إريكسون" من ان العلاج النفسى من خلال التحليل النفسى الكلاسيكى، يتضمن اقتراحات غامضة، فيحتوى على عناصر انهيار، وهو يقارن بين طريقته التى يجلس المريض فيها مع المعالج وجهاً لوجه. والطريقة الفرويدية (النوم على الكنب)، كما يرى أن التحليل النفسى يهتم بالمرضى الذين يعدون الى حدما اصحاء بالدرجة الأولى وموهوبين، كما يستخدم للأشخاص الذين ادى عملهم الى مشاكل مزعجة بالنسبة لهم (Erikson , 1977).

ب : إجراءات العلاج :

مثل "فرويد"، ينظر "إريكسون" الى التداعى الحر على أنه افضل طريقة للوصول إلى معنى للمحتوى الهام فى اللاشعور. حيث أن أكثر إجراءاته العلاجية صممت لاختصار او للتقليل من الأخطاء، والجهد الكبير الذى يوجد فى طريقة "فرويد" للعلاج على سبيل المثال: إنه يأخذ دوراً أكثر ايجابية، فيشارك ويراقب، وكمثل "أدلر ويونج" يؤكد "إريكسون" على أهمية المقابلة وجهاً لوجه بين المريض والمعالج.

وهو أيضاً يفضل تجنب الاستغراق فى ماضى المريض، ولايؤيد كذلك عدم تزويد المريض بالتبريرات التى أدت الى الاضطراب العصابى له، وكذلك يرفض تحمل مسئولياته عن سلوكهم، (Erikson, 1964). ويرى "إريكسون" ان اللعب هو الطريق المعبد الى اللاشعور عند الطفل وليست الأحلام. ويميل الأطفال الى ان يصفوا فى شكل تمثيلى مالا يستطيعون وصفه او قوله فى الحقيقة، ويستطيع الطفل ان يعد ليقدم مسرحية نظمها بمفرده مهما كانت الأنا لديه مشوشة، وبالنسبة لاداء الدور فيها، يعد أوضح مقياس طبيعى لدرجة الشفاء أو العلاج الذاتى لمشكلات الطفوله، كما وصفها "وليم بلاك" William Blake، إن ادوات اللعب toys وطرق تفكير الكبار هى ثمار لكلا الفترتين أى (العب والشفاء) (Erikson, 1963).

المقاومة، والتحول، والتحول العكسي:

يوافق "إريكسون" على جود المقاومة اللاشعورية للمعالج مثل السكوت الواضح والتجنب الهام ولكن غير السار، ولكنه يفسر ذلك بخوف المريض من ان يترتيب على ضعف الأنا لديه أن يهمل او يحطم برغبة المحلل القوية. وهو يشارك "فرويد" الرأى فى أن المقاومة تمثل مصدر مهم للمعلومات. فى حين يركز "يونج" على أن المستويات الكثيفة (كالتحول العصابى) يمكن أن تثير التkovs الزائد والرغبات الطفولية.

ويعتنى "إريكسون" بضرورة ان يقوم المحلل نفسه بالتحكم فى عملية التحول العكسى (الطرح) كالرغبة فى السيطرة أو حب المريض ويرى ان التحليل الشخصى (التحليل الذاتى من الفرد لنفسه Personal analysis) جزء اساسى للتدريب على طريقة التحليل النفسى العلاجية عند "إريكسون".

لذلك لا يوجد مدخل علاجى سواء (لفرويد او يونج او إريكسون) يمكن ان يكون مؤثراً أو فعال إذا لم يكن هناك أنسجام فى هوية المعالج (Erikson, 1969)..

4- العمل :

فى تطبيق مع "أدler" يرى "إريكسون" أن عدم قدره على اختيار عمل خلال مرحلة المراهقة من أسباب الاضطرابات النفسية، كما رأينا ان تحقيق إشباعات الأنا عن طريق اختيار مهنة ربما يمثل احسن طريقة للتخلص من تشتت الهوية، -وابعد من ذلك - ينظر "إريكسون" الى العمل على أنه من المحتمل ان يكون اكثر المشكلات اهمالاً فى التحليل النفسى، فى نظريته وما سبقها وما لديه إلا القليل ليقوله حول محاولات البشر للعمل.

4- دراسة شخصيات تاريخيه :

أولى "إريكسون" اهتماماً كبيراً بكتابات و حياة العديد من الشخصيات التاريخيه مثل (مارتن لوثر كنج Luthor، وهنتر، وجوركى Gorky وغاندى ، وجيفرسون)، وحذر من استخدام السير الذاتيه كبديل للتداعى الحر، وذكر أن الكتابة عن المجال النفسى للشخصيات التاريخيه لا يمكن ان ينجو من مشكلة التحول والتحول العكسى (الطرح والطرح المضاد)، ولقد كان "إريكسون" يهدف من ذلك الى القاء الضوء على ما بداخل هؤلاء الاشخاص فى ضوء تصوراته ومفاهيمه النظرية، كما استخدم

هذا الأسلوب فى محادثة له مع قائد جماعة البلاك بانشر أو الفهود السوداء Black Panther
والذى يدعى هاوى نيوتن Huey Newton.

نظرية "إريكسون" فى الميزان :

الانتقاد وأوجه الخلاف : وجهة لإريكسون بعض الانتقادات أهمها :

1- تأييده "فرويد" وخدمة السياسيين :

تعكس كتابات "إريكسون" بعض الاضطراب والتصدع، فهو من ناحية لديه الولاء
القوى "فرويد" ونظريته ويصف نفسه على أنه محلل نفسى، ثم يعود ويتحفظ على (الليبدو)
عند "فرويد". كما حاول تخليد بعض الاحداث المزعومة فى حياة "فرويد"، كما صبغ نظريته
بسيرته الذاتيه عن الهوية، وقد ذهب "إريكسون" بعيداً عندما ارجع بناءه النظرى عن الهوية
الى خبرات حياته السابقة ومكرراً الحديث الغامض والمبهم الذى ذكره "فرويد" عن هذا
المصطلح فى الماضى.

رغم ذلك تعد نظرية "إريكسون" أكثر راديكالية من نظرية الهى الفرويدية . فقد أكد
على الأنا الموجبة والعمليات الاجتماعية وبشكل مختلف عن نظرية "فرويد" المتشائمة
واعطى إهتماماً اقل للبيدو متحولاً عن القبول المسبب لهذه التركيبات الى الرفض الصريح
بسبب طبيعتها التى لايمكن اثباتها بالدليل القاطع.

وحاول "إريكسون" تبسيط مفاهيمه العميقة عن الهوية، مما استغرق منه وقتاً طويلاً
كان خلالها تائهاً، ولكنها ساعدته على فهم وكشف غموض ازمة الهوية، وقد كانت الفجوة
بين ايضاحه لنظرية "فرويد" وتركيباته النظرية، توحى بأنه يعطى بعض الانتقادات لنظرية
"فرويد"، اما عن الانطباع السائد بالمسايرة السياسية فإن ذلك امر قائم، وربما يرجع ذلك الى
انه قد شعر ببعض الخوف من حرمانه من عضوية جماعة التحليل النفسى، لرفض نظرية
الليبدو ، وهو المصير المؤلم الذى سيلاقيه كل من اعترض على نظرية "فرويد". ولكن أياً
كان السبب فإن هناك على الأقل بعض التشويش والتناقض فى طبيعة واتجاه مساهماته
النظرية.

2- المحافظة الاجتماعية والتفاؤل :

على الرغم من أن "إريكسون" قد انكر وجود أى رغبة فى الدفاع عما فى نظريته من تطابق وانسجام، فإن البعض نظر الى افكاره على انها تعارض أى تغير اجتماعى يصوره خاصة تأكيده على ان النمو السوى للأنا يحتاج الى التدعيم الثقافى، وهو ما تم تفسيره على انه تأكيد لدور القواعد والمبادئ الثقافيه فى هذا الاطار، كما انتقد "إريكسون" فى تأكيده على ما يسمى بالقاعده الذهبية للتبادلية، والتي نظر اليها على انها تفاؤل مبالغ فيه، فالعديد من المشاكل يصعب حلها بمجرد السماح للاجزاء المتعارضة أن تحقق بعض النفع أو المكاسب.

3- انتقادات أخرى :

تفتقر أعمال "إريكسون" الى أية تحليلات كمية أو إحصائية، فبعض علماء النفس استفسر عن مدى شمولية أو عمومية الانبثاق المتعاقب لمراحل النمو النفسى جنسى، حيث وجد البعض تدعيمات قليلة منبسطة من حياتهم الشخصية او من مرضاهم. كما فشل "إريكسون" من تحديد تلك العوامل التى تظهر بمعدلات سيكولوجيه مفضلة أو غير مفضلة فى المراحل الأخير للنمو، مثل المثابرة مقابل الشعور بالنقص. وبالنسبة لأولئك الذين ينظرون الى القلق على انه مشكلة سيكولوجية فى خطرة، فقد لاقت معالجته السطحية له بعض النقد اذا قورنت باعمال "سوليفان وهورنى". كما ان بعض الانتقادات وجهت له بسبب التقارب الفكرى بينه وبين مفهوم "فرويد" عن النشاط الجنسى الأنثوى، ووضح مثال لذلك عندما ارجع خوف المرأة من الهجر الى عوامل تشريحية بدلاً من ان يرجع ذلك الى فقدان الدعم المادى من النساء. واخيراً ونظراً للتأثير الكاسح لنظرية "فرويد" ن فقد فشل "إريكسون" فى تقديم معلومات كافية كتلك التى قدمتها من سبقوه مثل "أدلر وفروم وسوليفان".

اسهامات النظرية :

يعد الإسهام الأساسى فى نظرية "إريكسون"، هو توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسى وذلك من خلال رفضه لوجهة نظر "فرويد" بأن المجتمع دائماً معاد ومحبط، ومن خلال تأكيده على تأثير العوامل والمؤثرات السيكلوجية والفروق الثقافية فى نمو الشخصية، فلقد ساعد على تحقيق بعض التكامل بين التحليل النفسى وعلم الاجتماعى.

كما تعد نظرتة السيكلوجية للتاريخ بمثابة محاولة هامة للربط بين التاريخ وعلم التحليل النفسى كذلك. كما كان لتأكيده على عملية الأنا التكيفيه والسوية واثرها فى استبصارنا بأن التحليل النفسى ليس قاصراً على التعامل مع الحالات الاكلينيكية وغير السوية. ولهذه الأسباب فإن بعض التقدميين ينظرون الى سيكلوجية الأنا على انها الاتجاه الجديد الأكثر فعالية الذى يجب الأخذ به فى مجال التحليل النفسى.

بالإضافة لما سبق فقد اصبح مصطلح أزمة الهوية من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية، كما يعد "إريكسون" أول محلل نفسى يقوم بعلاج الأطفال سواء كانوا عصابيين أو ذهانيين، ووضح اساليب قيمة جداً فى عملية العلاج باللعب، واقتناعاً منه بان الشخصية لا تتكون أو تتبلور كلية خلال السنوات الاربع او الخمس الأولى، وضع "إريكسون" مراحل النمو والتطوير بشكل اكثر امتداداً، واكد على أهمية مرحلة المراهقة بما يوزاى تاكيد "فرويد" على مرحلة الطفولة. ولقد قبل العديد من علماء النفس المعاصرين أهمية اكتساب الطفل للثقة الاساسية والأمل فى مرحلة الطفولة.

مقارنة بين نظرية "إيريك إريكسون" ونظرية "الفريد أدلر"

وجه المقارنة	إيريك إريكسون	الفريد أدلر
1- اسم النظرية	نظريته في علم نفس الأنا	نظريته في علم النفس الفردي
2- تركيب الشخصية	حدد الشخصية في ثلاثة مكونات هي الهى - الأنا - الأنا الأعلى	يرى أن الشخصية وحدة واحدة لا تتجزأ
3- اللاشعور	يؤكد على اللاشعور ويتفق مع فرويد في ذلك	يؤكد على العقل الشعورى الواعى
4- نمو الشخصية	نمو الشخصية يستمر مدى الحياة من الميلاد إلى الشيخوخة	الشخصية تتكون خلال السنوات الخمس الأولى من الحياة والأهداف الرئيسية تتشكل في هذه الفترة وقد تنحرف مسارها خلال الرشد فقط وبصعوبة بالغة - ولا يستطيع احد أن يفهم نمو أى فرد دون أن يفهم مرحلة طفولته التى مر بها .
5- اللبىدو	يتفق مع فرويد إلى حد ما في التأكيد على اللبىدو ويهتم أكثر بالأنا والقوى الإجتماعية	يناقض فرويد في أن سلوك الإنسان تحركه غرائز فطرية ويفترض أن سلوك الإنسان تحكمه الحوافز الاجتماعية
6- العوامل المؤثرة في نمو الشخصية	1. القوانين الداخلية للنمو 2. التأثير الثقافى . 3. الفروق الفردية في النمو	1. التدليل 2. الاهمال 3. عوامل والدية 4. النقص العضوى 5. الترتيب الميلادى
7- المجتمع	يلعب المجتمع دوراً هاماً في تطوير ونمو الأنا ويساعد على تخفيف صراعات الحياة عن طريق تحديده لقيمة الأدوار كما يلعب المجتمع	الإنسان يصبح اجتماعياً لمجرد تعرضه للعمليات الاجتماعية بل أن الاهتمام الاجتماعى فطرى فيه وإن كانت الانماط النوعية للعلاقات

دوراً بارزاً فى التأجيل أو التعجيل بتحقيق الهوية	بالآخرين والنظم الاجتماعية التى تظهر وتكون تحدد طبيعة المجتمع الذى يولد فيه الشخص	
8- خبرات الطفولة وتأثيرها على الشخصية تحدد شخصيته	مرحلة الطفولة هى التى تبني الثقة فى الطفل عن طريق الأم وهى التى تحدد شخصيته	الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل اكثر مما تحركه خبرات ماضيه وليست خبرات الطفولة المبكرة
9- السيطرة	استنتج أنه توجد لدينا حاجة اساسية للسيطرة وتغير البيئة	يتفق مع اريكسون فى الحاجة إلى السيطرة
10- الذات الخلاقة	الوظيفة البنائية للأنى السوية هو احتفاظها بالشعور بالهوية	فكرته عن الذات الخلاقة وتمثل الذات نظاماً شخصياً وذاتياً للغاية
11- التنشئة الاجتماعية	نمط التنشئة الاجتماعية الذى يتبعه الوالدين واحداً من أهم المؤثرات الأولية والذى من خلاله يؤثر الوالدين فى نمو الهوية لأطفالهم	عكس علم النفس التحليلى والتحليل النفسى فإن علم النفس الفردى نظر إلى فكرة وراثه المكونات الشخصية كشئ خرافى والإنسان حر إلى حد ما فى تحديد شخصيته المستقلة
12- وجهة النظر حول الطبيعة الإنسانية	اكثر تفاعلاً لأن القوى الأعظم تخص الأنى العاقلة والمتكيفة	متفائل بخصوص الوجود الإنسانى
13- الاحلام	الاحلام تقدم معلومات هامة عن محتوى ومضمون اللاشعور وعملية التكيف تنتج رموز الحلم بأكثر من معنى	الاحلام تعبير آخر عن أسلوب الشخص فى الحياة ولا توجد حاجة إلى مفاتيح لفهم اللاشعور فالمعلومات التى تحصل عليها من الاحلام يمكن إرجاعها فى مصادرها الأساسية إلى الذكريات الأولى وسمات الشخص والحركات الطبيعية والخيالات .

<p>يهدف العلاج إلى توحيد أسلوب الحياة مع الاهتمام الإجتماعى</p>	<p>المريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعورية إلى الشعور ويحقق استبصار هام فى كل من المستوى العقلى والانفعالى</p>	<p>14- العلاج النفسى</p>
<p>- من أوائل علماء النفس الذين أكدوا على المحددات الاجتماعية فى الشخصية - الوحيد الذى خصص جزء من نظريته للجريمة وأسبابها والتربية وإرشاد الطفل</p>	<p>توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسى - أكد على تأثير العوامل والمؤثرات السيكولوجية والفروق الثقافية فى نمو الشخصية - أصبح مصطلح الهوية من المفاهيم الشائعة فى حياتنا اليومية</p>	<p>15- اسهامات النظرية</p>

الفصل السابع

نظرية

يونج التحليلية

هو "كارل جوستاف يونج" يعتبر في المرتبة الثانية بعد "فرويد" ابرز علماء النفس المحدثين وكان "يونج وفرويد" بينهما علاقة إعجاب متبادلة ومن أسباب تمزق العلاقة التي كانت وثيقة فيما مضى هي أن رفض "يونج" للجنسية الشاملة عند "فرويد"، والسبب المباشر هو أن "فرويد" عين منهجه بنظريه في الجنس وهو ما اعتبره أمرا لا يمكن قبوله وبدأ "يونج" بعد ذلك في صياغة نظريته الخاصة في التحليل النفسي باسم (علم النفس التحليلي).

كانت ابرز سمات نظرية "يونج" إلى الإنسان وأكثرها تمايزا أنها تجمع بين (الغائية) و(العلية)، فسلوك الإنسان ليس مشروطا فحسب بتاريخه الفردي والعنصري(العلية)، بل وكذلك بأهدافه وبمختلف ضروب طموحه (الغائية)، وكلا من الماضي كواقع والمستقبل كمكان يقود سلوك المرء في الحاضر.

أن نظرة "يونج" إلى الشخصية نظرة إلى المستقبل بمعنى أنها تنظر إلى الأمام متطلعة إلى مستقبل نمو الشخص والى تطوره كما أنها نظرة إلى الخلف بمعنى أنها تأخذ الماضي في اعتبارها وفى لغة "يونج" (إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب). إن الإصرار على دور المصير أو الغرض في نمو الإنسان، يفصل بوضوح بين "يونج وفرويد".

* فعند "فرويد" لا يوجد غير تكرار لا يتوقف للموضوعات الغريزية حتى يأتى الموت.
* أما عند "يونج" فيوجد النمو الدائم الذي كثيرا ما يكون خلاقا والبحث عن الكل والكمال والشوق إلى الميلاد الجديد، كذلك تتميز نظرية "يونج" عن بقية المناهج الأخرى في دراسة الشخصية بما تعطيه من تأكيد قوى للاصول العنصرية والخاصة بنمو الجنس البشرى بأسره وفى تكوين الشخصية.

إن "يونج" ينظر إلى شخصية الفرد باعتبارها نتاجا ووعاء يحتوى على تاريخ أسلافه والإنسان الحديث قد تشكل في شكله الراهن بفعل الخبرات المتراكمة للأجيال الماضية، ("فرويد" يؤكد على الأصول الطفلية للشخصية)، ("يونج" يؤكد على الأصول العنصرية للشخصية)

يوضح "يونج" إن الإنسان يولد مزودا بكثير من الاستعدادات التي يتركها له أسلافه وتوجه سلوكه. نقب "يونج" في تاريخ الإنسان ليتعلم بقدر ما يستطيع الأصول العنصرية للشخصية وتطورها وما لهذا الماضي من وقع على الإنسان اليوم.

بناء الشخصية:

إن الشخصية الكلية أو النفس كما يسميها "يونج" تتكون من عدد من الأنظمة المنفصلة والمتفاعلة وهي: الأنا، اللاشعور الشخصي وعقده، اللاشعور الجمعي وأنماطه الأولية، القناع، الانميما، الانيموس، الظل.

الأنا: Ego

هو العقل الشعوري وهو يتكون من المدركات الشعورية والذكريات والأفكار والوجدانات، وهي مسئولة عن المرء بهويته واستمراريته.

اللاشعور الشخصي: Personal Unconscious

إن اللاشعور الشخصي منطقة مرتبطة بالأنا وهو يتكون من خبرات كانت شعورية فيما مضى إلا أنها كبتت وقمعت ونسيت أو تجوهلت بحيث لا تترك انطبعا شعوريا عند الشخص.

العقد: Complexes

العقد مجموعة منظمة أو تجمع من الوجدانات والأفكار والمدركات والذكريات توجد في اللاشعور الشخصي، وإنها نواة تعمل كنوع من المغناطيس الذي يجذب إليه مختلف الخبرات وكلما كانت القوة النابعة من النواة قوية زادت الخبرات التي تجذبها إليها.

أي أن الشخص الذي تسيطر على شخصيته الأفكار المتعلقة بالأم يقال أن لديه عقدة أم قوية وأفكاره ووجداناته وأفعاله يوجهها تصوره للام. إن النواة في اللاشعور الشخصي، إلا أن أيًا من العناصر المرتبطة أو حتى النواة نفسها يمكن بل وكثيرًا ما تصبح شعورية.

اللاشعور الجمعي: Collective Unconscious

اللاشعور الجمعي من أكثر سمات نظرية يونج في الشخصية أصالة وابتكاره كما أنه في الحالات المرضية يلقي بظلاله على الأنا واللاشعور الشخصي. فإن اللاشعور الجمعي هو مخزن آثار الذكريات الكامنة التي ورثها الإنسان عن ماضي أسلافه الأقدمين (من الإنسان والحيوان). وإن اللاشعور الجمعي هو المتخلفات النفسية التي تتراكم نتيجة الخبرات المتكررة عبر أجيال كثيرة.

فمثلاً: جميع البشر لهم أمهات فإن كل طفل يولد ولديه الاستعداد لإدراك الأم والاستجابة لها. وأيضاً إن الإنسان لديه الاستعداد للخوف من الظلام أو من الأفاعى، لأنه يمكننا أن نفترض أن الإنسان البدائي قابل كثيراً من الأخطار في الظلام كما كان ضحية الأفاعى السامة.

واللاشعور الجمعي هو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلى للشخصية وعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصي وجميع المكتسبات الفردية الأخرى، وإن ما يتعلمه الشخص نتيجة الخبرات يتأثر تأثراً جوهرياً باللاشعور الجمعي الذي يمارس على سلوك الشخص منذ بداية حياته. فإن المنطقتين اللاشعورية في العقل (الشخصية-الجمعية) يمكن أن تقدم خدمات بالغة للإنسان ومن ناحية أخرى إذا أهمل الأنا حكمة اللاشعور أو تجاهلها فإن اللاشعور قد يحدث اضطراباً في العمليات الشعورية المنطقية، وذلك بالسيطرة عليها وتحويلها إلى الأغراض والمخالفات المرضية والهواجس.

الأنماط الأولية: Archetypes

تطلق الأنماط الأولية على المكونات البنائية للاشعور الجمعي وان النمط شكل فكري مشاع وعام يتضمن قدرا كبيرا من الانفعال، وهذا الشكل الفكري يخلق صورا تشابه في حياة اليقظة السوية بعض جوانب الموقف الشعوري. وخبرة الفرد هي الاستعداد الداخلي للفرد وإدراكه للعالم بصورة معينة والطبيعة الفعلية لهذا العالم وعاده مايتفق المحددان معا ويلتقيان. إن النمط الأول نتاج الخبرات العنصرية بالعالم.

ينشا النمط الأولى من انه وديعة دائمة في العقل لخبرة تتكرر على الدوام عبر أجيال كثيرة وبطريقة مماثلة تعرض الإنسان طوال وجوده لأمثلة لاحصر لها لقوى الطبيعة الجبارة كالبراكين ومساقط المياه والفيضانات والأعاصير والبرق ومن هذه الخبرات نما وزاد نمط الطاقة الأولى والاستعداد لأدراك القوه والانبهار بها.

والأنماط الأولية ليست بالضرورة معزولة بعضها البعض الآخر في اللاشعور الجمعي بل إنها تمتزج وتختلط بعضها البعض الآخر، مثل امتزاج النمط الأول للبطل بالنمط الأول للرجل الحكيم لينتجا مفهوم (الملك الفيلسوف). ويفترض أن هناك أنماط أولية عديدة في اللاشعور الجمعي ومنها الأنماط الأولية للولادة والموت والقوة والسحر والوحدة والبطل والطفل والله والشيطان والحكيم المسن.

القناع: Persona

يطلق على القناع الذي يرتديه الشخص استجابة لمطالب المقتضيات الاجتماعية والتقاليد هو(الشخصية العامة)، وهو أيضا تلك الجوانب التي يظهرها الشخص للعالم أو التي يثبتها الرأي العام على الفرد، في مقابل الشخصية الخاصة، والتي توجد قابعة خلف الوجهة الاجتماعية، وإذا توحد الأنا بالقناع وهو ما يحدث كثيرا، فإن الشخص يصبح أكثر شعورا بالدور الذي يلعبه بمشاعره الحقيقية، ويصبح بعيدا عن ذاته معتبرا عنها ويصبح انعكاسا للمجتمع أكثر من أن يكون كائنا بشريا له استقلاله الذاتي.

الانيميا والانيموس:

من المعترف به أن الإنسان حيوان ثنائي الجنسية فعلى المستوى الفسيولوجي يفرز الذكر الهرمونات الجنسية الذكرية والأنثوية كليهما والأمر بالمثل لدى الأنثى، وينسب "يونج" الجانب الانثوي في شخصية الرجل والجانب الذكري في شخصية المرأة إلى الأنماط الأولية ويطلق على النمط الأولي الانثوي لدى الرجل (الانيميا) والنمط الأولي الذكري لدى المرأة (الانيموس). فلقد اكتسب الرجل نتيجة حياته مع المرأة عصورا طويلة، انوثته والعكس، ولكنهما يعملان بوصفهما صورا جمعية تدفع كل جنس إلى الاستجابة لإفراد الجنس الآخر ولفهمهم، وقد يعانى خيبة أمل مريرة عندما يتبين أن الاثنين غير متماثلين ويجب أن يحدث توفيق بين مطالب اللاشعور الجمعي وحقائق العالم الخارجي.

الظل: Shadow

يتكون النمط الأولي للظل من الغرائز الحيوانية التي ورثها في تطوره من الأشكال الدنيا من الحياة والنمط الأولي للظل مسئول كذلك عن ظهور الشعور وعن السلوك غير السار وعن الأفكار والمشاعر والأفعال المنبوذة اجتماعيا، وهذه قد يعمد القناع إلى إخفائها بعيدا عن أنظار العامة أو تكبت في اللاشعور الفردي، والظل بغرائزه الحيوانية الفياضة بالحية والشهوة، يمنح الشخصية الجسم المكتمل أو خاصية (التفكير - الوجدان - الإدراك)، وأنه يساعد على إخراج الشخص الكلي وصياغته.

الذات: The Self

إن الذات هي نقطة الوسط في الشخصية تتجمع حولها جميع النظم الأخرى وهي تجمع هذه النظم معا وتمد الشخصية بالوحدة والتوازن والثبات، ومنطقة الذات بين الشعور واللاشعور، وإن الذات هي هدف الحياة والهدف الذي يحاول الناس بلوغه دائما لكنهم نادرا ما يبلغونه وهي تحرك سلوك الإنسان وتدفعه نحو البحث عن الكلية.

واكتشف "يونج" الذات في دراساته وملاحظاته لديانات الشرق التي يحقق فيها البحث عن الكلية والوحدة مع العالم. ومن الضروري قبل أن تبرز الذات أن تحقق مختلف مكونات الشخصية نموا كاملا وتفردا، لهذا لا يصبح النمط الأولي للذات واضحا قبل أن يصل الشخص إلى منتصف العمر.

الاتجاهات: Attitudes

ميز يونج اتجاهين أساسيين تتخذها الشخصية وهما:

1-الاتجاه الانبساطي (وهو يوجه الشخص نحو العالم الخارجي الموضوعي)

2-الاتجاه الانطوائي (وهو يوجه الشخص نحو العالم الداخلي الذاتي)

فإذا كان الأنا أقوى وتغلب عليه الانبساطية في علاقته بالعالم فان اللاشعور الشخصي يكون منطويا.

الوظائف: The Functions

هناك أربعة وظائف رئيسية حددها "يونغ" وهى:

1-التفكير: (وهى عملية ذهنية يفهم الإنسان طبيعة نفسه والعالم من حوله).

2-الوجدان: (وهى وظيفة القيمة للأشياء وتمنح الإنسان خبراته الذاتية باللذة والألم والغضب والخوف والبهجة والحب).

3-الإحساس: (وهى الوظيفة التي تسبق الإدراك أو الوظيفة الواقعية).

4-الحدس: (وهى الإدراك بواسطة عمليات لاشعورية دون وعى، ويتجاوز الإنسان الوقائع والوجدانات والأفكار ليكون نماذج للواقع) التنبؤ.

لاتتمو هذه الوظائف بالضرورة نموا متساويا وعادة ماتكون إحدى هذه الوظائف على قدر مرتفع من التفاضل بحيث تلعب دورا غالبا في اللاشعور وحين إذ تسمى (الوظيفة العليا)، وتعمل الثلاثة الوظائف الأخرى مساعدة لها وتحل اى من الوظائف الثلاثة محل الوظيفة العليا آليا في حالة ما حيل بين الوظيفة العليا والنشاط. أما اقل الوظائف الأربعة فتسمى (الوظيفة الدنيا) وإنها تكبت وتصير لاشعورية.

التفاعل بين أنظمة الشخصية عن طريق ثلاثة طرق:

(يعوض احد النظم ضعف نظام آخر)

(يعارض نظام ما نظاما آخر)

(يتحد نظام مع نظام أو أكثر ليكونا تالفا)

وبصفة عامة يكون جميع محتويات العقل اللاشعوري تعويضا عن محتويات العقل الشعوري. يعتقد "يونج" انه يجب أن تؤسس النظرية السيكولوجية للشخصية على مبدأ التعارض أو الصراع لان التوترات التي تخلقها العناصر المتصارعة هي لب الحياة وجوهرها فبدون الصراع والتوتر ما كانت لتوجد طاقه وما كانت لتوجد شخصية. الأنا تذهب وتجيء بين المطالب الخارجية للمجتمع والمطالب الداخلية للاشعور الجمعي ويتكون نتيجة لهذا الصراع **القناع**.

سمي "يونج" (الوظيفة المتعالية) وأطلقها على ماينتج عن عمل هذه الوظيفة تآلف بين النظم المتعارضة لتكون شخصية متوازنة متكاملة ومركز هذه الشخصية المتكاملة هو **الذات**. إن الشخصية في نظر يونج ليست فقط في الأنماط الأولية الممكنة والعقد، بل أيضا في التفاعلات بين هذه المكونات.

مثلا: علاقة الانبيما ونظم الشخصية الأخرى (إن الطفل الذكر المزود بنمطه الأولى للمرأة يجذب غريزيا للمرأة الأولى التي تكون أمه في العادة وعندما يتقدم الطفل في السن تصبح هذه الروابط مع الأم مقيدة ومحبطة ولذا تكبت عقدة الأم التي تكونت في الأنا وتحولت إلى اللاشعور الفردي وفي هذا النمو تكبت السمات والاتجاهات الأنثوية التي غرست في الأنا عن طريق الانبيما لأنها غريبة على الدور الذي يتوقع منه المجتمع بوصفه الذكر (**القناع**).

يقول "يونج" إن قدرا كبيرا من سوء التوافق وعدم السعادة يرجع إلى نمو من جانب واحد في الشخصية يتجاهل جوانب هامه من طبيعة الإنسان. إن الشخصية في نظر "يونج" بناء على قدر بالغ من التعقيد عدد الأنماط الأولية الممكنة والعقد بل إن التفاعلات بين هذه المكونات كثيرة التداخل والتشابك.

ديناميات الشخصية:

يتصور "يونج" الشخصية أو النفس نظاما من الطاقة غير مغلق تماما، لأنه لابد من إضافة طاقات من مصادر خارجية إلى النظام مثل الأكل كما تنتزع من النظام طاقة مثل القيام بالأعمال العضلية، نفهم من ذلك أن ديناميات الشخصية تتعرض إلى المؤثرات والتعديلات من المصادر الخارجية.

الطاقة النفسية:

الطاقة النفسية مظهر لطاقة الحياة وتنشأ الطاقة النفسية بنفس الطريقة التي تنشأ بها كل طاقة حيوية أعنى من عمليات الهدم والبناء في الجسم (طاقة الحياة الليبدو)، الطاقة النفسية ليست مادة ظاهرة لذلك لا يمكن قياسها وتجد الطاقة النفسية التعبير عن نفسها في شكل:

- أ- القوة القائمة بالفعل مثل (الرغبة- الإرادة- الوجدان- الانتباه- بذل الجهد)
- ب- القوة الممكنة للشخصية مثل (الاستعدادات- القدرات- الميول- النوازع- الاتجاهات) .

القيم النفسية:

إن مقدار الطاقة النفسية في عنصر الشخصية تسمى قيمة هذا العنصر، والقيمة مقياس للشدة عندما نتحدث عن أعطاء قيمة كبيرة لفكرة أو وجدان معين، نعنى أن هذه الفكرة أو الوجدان لها وزن في حفز السلوك وتوجيهه، وعلى العكس إذا كان لشيء ما قيمة تافهة فإنه لن يرتبط إلا بقدر ضئيل من الطاقة، وان الشخص يبذل للحصول على حافز ما جهدا اكبر مما يبذله للحصول على حافز آخر (اعتبار ترتيب تفضيلات مقياس اجمالى للقوى النسبية للقيمة).

قدرة العقدة على التجميع:

وهى مدى قدرة العنصر النووي من العقدة على التجميع وان المرء يستطيع عن طريق الملاحظة والاستنتاج أن يصل إلى تقدير لعدد المستويات المتصلة بعنصر نووي، فالشخص الذي يعانى من عقدة الأم القوية يميل إلى إقحام أمه أو شيء يتصل بها في كل نقاش ويميل مثلا إلى رؤية الأفلام السينمائية التي تجسد ادوار الأم. إن العقد لا تعرب عن نفسها دائما بصورة عامة فقد تظهر في الأحلام أو في اى شيء مبهم لذلك لابد من (الاستنتاج التحليلي) وهو اكتشاف الدلالة الكامنة وراء الخبرة وذلك عن طريق كلا من:

أ- اختبار تداعي الألفاظ (عبارة عن مجموعة كلمات مقننة يطلب من الشخص الإجابة بأول كلمة تخطر على باله).

ب- اختبار المقاييس الفسيولوجية (عبارة عن قياس نبض القلب واحمرار الوجه واستجابة الشخص الانفعالية لموقف ما).

يمكن من هذين المقياسين بدقة لا بأس بها قياس قوة عقد الشخص.

مبدأ التعادل (مبادئ الدينامية):

وهو أنه إذا أنفقت الطاقة في تحقيق شروط معينة كالقيام بعمل ما، مثلاً فالقدر المستخدم سوف يظهر في مكان آخر من النظام (التوزيعات المتجددة للطاقة تكون ديناميات الشخصية). مثلاً: إذا ضعفت أو اختفت قيمة معينة فإن مجموع الطاقة التي تمثلها هذه القيمة لن تفقدها النفس وإنما ستظهر مرة أخرى في قيمة جديدة أي أن الأداء الوظيفي للشخصية الكلية يقدر مبدأ التعادل إذا انتقلت الطاقة من الأنا مثلاً ستظهر في نظام آخر القناع مثلاً أو اللاشعور الفردي. وربما ارتفاع أو انخفاض الطاقة راجعاً إلى إضافة الطاقة من مصادر خارج الجسم (مثل الطعام أو الراحة) أو إلى انتزاع الطاقة (مثل أداء عمل عضلي أو الإجهاد في العمل).

مبدأ الانتقال:

نظرية "يونج" لديناميات الشخصية ترى أن توزيع الطاقة في النفس ينزح إلى التوازن أو الإتزان، فإن الطاقة ستنتج من القيمة القوية إلى القيمة الضعيفة إلى أن يتحقق التوازن ولكن طالما أن النفس ليست نظاماً مغلقاً فإن من الممكن إضافة الطاقة أو انتقاصها من أي من القيمتين المتعارضتين، فيضرب التوازن وبالرغم من أنه لا يمكن أبداً إقامة توازن دائم بين قوى الشخصية فإن هذه هي الحالة المثالية التي يهدف إليها دائماً توزيع الطاقة (توزيع الطاقة الكلية بالتساوي على مختلف نظم الذات).

وتحقيق الذات في نظر "يونج" هو هدف النمو النفسي يعني أن ديناميات الشخصية تتحرك نحو توازن كامل بين القوى أي أن النظام الضعيف يحاول تحسين مكانته على حساب نظام قوى ويسبب ذلك توتر في الشخصية.

إن القاعدة العامة عند "يونج" توضح أنه أى نمو من جانب واحد في الشخصية يخلق الصراع والتوتر إنما النمو المتعادل لجميع مكونات الشخصية يؤدي إلى الإنسجام والرضا. غير أن حالة التوازن الكامل حالة تفتقر إلى إنتاج الطاقة، لأن إنتاج الطاقة يتطلب اختلافا في القوى والنظام ينحدر ويتوقف، عندما تصبح جميع أجزائه في حالة توازن متساوي أو انتقال تام وذلك فإنه من المحال أن يصل كائن إلى الانتقال التام.

استخدام الطاقة:

تستخدم الطاقة النفسية بأسرها في هدفين وهما:

1- الطاقة التي تنفق في الأعمال الضرورية للمحافظة على الحياة والتكاثر (الوظائف الفطرية

الغريزية) كما تتمثل في الجوع والجنس وهي تعمل وفق قوانين بيولوجية طبيعية.

2- الطاقة التي تزيد عن حاجة الغرائز وتستخدم في (النشاطات الثقافية والروحية) وهي تشكل

أهداف الحياة التي هي ارقى.

فبقدر ما يصبح الشخص أكثر كفاءة في إشباع حاجاته البيولوجية بقدر ما تبقي له من طاقة لمتابعة الثقافات.

نمو الشخصية:

يعتقد "يونج" أن الإنسان يتقدم دائما إلى الأمام ويتطور على الدوام إلى أشكال أكثر تفضلا ومستقبل الإنسان هو الشيء الذي يجده "يونج" جديرا بالاهتمام والتحدي. وان النفس طورت مركزا جديدا وهو الذات يحل محل المركز القديم وهو الأنا.

العلية في مقابل الغائية:

يذهب "يونج" إلى أن وجهتي النظر ضرورية في علم النفس إذا كنا نسعى لفهم كامل للشخصية فان الحاضر لا يتحدد عن طريق الماضي (العلية) فقط بل ويحدده المستقبل كذلك (الغائية)، وإن العقل يعطى من جانب صورة لما ترسب عن الماضي ويعطى من الجانب الآخر صورة للمعرفة المتولدة بكل ما سيحدث.

فالإنسان ذو الاتجاه العلى الخالص من المحتمل أن يؤدي إلى خلق اليأس والاستسلام لدى الإنسان، والإنسان ذو الاتجاه الغائى يعطى له الشعور بالأمل وبوجود شيء يعيش من اجله (إن سيكولوجية "يونج" سيكولوجية متفائلة).

الوراثة:

تعطي سيكولوجية "يونج" الوراثة دورا هاما فهي مسؤولة في المقام الأول عن الغرائز البيولوجية التي تخدم أغراض المحافظة علي الذات والتكاثر، وتكون الغرائز الجانب الحيواني (وهو الدفعة الداخلية لإشباعها) وهناك بجوار الوراثة الغرائز البيولوجية. الوراثة لخبرات الأجداد تورث في شكل أنماط أولية فإن النمط الأولى هو ذاكرة العنصر التي أصبحت جزءا من إرث الإنسان بفضل تكرارها على نظام شائع عبر الأجيال ويقبول فكرة الوراثة الثقافية.

مراحل النمو:

- لايحدد "يونج" بالتفصيل المراحل التي تمر بها الشخصية ولكن علي سبيل المثال:
- 1- في السنوات المبكرة يستمر الليبدو في نشاطات ضرورية للبقاء .
 - 2- قبل سن الخامسة تبدأ القيم الجنسية في الظهور وتبلغ قمتها خلال المراهقة.
 - 3- تبلغ غرائز الحياة الأساسية والعمليات الحيوية في شباب المرء والسنوات الأولى من الرشد ذروتها فالشباب يكون فياضا بالطاقة والقوة ومندفعا عاطفيا ومعتدا على الآخرين.
 - 4- وهذه الفترة من الشباب يتعلم الشخص مهنته وينجب الأطفال ويبنى مكانته في الحياة.
 - 5- وعندما يصل إلى أوائل الأربعينيات فاهتمامات الشباب تفقد قيمتها وتحل محلها اهتمامات أكثر ثقافية وقل بيولوجية، ويصبح أكثر انطواء وقل اندفاع ويحل التروي والعقلانية وتتسم قيمه في شكل رموز اجتماعية ودينية وفلسفية انه يتحول غائى، إنسان روحي .

إذا أصاب الخلل شيء أثناء تحول الطاقة فإن الشخصية قد يلحق بها العجز الدائم، مثلا: عندما لاتستخدم القيم الثقافية والروحية لمنتصف العمر، جميع الطاقات التي كانت تستثمر فيما سبق في الأهداف الغريزية يصبح فائض الطاقة طليقا ليعتث الاضطراب في توازن النفس.

التقدم والنكوص:

إن النكوص هو النقيض للتقدم، وإن النكوص في الطاقة ليس لها بالضرورة اثر سيء دائم علي التوافق والحقيقة انه قد يساعد الأنا علي العثور علي طريقة يدور بها حول العقبة ويتحرك مرة أخري إلي الأمام.

عملية التفرد:

لو أن اى جزء من الشخصية قد أهمل فإن النظم المهملة والتي أقل نموا، ستتنشط كمراكز للمقاومة وستحاول الاستيلاء على الطاقة من النظم التي أكثر اكتمالا في النمو، وتتكامل الوظائف المتفاضلة بفعل (الوظيفة المتعالية).

عملية الإعلاء والكبت:

الإعلاء (التسامي): إزاحة الطاقة من عمليات بدائية أو غرائز اقل تفاضلا إلى عمليات ثقافية وروحية أكثر تفاضلا. الكبت: عندما يعاق تفرغ طاقة فانه يقال إنها كبتت. الإعلاء أو التسامي تقدمي وتكاملي حيث يؤدي إلى التحرك للأمام أما الكبت نكوصي يؤدي إلى التحرك للخلف ويفسد التكامل فالشخص من وجهة نظر "يونج" قد يجد الإجابة علي مشاكله في اللاشعور ويتحرك إلى الأمام ثانيا.

الرمز:

إن الرموز تعبيرات تمثل النفس، ولها وظيفتان أساسيتان وهما:

1- يمثل محاولة إشباع دفعة غريزية قد أحبطت.

2- تجسيد لمادة نمطية أولية.

وكلما اكتشفنا رموزا أحسن أي رمز تفرغ طاقة أكثر وتخفص توترا أكثر .

البحوث المميزة:

3- الدراسات التجريبية للعقد (تداعي الألفاظ مع استخدام المقاييس الفسيولوجية).

4- دراسة الحالة (تستخدم عن طريق التداعي الطليق والأحلام ومنهج التخيل الايجابي).

الفصل الثامن

نظرية أدلر - علم نفس الفرد

يعتبر علم نفس الفرد احد الأنظمة العلاجية المبنية علي أفكار ووجهات نظر "أدلر"، والتي تشكل في مجموعها نظرية للشخصية، و يعود تأسيس هذه النظرية إلي الوقت الذي كان فيه "أدلر" أحد أعضاء الجماعة الاولي لمدرسة التحليل النفسى التقليدية التي اسسها "فرويد". غير ان "أدلر" اختلف مع "فرويد" وبخاصة رفضه الاعتماد علي فكرة المراحل الجنسية كمؤثر هام في السلوك، و اتجأه إلي إدخال فكرة الليبيدو ضمن العمليات التي يسعى الفرد عن طريقها إلي تحقيق التفوق. كما يلاحظ مشاركته "فرويد" في الاهتمام بفكرة التعويض، و التعويض الزائد عن الحد.

وقد تأثرت آراء "أدلر" (1870 - 1937) إلي الحد الكبير بوجهات النظر الاجتماعية التي تتنادى بأن الانسان هو المخلوق الوحيد علي وجه الارض الذي لا يتأثر كثيراً بالدوافع الفطرية، وأن العوامل التي تؤثر في سلوكه بصورة اساسية هي الثقافة. والعلاقات بين الافراد، والبيئة الاجتماعية ككل لا يتجزأ، وقد أدى هذا الموقف إلي رفض "أدلر" التسليم بسيطرة العوامل الفطرية والاتجاهات اللاشعورية علي الفرد و تحكمها في توجيه سلوكه، و ذلك لأن لديه القدرة علي السيطرة علي نشاطاته السلوكية بطريقة شعورية ومقصودة، كما ان لديه الاستعداد ايضاً للعمل و تغلب المصلحة الاجتماعية دون حدوث أى تعارض بين ذلك وبين إرضاء حاجاته الاساسية أو تحقيق أهدافه.

ويبدو لنا من تحليل آراء "أدلر" أن الانسان ليس مجرد نتاج للعوامل الوراثية أو البيئة تفعل ما تشاء، إذ علي الرغم من التسليم بأهمية الدور الذي تلعبه الاستعدادات والقدرات الطبيعية التي يأتي الفرد إلي العالم مزوداً بها. إلا ان ما يجب التأكيد عليه و ايلائه الاهتمام الجدير به هو ماذا يفعل الفرد بتلك القدرات والاستعدادات، و كيف يستخدمها من خلال مهاراته الابداعية والخلاقة؟ .

وقد إتجه "أدلر" بعد إنفصاله عن مدرسة التحليل النفسي التقليدية إلي تضمين أفكاره و إتجاهاته الفلسفية فيما سماه بعلم نفس الفرد، وهو إتجاه يقوم علي دراسة الفرد في الإطار الاجتماعي و ليس بمعزل عنه كما يهتم بالكشف عن إتجاهاته في علاقاته بالآخرين وبالأشياء المحيطة به في بيئته، وتتجه هذه النظرية إلى اعتبار الفرد وحدة لا تتجزأ، ولا يمكن دراسة أى نشاط سلوكى إنسانى بمعزل عن الشخصية ككل .

الشخصية:

مما يلاحظ الفكرة الرئيسية التى يدور علم نفس الفرد في إطارها هى أن شخصية الانسان متكاملة وهادفة وكل لا يتجزأ، ولكى تفهم الانسان فلا بد لنا من إدراك النزعات الهادفة لديه أو ما يسميه "أدلر" بمبدأ التوجية لحياة الفرد، و أن هدف الشخصية الاساسي يتكون من ثلاث مجموعات من النزعات الهادفة و هى:

- نزعة بيولوجية.
- نزعة إجتماعية.
- نزعة عقلية.

وتشمل النزعات (العوامل) البيولوجية الهادفة علي الانعكاسات الفطرية والانفعالات التى تهدف إلى المحافظة علي الحياة. كما تشمل النزعات الاجتماعية الهادفة علي اساليب التعبير عن النشاط الحيوي الهادف الناتج عن الحياة في جماعة والتي يشير إليها "أدلر" تحت أسم " مفهوم الشعور الاجتماعي"، أما العوامل العقلية الهادفة فتشمل الشعور والنشاطات التى يخطط لها الكائن الحى وتعمل هذه النزعات كنظم ثانوية للهدف الشخصى.

ويشير "أدلر" بشكل واضح إلي الأساس الذي تقوم عليه الشخصية، هو أن لكل كائن حي هدفاً يسعى إليه ويتوق جاهداً لتحقيقه في الحياة، وأن نشاط الفرد العقلي وإتجاهه العام وكل ما يقوم به لا يخرج عن إطار ذلك الهدف، وأنه من السهل علينا أن نفهم أى إنسان إذا ما عرفنا هدفه المنشود فالطفل الذى يحاول فتح خزانة، علي سبيل المثال لا يعطينا من المؤشرات ما يكفي لفهم طبيعة ما يسعى إليه أو لتحقيقه والدوافع إلي ذلك السلوك، غير إنه يسهل فهم ذلك كله إذا ما علمنا بأن الخزانة بها صنوف الحلوى التى تمثل الهدف الذى يحاول الطفل بلوغه. أما عن الصفات الشخصية فإن وجهة نظر "أدلر" ترى بأنها مكتسبة و ليست فطرية أو موروثة، وأنه تجرى عملية بلورتها وتطورها من خلال الصراع الذى يخوضه الفرد في سعيه الدائم لتحقيق هدفه الذى يسعى إليه.

أما الاستعدادات والقدرات فإنها فطرية وموروثة، وتسمى حصيلة الفرد مجتمعه من الصفات والقدرات بأسلوب الحياة وهو أسلوب يميز الفرد عن غيره من الافراد، لأنه يمثل الإطار الذى يدور في فلكه السلوك العام والميول والاتجاهات.

الاسلوب و الحياة :

وقد إتجه التفكير في بداية الامر إلي الاعتقاد بأن أسلوب الحياة يتم تشكيله و بناء اساسه وتثبيت إطاره خلال السنوات الخمس أو الست الاولى من العمر، و إنه لا يمكن تغيير ذلك الاسلوب فيما بعد، و هو ما يتشابه إلي حد كبير مع وجهه نظر "فرويد". غير إنه تم العدول عن ذلك الاتجاه و أصبح الرأى السائد هو أن الاسلوب ليس ثابتاً، و إنه حركى و ديناميكى مما يمكن تعديله و تطويره تبعاً لمتطلبات البيئة الاجتماعية.

ويمثل أسلوب الحياة أهداف الانسان وكيفية كفاحه في سبيل تحقيقها، كما يشمل أيضاً قدراته وحوافزه، و بإختصار فأسلوب الحياة هو كل ما يتعلق بشخصية الانسان، و يهدف أسلوب الحياة إلي تحقيق التفوق، غير إنه يمكن أن يكون حقيقياً واصيلاً أو خاطئاً ومشوشاً، و ذلك إعتياداً علي مفاهيم الشخص ومعتقداته. كما يرى "أدلر" بأن لكل إنسان هدفاً نهائياً في الحياة. وأن هذا الهدف النهائى هو وحدة القادر علي التعبير علي سلوك الانسان.

ويعنى ما سبق أن المستقبل هو أقوى مؤثر علي الدوافع الإنسانية، وأن الطريقة التي ينظر بها الانسان إلي أهدافه المستقبلية هي التي تؤدي به إلي الشعور بالصحة والمرض.

الحياة العقلية لدى الافراد:

يرى هذا الاتجاه بوجود ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر في حياة الفرد العقلية و هي:

اولاً : ترتيب الفرد في الولادة بين إخوته و أخواته:

وقد توصل "أدلر" عن طريق الملاحظة المباشرة إلي أطفال الاسرة الواحدة قد يختلفون في سلوكهم وإتجاهاتهم وأمزجتهم علي الرغم معيشتهم في نفس الوسط الاسري والمحيط العائلي الواحد، وقد دعه ذلك إعتبار ترتيب ولادة الطفل بين اخوته مهمة. لأنها تتفاعل مع العوامل التي تشكل النفس الإبداعية و تؤثر بشكل خاص علي مكونات الشخصية، ويلاحظ بهذا الخصوص أن الطفل الاول في الاسرة عادة ما يقابل بالفرح والسرور من الجميع الذين لا يتوقعون عن مداعبته وملاطفته وتدليله و تلبية جميع إحتياجاته و الاستجابة لكل متطلباته، مما يغرس في نفسه إنطباعه بأنه مركز الاهتمام و محل إهتمام جميع أفراد الاسرة.

غير أن مجئ الطفل الثاني يزعزع ذلك الانطباع لديه ويهز مكانة الطفل الاول لدرجة جعلت "أدلر" يطلق عي هذا الوضع الحرج تعبير "الملك المخلوع"، حيث يبدأ في الشعور بتحول الاهتمام عنه إلي القادم الجديد الذي يشاركه حب الوالدين والاهل وعطفهم وإهتمامهم، ويدفعه ما يري و يحسه، إلي أسلوب العصيان والمقاومة في سبيل المحافظة علي مركزه السابق ومكتسباته عن طريق إظهار الغضب والميل إلي الصراخ والبكاء، ومعاندة الآخرين، وتحطيم كل ما تصل إليه يده، ورفض طاعة الاوامر. مما يعرضه للعقاب و يعمل علي تعميق الشعور بالهزيمة .

وما لم يصل الطفل الاول عن طريق الحدس والبديهة إلي إدراك حقائق الموقف المحيط به وتبين معالم الطريق الذى يسير فيه والمصاعب التى يواجهها. فقد يتجه وجهة سلبية في سلوكه عن طريق الاعتزاز بالماضى والتمسك به والعيش فيه بإستمرار. حيث يجد فيه الراحة والسعادة والنفوذ. مع الشعور في نفس الوقت بالتشاؤم من المستقبل والخوف منه.

لأنه سبق و أن حمل إليه المجهول الطفل الجديد وما سحب ذلك من متاعب الحرمان وعناد المنافسة وقسوة فقدان المراكز والاهتمام. كما يؤثر ذلك الموقف عليه بشكل آخر إيجابياً عن طريق التحول إلي الاعمال التى تتطلب قدرة علي قيادة الاخرين وتنظيمهم.

أما الطفل الثانى فيكون حائراً موزع الفكر، لإنشغاله بعملية الصراع مع الطفل الاول الذى يسبقه مما يغريه بالمقاومة وزيادة قدرته وعزيمته علي التحمل من أجل فتح مجالات التفوق أمامه. ويشير "أدلر" إلي أن الطفل الثانى يشبه حصان السبق الذى لا يتوقف عن الجري علي أمل الفوز بالسباق، مما يجعله دائم النظر إلي الامام و مهتماً بالمستقبل. علي أن كسب نتيجة الصراع بين هذين الطفلين أو حسمه يعتمد علي عدة أمور من أهمها:

في حالة تأكد الطفل الأول من ثبات والديه و إستقرار عواطفهم نحوه مع عدم تخليهم عنه. فإنه يستطيع مواجهة تحدى الطفل الاصغر منه والانتصار عليه ومواصلة نموه و تطوره بشكل طبيعى في نفس الوقت الذى قد يتأثر فيه الطفل الاصغر بالهزيمة التى قد تصاحبه طوال حياته.

أن شعورالطفل الثانى بقوة الضغط التى يفرضها عليه وجود الطفل الاول قد يجعله يثور ويقابل التحدى مهما كلفه من مشاق. و قد يدفعه ذلك إلي تبني أسلوب النقد في حياته الخاصة فلا يقف علي أمر ولا يتخذ قرار إلا بعد فحص الحقائق والتدقيق فيها ورفض قبول الاشياء علي علاقتها مع الإمعان في التمسك بحقوقه، والصراع من أجلها وعدم التفریط في أى منها، فإذا مع ما حقق له هذا السبيل الانتصار. فربما يؤدي ذلك إلى إصابة الطفل الاكبر ببعض الاعراض العصبية و يجعله ذا نزعة معادية للمجتمع.

أما الطفل الثالث فهو يشعر بوجود سابقه و يدرك أن المعركة لن تكون سهلة علي الاطلاق .
مما يجعله يميل المنافسة مع الاعتماد في تحقيق أهدافه علي إستخدام الدهاء وأساليب المكر والخداع
لتحقيق التفوق.

أما الطفل الاخير، وهو الاصغر فهو طفل العائلة المدلل الذي يحظى بالحماية الزائدة ويتسم
بانخفاض مستوى القدرة لديه علي التنافس. فهو لا يشعر بوجود غريم يمكن أن ينافسه أو يهدد مركزه
بمنازحته مكانه. الامر الذي يساعده كثيراً في محاولته اللحاق بإخوته. والتفوق عليهم. هذا من
الناحية الايجابية، أما عن الناحية السلبية فإن التدليل المبالغ فيه والحماية الزائدة عن الحد قد يدفعان
الطفل إلي الاتكال علي غيره و عدم سعيه إلي الاعتماد علي نفسه، وفقدان القدرة علي مواجهة
الصعاب أو التصدي لمشاكل الحياة، وفي حالة ما كانت الطفلة الاخيرة بنتاً في مجموعة أخوات
بنات، وكان الهل ينتظرون مولوداً ذكراً في مكانها فإنها قد تتجه إلي تقليد الصبيان في سلوكهم
حتي تقابل توقعات الهل. أما في حالة وجود بنت وحيدة بين مجموعة من الاخوة الذكور فيحتمل أن
تتجه إحدى و جهتين:

أ - إما أن تعمل علي مسايرة الاطفال الذكور وتقليدهم والتشبه بهم في سلوكها
وتصرفاتها.

ب- وإما أن تلتجئ إلي ضعفها وإختلافها مما يجعلها تعمل علي تأكيد انوثتها
والاعتزاز بجنسها.

و في حالة وجود طفل ذكر بين مجموعة أخوات بنات، فقد يتبع أحد الاتجاهين:

1. إما أن يتخاذل أمام تحالف الاخوات البنات ضده فيقبل الهزيمة، وينقلب ضعيفاً امامهن مما
يجعله يتشبه بأخواته في سلوكه وفي علاقاته مع الاخرين. وعادة ما يلاحظ ذلك في طريقة
الكلام وأساليب التعامل ونوعية الملابس.

2. إما أن يقبل التحدى و يستमित في صراعه بطريقة تتسم بالشدة والعداء للجنس الآخر.

ثانياً: ذكريات الطفولة الاولى :

يشير "أدلر" إلى الالهية البالغة التي تلعبها ذكريات الطفولة في حياتنا وفي تسليط الضوء علي المكونات الاساسية لشخصية الفرد، ويؤكد علي أن ما يحدث خلال السنوات الخمس الاولى من العمر له أثر واضح في تشكيل أسلوب الحياة الذي يشكل الاطار العام لسلوك الفرد ونشاطاته وإتجاهاته.

ونلاحظ هذا التشابه الكبير بين "أدلر" و بين "فرويد" حيث يري الاخير بأن السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل تعتبر حاسمة في تشكيل شخصيته لأنها بمثابة القاعدة التي يقوم عليها بناء الشخصية.

وتكشف ذكريات الطفولة الاولى عادة عن العوامل المختلفة التي كان لها تأثير علي الشخصية بشكل مباشر وغير مباشر. وعن الاتجاهات الخاصة بالفرد ونشاطاته وميوله الحسية والحركية، ويرتبط بذكريات الطفولة الاولى ما قد يعانيه الطفل من حرمان إنفعالي علي وجه الخصوص . فالحرمان من الاحاسيس و الخبرات الاخرى خلال المراحل الاولى من عمر الطفل يؤثر بشكل أو بآخر علي مراحل النمو التالية.

كما أن الطفل يتعرض خلال مراحل نموه بما يسمى بالمراحل الحرجة أو الفترات ذات الالهية الخاصة والمناسبة لكل فترة من فترات النمو علي حدة. حيث يبلغ النمو والتطور أعلي مستوياته خلال تلك الفترات مع الأخذ في الاعتبار إختلاف نسب التأثير من وظيفة إلي أخرى ومن نوع إلي آخر. كما يلاحظ ايضاً أن الحرمان يحدث بنسب متفاوتة مما يجعل تأثيره متفاوتاً بطبيعة الحال، فهو قد يؤثر سلباً علي بعض الوظائف بينما قد يؤثر بشكل إيجابي علي وظائف أخرى، وبصورة عامة فالحرمان يؤدي إلي الانقاص من القدرة علي التوافق، حتى و لو أن أحياناً إلي تحسين بعض الوظائف بشكل مؤقت.

و أخيراً فإنه تجدر الإشارة إلي أن العلاقة بين الذكريات والطفولة وأسلوب الحياة هي علاقة مزدوجة. إذ إنه بالكشف عن أسلوب الحياة يمكن لنا تحليل ذكريات الطفولة، كما أن استعراض تلك الذكريات يسهل علينا في نفس الوقت تصور أسلوب حياة أخرى.

ثالثاً: الاحلام :

وتختلف نظرة "أدلر" إلي الاحلام عنه لدى نظرية التحليل النفسي "لفرويد" فهو يري بوجود علاقة وثيقة بين الاحلام التي يراها الشخص وبين حياته الوجدانية، ويشير إلي إنه من طبيعة الاحلام أن تأتي علي شكل رموز مبهمة غير واضحة وغير مفهومة في كثير من الاحيان، وأن وظيفتها الاساسية تتمثل في ترك مجموعة من الانطباعات الوجدانية لدى الفرد، وفي إثارة مشاعره تجاه مواضيع معينة أو بعض الامور الخاصة، وذلك لحثه علي القيام بنشاط معين أو تغيير موقف سبق إتخاذه أو إعادة النظر في إتجاهه سابق، وذلك تمهيداً لإتخاذ القرار المناسب.

وتعتبر الاحلام بوجه عام مجموعة من الصور الخيالية البعيدة عن المنطق والواقع، وهي تعمل علي تسهيل عمليات حل المشكلات أو تجنبها للمشاكل الحالية التي نعاصرها في حاضرنا أو تلك التي نتوقع أن نقابلها في المستقبل كما تعتبر الاحلام من صنع أساليب حياتنا الفردية من جهة ومؤشراً يوضح تلك الاساليب من جهة أخرى، ولذا فإنه يجب النظر إليها من خلال الفرد ككل لا يتجزأ و في إطار الموقف الاصلي الذي كان مصدر إنشغالنا وقت رؤية الاحلام، وبهذه الطريقة فقط يمكن للاحلام أن تقوم بدور كبير في إلقاء الضوء علي طبيعة الحياة العقلية و الوجدانية للفرد، وفي تفسير بعض نشاطاته الانفعالية.

ديناميكية الشخصية :

إن الحياة من وجهة نظر "أدلر" ليست سوى صراع مستمر في سبيل تحقيق التفوق والغلبة علي الشعور بالنقص لإيذاء يرجع مصدره إلي شعور الاطفال بعدم قدرتهم علي مجاراة الكبار، والقيام بأعمالهم. فحجم الاطفال و قوتهم يجعلهم في موقف الضعيف بإستمرار مما يدفعهم إلي محاولة التعويض عن ذلك الضعف من أجل تحقيق النجاح، ويؤكد "أدلر" بهذا الخصوص علي أن جميع الفاشلين ليسوا عاجزين عن تحقيق أهدافهم بقدر ما هم بحاجة إلي وسيلة لإعدادهم بطريقة سليمة لمواجهة الحياة ومعرفة كيفية التعامل معها.

كما أن شعورهم بالنقص هو الذى يجعلهم لا يثقون بأنفسهم ويتهيئون لمواجهة المواقف الصعبة التى تصادفهم مما يجعلهم يواجهون الحياة بطريقة خاطئة. و ما لم يتم تعديل تلك الطريقة، فسوف يكون من الصعب عليهم التخلص من ذلك الاسلوب.

وقد عمل "أدلر" علي الرجوع إلي فترة الطفولة مثلما فعل "فرويد" من قبل. و ذلك لفهم تطور الفرد، إلا إنه لا يعتمد في تفسيره علي الجنس كعامل هام في التأثير علي خبرات تلك الفترة، فهو لا يذكر عقدة أوديب أو إليكترا، غير إنه حلل العلاقة بين مكونات " الانا " و خبراتها مع الانا الخاصة بالغير، ممن يتعامل الفرد معهم، وقد توصل عن طريق ذلك المبدأ الاساسى في نظريته، وهو الشعور بالنقص فشعور الانسان بالنقص أو بالعجز، وبأنه أضعف من الآخرين و مضطر إلي الاعتماد علي غيره تتفاعل معاً ويؤدى إلي نشوء الشعور بالنقص لدى الطفل بشكل عام.

ويحدد مجال عمل الشخصية و نشاطها مجموعة من العوامل و هى:

أولاً : عقده النقص :

ويري "أدلر" بأن عقده النقص هى دافع نفسي هام، ويختلف عن "فرويد" في هذه النقطة حيث أن الاخير يرى أن أهم الدوافع البيولوجية مثل دوافع المتعة أو الدوافع الجنسية، وأن مكوناتنا البيولوجية هى التى تؤدى إلي حدوث الاضطرابات مما يجعلنا نتسم بالدفاعية في سلوكنا و أن محاولة الحد من الدوافع و الحاجات البيولوجية تقود إلي شعور بالمرض واعراض الاضطراب.

ويشير "أدلر" إلي أن الشعور يعتبر من السمات الاساسية للانسان. إذ يعمل علي التأثير علي سلوك الفرد، ولذا عادة ما نجد من بين العوامل المحركة للانسان كى يسعي إلي الرقي والتقدم فورا أى تقدم إنسانى يوجد نوع من الشعور بالنقص، ويبدو ذلك واضحاً فيمن يسعون للكمال حيث غالباً ما يكون دافعهم هو الشعور بعدم الكفاية وعدم الشعور بالأمان. فقد وجد الانسان نفسه منذ القدم معرضاً للمخاطر من دون حماية أو سند، مما جعله يسعي لتأمين سلامته وقضى الآف السنين في إختراع وسائل الحماية و تحسينها لتأمين مركزه .

كما يرى "أدلر" بان عقده النقص موجودة بشكل كلي أو جزئى لدى كل فرد من افراد الجنس البشري، وإنه ليس هناك من شخص يخلو كلية من الشعور بالنقص وأن هذا الشعور هو الذى يؤثر في الافراد و يدفعهم إلي مواصلة الكفاح في سبيل تحقيق أهدافهم، كما تعزى إليه عملية التطور وسعى الفرد المتواصل من أجل إكتساب مزيد من الخبرات في محاولته للتغلب علي النقص وتحديه، فمحاولات التفوق والامتياز والارتقاء تتبع جميعها من مصدر واحد معلوم وهو الشعور بالنقص، الذى يقوم بدور الدافع الذى يستثير الهمم و يحث علي مواصلة التقدم بإستمرار والرغبة في تحسين الوضع الحالى. ويعتبر الشعور بالنقص فطري لدى الانسان حيث يلعب الدور الرئيسي في تقدم البشرية وبناء الحضارات منذ بدء الخليقة إلي يومنا الحاضر.

ونظراً لأن الطفل يشعر بطبيعته بالضعف والعجز وقلة الحيلة فإنه يحاول التغلب علي نقصه بالسعى إلي التطور والارتقاء، وإذا ما احيل بينه وبين المسار الطبيعي لمواصلة نموه والاستمرار في تطوره، فإن الشعور الطبيعي بالنقص يأخذ في التعمق. وقد يتحول إلي ما يسمى بعقده النقص .

ولتوضيح الفرق بين الشعور بالنقص كظاهرة طبيعية وبين عقدة النقص كظاهرة مرضية من علامات عدم السواء، نقول: بأن الاولي هي عامل يساعد الفرد في محاولته للتغلب علي مشاكله و إيجاد الحلول المناسبة لها. وهو ما ينتج عنه إكتساب الخبرات الجديدة ذات العلاقة بمواجهة الاحداث اليومية والاحداث والمشاكل المتجددة، اما عقدة النقص فتشكل ظاهرة مرضية من وجهة نظر الصحة النفسية، حيث تؤدي إلي جمود التفكير وإلي النظر إلي المشاكل بمنظار سلبي مما يجعلها تبقى كما هي بدون حل.

وهناك ثلاثة مصادر لعقدة النقص وهي:

الشعور بالنقص بسبب العاهة :

كان الاتجاه السابق هو النظر إلي العاهة التي يصاب بها الانسان سواء كانت تكوينية ام مكتسبة، بنفس الطريقة التي كان ينظر بها إلي الامراض بوجه عام، ولم يكن يوجه الاهتمام في الواقع إلا بالعاهات الظاهرة التي تؤثر في شكل الفرد أو هيئته أو مظهره العام، غير أن "أدلر" لم يتوقف عند هذا الحد بل ذهب إلي القول بأن العاهة هي كل ما يؤثر في الشكل أو الهيئة أو أمر آخر له صلة بالفرد، و يؤدي إلي إصابته بالاضطراب النفسي.

مما دعاه إلي إطلاق مفهوم عقدة العاهة عليها جميعاً، ومما سبق يتضح لنا إتجاه "أدلر" إلي الشعور بأن العاهة حتى ولو لم تكن واضحة ملموسة بشكل ظاهر، تؤثر علي نفسية الفرد وسلوكه ومكونات شخصيته تأثيراً قوياً، مما يؤدي به إلي الاصابة بأعراض عصابية أو ذهبية.

ومما يلاحظ أن "أدلر" لم ينظر إلي العاهة كظاهرة معزولة في إطار منفرد أو قائم بذاته، ولكنه عمل علي النظر إليها كجزأ ذى علاقة بالانسان ككل، وفي ضوء الاطار العام للشخصية ومكوناتها، وقد ساعد هذا الاتجاه في عدم تعميم الاحكام العامة وما يصاحبها من مظاهر متنوعة للسلوك، كما جعل كل عاهة حالة خاصة لا يمكن تحليلها وفهمها والحكم عليها إلا من خلال سلوك صاحبها وطبيعة مكونات شخصيته والطريقة التي يستجيب بها للمثيرات البيئية، ورود أفعاله تجاه إعاقته.

و تشير "هيرثا اورجلر" إلي مجموعة من الشروط التي تتصل بالعاهة و تميزها و هي:

1. ألا تكون الاعضاء المصابة قادرة علي القيام بوظائفها او الاستجابة لمتطلبات البيئة الخارجية.

2. ان تكون العقدة المترتبة علي العاهة، علي كل من الجسم والجهاز النفسي.

3. ان يكون هناك احتمال لظهور آثار إيجابية أو سلبية مترتبة علي الاصابة بإحدى العاهات وتؤدي إلي إتجاه الفرد إلي التعويض عنها، كما هو الحال في مشاهير الكتاب و الفنانين من ضعاف البصر أو فاقدى السمع أو مشوهى الجسم الذين دفعتهم عاهاتهم إلي تحدى الظروف والاصرار علي تحقيق التفوق في ميادين عملهم أو مجالات نشاطهم الفنى أو

الإبداعى، وهو ما يمثل الجانب الإيجابي، أما الجانب السلبي فيتمثل في الاضطرابات النفسية التي تنتج عن استسلام الشخص لضعفه. واعتقاده في قلة حيلته، وتصديقه بأنه مغلوب على أمره، مما يجعله يقع فريسة للحباط واليأس.

ويرتبط بعقدة النقص بمفاهيم أساسية هي :

1. العاهة و الشعور بالنقص :

يلاحظ في حالة النظر إلي العاهة كمثير، إننا نتوقع أن يستجيب بها للأحداث بإحدى الطرق المتأثرة بالاتجاهات الآتية:

(1) إتجاه الفرد إلي التحلي بقدر كاف من الشجاعة مما يساعده في التغلب علي العاهة والتعويض عن العضو المشوه أو المصاب أو الناقص بشكل يقلل من آثار العاهة. ويبدو السعى إلي التغلب علي النقص في شكل نشاط أو عمل من أجل التفوق. مما يؤدي إلي التغلب علي العجز بشكل موضوعي.

(2) إتجاه الفرد إلي الشعور باليأس وفقدان الأمل مما يقوده إلي العزلة والانطواء والبعد عن الناس وفقدان الاهتمام الاجتماعي.

(3) إتجاه الفرد إلي التأثر نفسياً بما حدث له بشكل عميق لدرجة قد تؤدي به إلي التذبذب وعدم استقراره النفسي، ومن ثم الشعور ببعض الأعراض العصابية.

وهناك بالطبع، كثير من الطرق الشخصية في التغلب علي الشعور بالنقص، فقد يجد الطفل أنه من الأنسب له إرضاء نزوة نحو الاعتماد علي النفس بطرق خيالية، علي سبيل المثال. يمكن فهم كثير من مظاهر سلوك الطفل الذي يلجأ إلي مثل هذه الطريقة الذاتية للتخلص من النقص عن طريق خداع نفسه.

2. التعويق و التعويق الزائد عن الحد:

و يتم التعويق في هذه الحالة، بطرق مختلفة منها:

تدريب العضو المشوه أو المصاب بعيوب بشكل يجعله يتفوق علي الاعضاء السليمة في تأدية الوظائف، ومثل ذلك الاطفال من ضعاف الاجسام والاعضاء الذين أدى شعورهم بالنقص إلي الاقبال علي الكلام، كما أن هناك العديد من مشوهي الحرب أو الحوادث ممن يعيشوا حياة إجتماعية عادية في كثير من بقاع العالم دون أن تؤثر إعاقتهم علي مكانتهم الاجتماعية.

وقد توصل "أدلر" من خلال ممارساته الطبية إلي فكرة أن الانسان يعمل علي تعويض النقص الحاصل بسبب إعاقة احد اعضاءه، ولكنه قد يغالى في التعويض ويرى بان المغالاة في التعويض لا تنتمى إلي العضو نفسه، بقدر ما تتصل بالتنظيم النفسي ككل، حيث لا يتم إستكمال خطة الحياة دون وضع اعتبار لذلك النقص.

وعادة ما تخضع مجموعة القوى النفسية لعملية التوافق التعويضي، و يسوق "أدلر" امثلة لذلك من حياة كبار المبدعين كالموسيقار "بيتهوفن"، علي سبيل المثال، كان يعاني من الصمم، ومع ذلك فقد اصبح موسيقياً عظيماً ليس بسبب تفوقه في دراسة الموسيقى فقط ولكن بسبب عقدة النقص التي كان يعاني منها.

فالمغالاة في التعويض يعتبر مهماً بالنسبة للطباع وبناء الشخصية من جهة أخرى. و قد لوحظ أن قبح الوجه أو دمامة الشكل قد تقود عن طريق التعويض إلي إبراز المهمات العقلية العالية، كما أن هناك كثيراً من القدرات الطبيعية المدفونة والتي لا يتسع المقام لذكرها كان الفضل في ظهورها هو التعويض والمغالاة في التعويض. و يمكن القول بأن ظاهرة التعويض تغطي جميع أوجه الحياة الاجتماعية، وهو ما يقود الي ادراك أهمية دور الاسرة في النمو النفسى للمعاق وفهمه على الوجه الصحيح.

3. النقص والشعور بالنقص:

يعتبر النقص من الظواهر التي قد تكون مصحوبة بالشعور بالنقص أو عدم الشعور به تبعاً لأحاسيس الفرد تجاه الموقف الذي يواجهه أو يحيط به، فالشخص الضعيف مثلاً أو المشوه قد لا يشعر بالنقص مطلقاً إذا ما تقبل حالته بطريقة لا يترتب عليها حدوث عاهات أو اضطرابات نفسية، في حين قد يشعر شخص آخر بالنقص على الرغم من عدم إصابته بعلل أو نقص عضوي أو معنوي يستدعي الاحساس بذلك الشعور.

وعادة ما يرتبط الشعور بالنقص بشكل رئيسي بأفكار الفرد وطبيعة اتجاهاته سواء كان ذلك النقص جسماً أو اجتماعياً أو كان يتعلق بإمكانات الفرد وإستعداداته وقدراته علي تحقيق أهدافه. أما عقدة النقص فتتعلق بموقف الشخص تجاه مشاكله. فإذا ما استمر في الوقوف موقف المتشائم حيالها دون محاولة منه لتصحيح مساره سواء كان ذلك من أجل استدرار عطف الغير لمساعدته، أو من أجل المبالغة في تعميق حالة ضعفه ولفت الانظار إلي عجزه، فإن الشعور بالنقص في تلك الحالة يتحول إلي سلوك غير سوى وينقلب إلي عقده.

ثانياً: التدليل :

علمنا مما سبق كيف أن الإصابة بعاهة قد يؤدي إلي الشعور بالنقص غير أننا نضيف هنا بأن الإفراط في تدليل الطفل قد يؤدي إلي حدوث نفس النتيجة تقريباً والمعاناة من نفس الاعراض، ويؤثر الافراط في التدليل بشكل سلبي علي تطور الشخصية، حيث يعمل علي تعطيل نمو الاهتمام الاجتماعي بالآخرين مما يؤدي بالشخص إلي حب الذات والاهتمام بها وإهمال غيره.

يلاحظ أنه عادة ما تلجأ الام إلي تدليل طفلها حتي تجعله يرتبط بها. وبخاصة في حالة صغار الاطفال أو في حالة الطفل وحيد الوالدين، وبحيث يصبح الطفل هو مركز الانتباه ومحور إهتمام الاسرة. غير ان ذلك يحرم الطفل بطبيعة الحال من إقامة علاقات مع الآخرين بسبب عدم قدراته الاجتماعية وعلاقاته الانسانية.

ويلاحظ علي الطفل السليم الذي لم يتعرض للإفراط في التدليل، الشجاعة والنشاط والقدرة علي التوافق وإرتفاع حاسة الذوق العام لديه. بينما يبدو علي الطفل المدلل الجبن والخوف وضيق الصدر مع قلة الصبر والميل إلي الخداع والرغبة في السيطرة علي الآخرين. وتمثل تلك السمات بدون شك احتمالات كثيرة، فقد يعاني منها الاطفال المدللون، أو لا يعانون منها علي الاطلاق، وذلك بسبب تدخل عوامل إيجابية اخري في اطوار نموهم.

ويقف التدليل بصورة عامة في وجه محاولات الفرد بالاتصال بالآخرين وإقامة علاقات إجتماعية طبيعية معهم، والسواء يقوم علي الشعور بالمساواة والتعاون، حتي لا يحصر الطفل المدلل اهتمامه في شخصه وذاته وفي مصالحه الشخصية فقط.

وعادة ما يشعر الطفل المدلل بعجزه عن إكتشاف العالم المحيط به بمفرده لعدم قدرته علي الاعتماد على النفس. كذلك يلاحظ أن ارتباط الطفل المدلل الشديد بأمه علي وجه الخصوص، مما يعطل نمو الشعور الاجتماعي لديه ويؤدي إلي حدوث إنحرافات في اسلوب حياته، ويجعله مختلفاً في سلوكه عن غيره من الاطفال العاديين المتمتعين بالصحة النفسية.

ويبدو أثر التدليل بوجه خاص عند دخول الطفل المدرسة حيث يحاول جاهداً الحصول علي انتباه معلميه بشكل ملحوظ، وقد يعمل بكل السبل علي أن يصبح مركز اهتمام، ذلك لشدة حاجته إلي الشعور بإعجاب الغير به واهتمامهم بأمره، وفي حالة عدم الحصول علي مطالبه فقد يلجأ إلي إثارة الشغب أو خلق بعض المشاكل كوسائل للفت الانتظار إليه، هذا علاوة علي ما يتسم به من اتجاه الي قصر الاهتمام علي ذاته و افتقاره إلي الروح الاجتماعية وميله إلي استخدام الطرق الملتوية لتحقيق اهدافه.

ولذا فقد يؤدي التدليل المستمر إلي اصابة الشخص بعقدة فيما بعد. نظراً لعدم قدرته علي الصبر وتحمل الانتظار أو مواجهة مشاكل الحياة بطريقة واقعية وموضوعية.

ويؤكد "أدلر" علي أن انحراف الاطفال المدللين وعدم سوائهم يعود إلي عدم نضوج الاهتمام الاجتماعي لديهم، ولذا فعادة ما يكونون من غير المفيدين إجتماعياً للجماعة، كما أن قصرهم علي توجيه اهتمامهم لذواتهم يعتبر من العلامات المميزة لعدم السواء.

ثالثاً : إهمال الطفل :

وهناك فئة من الاطفال الذين يعانون من عقدة النقص وهم الذين يتعرضون لإهمال والديهم أو الاطفال المكروهون والمرفوضون والدميمون والمعوقون وغيرهم، ويتعرضون هؤلاء الاطفال للإصابة بعقدة النقص بشكل سهل للغاية لأن حياتهم ليست سوى مجموعة من المواقف التي يواجه فيها الطفل السخرية والاحتقار والاندراء والكراهية والرفض والشعور بعدم الأهمية وانعدام القيمة.

فالأطفال من زواج سابق مثلاً يعانون من الإهمال في حالة زواج أحد الوالدين من شريك آخر زاهد فيهم، أو كاره لصحبتهم وغير مهتم بأمرهم، وما ترويه لنا القصص العديدة عن قسوة "زوجة الأب" بدرجة أعلى بكثير من الحديث عن "زوج الأم"، ليس سوي دليل على أهمية الأم ومساهمتها الضرورية في نمو وتطوير شخصية الطفل، فالأطفال الذين يتعرضون لفقدان الأم يشعرون فجأة

بضايح الحب والحنان، ويقاسون من الحرمان مما يجعلهم يحسدون الأطفال الآخرين من ذوي الأمهات، وقد يكرهونهم بسبب ذلك.

وعادة ما ينمو الأطفال المكروهون أو غير المرغوب فيهم أو اللقطاء أو دميوم الشكل أيضا في جو خال من الحب والشعور بالانتماء، فبعض الأطفال المعاقين من إحدى العاهات، ومجئ بنت في وقت كان الأهل ينتظرون فيه قدوم مولود ذكر، قد يؤديان إلي شعور الوالدين بنوع من المرارة يشعر به ذلك الطفل، مهما حاول الوالدان إخفاء شعورهما، أما اللقطاء فهم أسوأ حظا لإنهم محرومون من دفء البيت ومن شعور التقارب والاتصال الأسري ومن حرارة القرب من الوالدين والشعور بالأمن والحماية والأطمئنان، وحتى في حالة تلقيهم العطف والتقبل والحماية والتقدير من البعض فإن عليهم عبء مواجهة نظرة المجتمع القاسية ومحاولة الهروب من وصمة عدم الشرعية، مما يجعلهم يطورون حياتهم بشكل يتناسب والعيش في مجتمع يتسم بالعداء لهم، الامر الذي يضطرون معه إلى إعداد أنفسهم للصراع والحرب من أجل البقاء على قيد الحياة.

كما يعاني الأطفال الدميومون من نفس المشكلة وهي تجاهل الآخرين لهم ونفورهم منهم، وتخطيهم وعدم الالتفات إليهم، هذا بالإضافة إلى أن دمامتهم عادة ما تصبح محل سخرية أو أستهزاء الآخرين ومحط التعليقات اللاذعة والنظرات الحادة.

وعادة ما ينظر مثل هؤلاء الأطفال جميعا إلى حياتهم نظرة غير واقعية لا يرون فيها سوي القسوة والعداء وسوء الفهم والحرمان من الصحة ودفء الأسرة، وهو ما يجعلهم لا يتعلمون التعاون من حداثة أعمارهم، ونظرا لانهم ينظرون إلى الحياة نظرة عدائية، فعادة ما تجد فيهم كثيرا من الصفات السلبية مثل العناد وعدم الثقة والمكر والخبث وإيذاء الغير أو الإضرار بهم.

وقد يحاول بعض هؤلاء الأطفال التعويض عن مشاكلهم بالتفوق في دراستهم أو في أي نشاط مناسب لهم، وقد لوحظ أن كثير ممن يعانون من دمامة الشكل، على سبيل المثال يحاولون تعويض ذلك النقص عن طريق النجاح في مجالات أخرى تحتاج إلى الحذق والذكاء واستخدام القدرات والمهارات العقلية الخارقة، هذا في حالة الرجال، أما في حالة النساء فإنهن قد يعودون أنفسهن على تحمل المسؤولية وخفة الروح والتعقل، وذلك تعويضا عن دمامتهن.

إلا أن هذا لاينفي بطبيعة الحال شعورهم جميعا بنوع من العداوة تجاه العالم المحيط بهم كما يشير "أدلر" إلى أنه من الممكن أن نجد في تاريخ حياة الأطفال من ذوي المشاكل النفسية وغيرهم من المصابين بأعراض عصابية ومن المجرمين والسكري أسبابا للإهمال متعددة، والتي أدت إلى الحويلة بينهم وبين الاتصال بالآخرين واصابتهم بالشعور بعقدة النقص.

رابعا : عقدة التفوق أو الشعور بالعظمة :

من الملاحظ أن عقدة التفوق عادة ما تقود الفرد في كثير من الأحيان إلى إكتساب مجموعة من القيم الاجتماعية الخاطئة، لانه يجد نفسه مدفوعا بشكل قوي نحو تحقيق تفوقه بأي شكل من الأشكال، ويبدو ذلك في شكل نشاطات سلوكية أو سمات شخصية او اراء ذاتية يكونها الشخص عن نفسه وعن قدرته، كما قد تبدو في شكل أهداف بعيدة المنال ومبالغ فيها، مما يفرضه الشخص على نفسه وعلى نفسه وعلى غيره، مثل المبالغة في المظهر، وفي سعيه بالحاح للمصاحبة، وفي إبداء الحماس الزائد عن الحد، وفي المفاخرة والرغبة في السيطرة.

ومما يلاحظ على مثل هؤلاء الاشخاص من المصابين بعقدة التفوق الرغبة العارمة في الظهور بمظهر الاقوياء، وذلك لشعور الشخص غير السوي بأن تحقيق القوة في السبيل الوحيد لتحقيق ما يسعى اليه من تفوق، وإذا لم يشعروا بأن الدافع لديهم إلى القوة هو السبيل الوحيد لتحقيق ما يسعى إليه من تفوق، وإذا لم يشعروا بأن الدافع لديهم الى القوة ما هو الا واجهة يخفون تحتها الشعور بعقدة النقص فانهم قد يضلون الطريق وينقادون الى سبيل لا طائل من ورائه، فالمصابون بهذه العقدة لا يشعرون عادة بالرضا عما يحققونه من أهداف، لأن الشك الدفين لديهم في قدراتهم غالبا يؤدي الى محاولة اثبات قوتهم لغيرهم عن طريق الانشغال بنشاطات جديدة دون راحة ودون هواة.

ويعتقد "أدلر" بأن معظم العصائيين من المصابين بعقدة التفوق هم عبيد لطموحاتهم ولكن تنقصهم الشجاعة، ولهذا نجدهم يهربون إلى عالم صناعة يصبحون فيه هم مركز كل شئ بشكل مغرق في الخيال، إذ يضعون هوة بينهم وبين الآخرين ظاهريا، بينما يعملون باطنيا على تغطية مشاعرهم الشخصية وشدة حساسيتهم خوفا عليها من أن تجرح، وهذا ما يجعل الشخص العصابي يواصل الهروب والاستمرار في وضع قناع يمثل القوة على وجهه بدلا من أن يعمل على تحقيق أهدافه الذاتية بشكل واقعي.

الفصل التاسع

محددات الشخصية وتطورها

أولاً : الوراثة والبيئة بوصفها محددات للشخصية

يولد الطفل ولديه إمكانات معينة مثل : بناء جسمه كلون العينين والشعر فضلا عن الذكاء، والقدرات الخاصة كالمواهب الموسيقية والفنية، وكذلك الأرجاع (أى ردور الفعل الانفعالية... وغير ذلك)، وتدعم تلك الإمكانيات نتيجة لاستجابات الوالدين وطريقتهم فى التنشئة، ثم تتفاعل هذه الإمكانيات المدعمة بعد ذلك مع الأقران والأقارب والمدرسة والمجتمع بأسره، فتتكون شخصيته، والمحددان البيولوجى والبيئى هما العاملان الأساسيان فى تشكيل الشخصية، ونعرض لهذين العاملين فيما يلى :

المحددات البيولوجية

أولاً : الوراثة :

المكون الوراثى فى تطور الفروق الفردية :

إلى أى حد يورث مزاج معين أو سمة ما فى الشخصية، أو تنتقل عبر مورثتنا؟ إن المعلومات التى تحمل الأبنية أو التراكيب هى الحامض النووى الموجود فى نوى الخلايا (د.ن.أ.) (DNA)، وذلك فى كل خلية من أجسادنا، وتقود المورثات Genes تكوين الإنزيمات والبروتينات، ومن ثم تعمل من حيث هى مخططات أو برامج العمل وجداول التطور .

وفى التفاعلات المستمرة بين المورثات والبيئات التى نعيش فيها خلال تطورها تعد معقدة إلى الدرجة التى يصبح فيها من المستحيل أن نفك أو نحل الأثر النسبى لكل من العوامل الوراثية والبيئية فى السلوك، وما يمكن دراسته هو القابلية للوراثة للسمات فى جمهور معين أو مجموعة معينة، ومثال ذلك دراسة عينات كبيرة من التوائم الصنوية وغير الصنوية (المتطابقة وغير المتطابقة)، وأما القابلية لوراثة سمة معينة لدى فرد ما فلا يمكن دراستها، ومثال ذلك أننا نعلم أنه فى العينات الكبيرة فإن القابلية للوراثة تستوعب من 40 - 50 % من التباين الكلى فى الذكاء، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن

نطبق هذا الاحتمال على كل فرد في العينة، ومن ثم فإنه لا معنى لأن نفكر أن درجاتنا في اختبار الذكاء يتسبب فيها من 40-50% من المورثات التي ورثناها من والدينا (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

دراسات التوائم :

الطريقة المثلى لإجراء البحوث على الوراثة في علم النفس والطب هي ظاهرة التوائم الصنوية أى المتشابهة Identical, Monozygotic وغير الصنوية أى غير المتشابهة Fraternal, Dizygotic ولأن التوائم الصنوية تحمل نفس المورثات، ولأن التوائم غير الصنوية تسببه الإخوة العاديين وتشارك - في المتوسط - في نصف المورثات فقط، فمن الممكن أن نتخذ الفرق في التشابه بين التوائم الصنوية والتشابه بين التوائم غير الصنوية في سمة معينة بوصفها مؤشرا على نصف تأثير المورثات في التباين في هذه السمة، ويعد معامل الارتباط بين التوائم مقياسا لمقدار التشابه بينهما، ومن ثم فإن مضاعفة الفرق بين ارتباطات التوائم الصنوية، والارتباطات بين التوائم غير الصنوية في سمة ما يعد مقياسا للتأثير الوراثي في هذه السمة كما بين "لوهلن".

ومع ذلك فقد أثرت أسئلة منهجية كثيرة فيما يخص تفسير النتائج التي كشفت عنها هذه الدراسات، وواحد من أبسط هذه الأسئلة هو: إذا ما كانت التأثيرات البيئية في التوائم الصنوية أكثر تشابها منها لدى التوائم غير الصنوية، لأن الوالدين يمكن أن يربوا التوائم الصنوية بطريقة أكثر تشابها منها في التوائم غير الصنوية (Kohnstamm & Meervielde, 1998)، وحل هذه المشكلة يكون في اختيار توائم صنوية تربت منفصلة.

ومن بين الجهود التي بذلها علماء النفس لتحديد النسبة الوراثية في الشخصية، مقارنة التشابه في الدرجات على اختبارات الشخصية بين التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة، فإذا كانت المورثات ذات أهمية كبيرة فإن التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة يجب أن تكون متشابهة بعضها إلى بعض كالتوائم الصنوية التي ربيت معا، ومن ناحية أخرى إذا كانت البيئة ذات أهمية كبيرة، فإن التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة يجب أن تكون أقل تشابها بعضها ببعض من التوائم الصنوية التي ربيت معا.

وقد أجريت دراسات متقدمة جدا في هذا المجال، ففي أوروبا أضافت الدول الاسكندنافية كثيرا إلى هذه الدراسات، لأنه ظهر تقليد منذ زمن طويل في هذه الدول يتعلق بجمع بيانات مفصلة عن التوائم، ابتداء من الطفولة، ويستمر عبر دراسات تتبعية طويلة، ووضعت سجلات التوائم -بوجه عام- لتمدنا بقاعدة بيانات لكل من الصحة والعلوم السلوكية، ولأن كل التوائم مسجلون في هذه السجلات فمن الممكن للباحثين أن يسحبوا منها عينات ممثلة لاستخدامها في بحوثهم، وفي معظم البلاد الأخرى يعتمد الباحثون على المشاركة التطوعية من التوائم في نواى التوائم (Kohnstamm & Mervielde, 1988).

نسبة القابلية للوراثة Heritability quotient :

النسبة الوراثية هي تقدير كمي لمقدار التباين الذى يمكن أن يعزى إلى العوامل الوراثية، يجب التنبيه إلى بعض جوانب سوء الفهم لنسبة القابلية الوراثية، ومنها أن التقديرات الوراثية يمكن أن تتغير عبر الزمن، وأن وجود نسبة وراثية مرتفعة لاتعنى أن هناك "مورثا" Gene هو السبب فى ذلك فيما يخص سمة معينة (McAdams, 1994, p. 302).

إن مسألة القابلية الوراثية للشخصية أحد الجوانب الأساسية فى علم نفس الشخصية، ذلك لأن أية نظرية يجب أن تضع فى اعتبارها القابلية الوراثية للمتغيرات التى تهتم بها، كما أن إثبات القابلية الوراثية لعوامل الشخصية أمر مفيد بوجه خاص، لأنه نوع من الصدق الخارجى، فإذا ظهر لعامل ما محدد وراثى قوى، فإن أحد جوانب النقد الأساسية للتحليل العاملى لمتغيرات الشخصية يكون قد تم الرد عليه؛ لأن العامل الذى يتحدد بالوراثة -عند أى مستوى- لا يمكن أن يكون مصطنعا Artifact إحصائيا، ويجب أن يكون له بعض الأهمية السيكولوجية (Kline,1993, p. 97f).

تحليل القياسات البيولوجية :

يتضمن تحليل القياسات البيولوجية Biometric analysis دراسة مصادر التباين داخل المجتمع بالنسبة للمكونات الوراثية والبيئية، وهناك مصطلح مهم فى هذا المجال هو "داخل المجموعات" within populations، فإذا وجدنا مثلا أن 40% من التباين فى سمة معينة للشخصية تتحدد عن طريق عوامل وراثية، فإن ذلك لا يعنى أن 40% من هذه السمة لدى أى فرد تتحدد وراثيا، وأن الباقي تحده بيئته، فهذه الرقام تشير إلى مصادر التباين داخل المجتمع.

ومن المهم أن نشير كذلك إلى أن نسب القابلية للوراثة التي حسبت لمجتمع معين، ليس من الضروري أن تكون هي نفسها في مجتمع آخر، ويحدد تحليل القياسات البيولوجية مصادر التباين في سمة ما داخل المجتمع بفحص التباينات والتباينات المشتركة بين الأفراد من كل درجات القرابة، من الإخوة والتوائم بوجه خاص ، سواء أكانوا قد نشأوا معاً أم منفصلين (Kline, 1993, pp. 98-100).

العامل الوراثي في الشخصية - نتائج البحوث :

يؤثر النمط الوراثي الخاص الذي يتكون منذ الإخصاب في شخصية الفرد التي تنمو فيما بعد، وفي الحالات المتطرفة نجد أن تلف المخ الموروث أو التشوهات الولادية (أثناء عملية الولادة أو الوضع) قد تؤثر كثيراً في سلوك الشخص، وفضلاً عن ذلك فهناك عوامل جسمية مثل الطول والوزن ولون الجلد وحدة الحواس وغيرها.

وقد ركزت البحوث في هذا الصدد على وراثة خصائص الشخصية عن طريق دراسة التوائم الصنوية واللاصنوية، فأجرى "بص، وبلومن" عام 1975 دراسة على التشابه في الشخصية بين التوائم بنوعيتها، وضمت العينة 139 توأماً من الجنس ذاته، وكان متوسط أعمارهم 55 شهراً، وطلب من أمهاتهم تقدير شخصياتهم في ثلاث سمات: الانفعالية والنشاط والاجتماعية، وأتضح أن التوائم الصنوية أكثر تشابهاً في السمات الثلاث من التوائم غير الصنوية، وتؤكد هذه النتيجة أهمية المحدد الوراثي في تشكيل الشخصية، وقد أيدت هذه النتيجة دراسات أجريت على الراشدين، ولكن تنقد هذه الدراسة من ناحية أن التوائم الصنوية قد ربيت معاً، وتعامل المعاملة ذاتها، مما يؤثر في تشابه النتائج، وحل هذه المشكلة المنهجية أن تدرس التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة بعضها عن بعض، ويؤكد مسح للدراسات أجرى على التوائم الصنوية التي ربيت منفصلة والتي ربيت معاً أن انفصال التوائم لا يقلل من تشابه الشخصية، بل على العكس من ذلك فقد ظهر دليل على أن التوائم التي ربيت منفصلة أكثر تشابهاً من تلك التي ربيت معاً، ويفسر ذلك بأن التوائم التي ربيت معاً تشعر بالحاجة إلى تطوير ذاتية مستقلة وخصائص منفصلة عن توأمها، فإذا اهتم أحدهما بلعب الكرة مثلاً فقد يفضل الآخر العزف على البيانو، أما التوائم التربيبت منفصلة فليس لديها حاجة إلى التنافس أو إلى التفرد، بل إنها تميل غالباً إلى أن تتبع نزعاتها الطبيعية، وقد بينت دراسات كثيرة أن المكون الوراثي (هـ 2) h2 لبعدهم

فى الشخصية هو العصابية يتراوح بين 0,30 و 0,77 فى حين يتراوح فى بعد الانبساط بين 0,22 و 0,50 وعلى الرغم من أن دراسات التوائم تشير إلى أن بعض خصائص الشخصية موروثية، فليس هناك دليل على أن مثل هذه الخصائص تحددها موروثات معينة (Atkinson et al., 1983).

وتؤكد معظم نتائج الدراسات الطولية للمزاج والشخصية "قانون بلوم" الذى يتلخص فيما يلى: استقرار قليل جدا فى المهد، واستقرار أكبر قليلا فى الطفولة المبكرة لا سيما فى أنماط السلوك التى تتجسد فى مظاهر خارجية مثل العدوانية، وتستمر أكثر من ذلك فى سن المدرسة، وتصل معاملات الارتباط فى حدها الأقصى (0,60) بعد عمر السابعة (العمر الذى حدث فيه أول قياس) بالنسبة لفترات من أربع إلى ست سنوات بعد ذلك (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

ودرس "إيفز" Eaves القابلية الوراثية لعوامل "أيزنك" الثلاثة وهى العصابية والانبساط والذهانية، فاختار عينة من 500 توأم، واستخدم تحليلات وقياسات بيولوجية، ووجد قابلية مرتفعة للوراثة: قرابة 70% من تباين العينة يتحدد بعوامل وراثية (Kline, 1993, p. 61).

قام "لوهلن" Loehlin عام 1992 بفحص التأثيرات الوراثية والبيئية فى الانبساط، واستخدم بيانات جمعت من خمس دراسات أجريت على مجموعات كبيرة من التوائم فى خمس دول: إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والسويد وأستراليا وفنلندا، واستخدمت هذه الدراسات مقاييس مختلفة للانبساط، ووجد أن القابلية لوراثة الانبساط مرتفعة، إذ تراوحت بين 54% و 80% للرجال، وبين 56% و 70% للنساء، ومعنى ذلك أن كل الدراسات الخمس بينت أن أكثر من نصف التباين فى درجات الانبساط نتج عن عوامل وراثية (Matthews et al., 2003, p. 124f).

وتشير معظم دراسات التوائم إلى نسبة وراثية مرتفعة لكثير من السمات، ولكن أقوى الأدلة ترتبط ببعدي الانبساط العصابية، فقد أجريت دراسة على عينة ضخمة قوامها 13000 من التوائم الراشدين فى السويد، كشفت عن نسبة وراثية تزيد قليلا على 50% لكل من العصابية والانبساط، وقد أجرت جامعة مينيسوتا دراسة على التوائم، اتضح منها أن النسبة الوراثية تعلق على 40% للسمات الآتية: القيادة والإلتقان والتقليدية (الميل إلى اتباع القواعد واحترام السلطة)، والاستجابة للضغوط (شبيه بالعصابية)، والتشبع (الميل إلى الانهماك والانشغال بالخبرات الحسية)، والاغتراب والسعادة، وتجنب

الألم والعدوانية (McAdams, 1994, p. 303). ويذكر "كوستا، وماك كرى" أن التأثيرات الوراثية تستوعب من 40% إلى 50% من التباين في سمات الشخصية المقيسة.

كما أجريت في هذا المجال بحوث كثيرة قام بها عدد من الباحثين من بينهم "أيزنك، وكاتل، وبلومن، وتيليجان" وغيرهم، وأكدت هذه البحوث أن كثيرا من سمات الشخصية المهمة ذات مكون وراثي أساسي، فقد اكتشف العلماء مؤخرا -على سبيل المثال- مورثا Gene مرتبطا بسمة "البحث عن الجديد" Novelty seeking، والدرجة المرتفعة في هذه السمة توجد لدى أشخاص منبسطين، ومندفعين ولهم طبع حاد، وتسهل إثارتهم ويميلون إلى الاستكشاف (Pervin & John, 1997, p. 266f).

وتشير التقديرات الحديثة للتأثيرات الوراثية الشاملة في سمات الشخصية إلى قرابة 40%، بمعنى آخر، أن قرابة 40% من الفروق الفردية في سمات الشخصية ترجع إلى الوراثة. وفي نفس الوقت فإن درجة الوراثة تختلف من سمة إلى أخرى، وبوجه عام فإن العوامل الوراثية تقوم بدور مهم لا سيما ما يتصل منها بالسمات المرتبطة بالمزاج، وقد بينت الدلائل التشابه الملحوظ بين التوائم الصنوية التي تربت منفصلة، بمستوى يقرب من التشابه بين التوائم الصنوية التي تربت معا ويذكر "بوشارد" Bouchard وزملاؤه -نتيجة دراسة واقعية- أنه "بالنسبة لكل سمة سلوكية تقريبا تم بحثها؛ من زمن الرجوع إلى التدين، فإن كسرا كبيرا من التباين بين الناس يرتبط بالتباين الوراثي، ولا تحتاج هذه الحقيقة إلى أن تكون موضوعا للجدال" (Pervin & John, 1997, p. 266f).

ثانيا : بنية الجسم :

بنية الجسم Physique هي التركيب البدنى الظاهر لجسم الإنسان ونمط العلاقات بين مختلف أعضائه، وفكرة الارتباط بين بنية الجسم والشخصية فكرة قديمة، وتعكسها أقوال شائعة مثل: "الأشخاص السمان مرحون" و"الشخص النحيف مفكر متأمل" و"الشخص الطويل الرفيع مرتدى النظارات متقف ذكى"، وقد ذكر "شكسبير" فى مسرحية "يوليوس قيصر" ما يلى:

"فليكن حولى رجال لهم أبدان بدينة"

ورؤس خاوية ناعمة - رجال ينامون ملء جفونهم،

أما "كاسيوس" هذا فنظراته متعطشة متسائلة،

وهو يفكر كثيرا - أمثال هذا الرجل خطرون".

والعلاقة بين بنية الجسم وكل من الشخصية والاستعداد للإصابة بالاضطرابات النفسية والأمراض العقلية والعضوية مشكلة قديمة جدا، بدأ بحثها منذ الطبيب اليونانى "أبو قراط" Hippocrates عام 430 ق.م.، وأكثر الإسهانات شهرة فى العصر الحديث تلك التى قام بها كل من "أرنست كرتشمير" و "وليم شيلدون"، حيث ميز الأول بين أربعة أنواع من بنية الجسم هي: البدين، والهزيل، والرياضى، والمشوه، وكشف "كرتشمير" عام 1922 عن علاقة بين البنية المكتنزة وذهان الهوس/ الاكتئاب، وكذلك بين البنية النحيلة ومرض الفصام والشخصية المنفصمة، ولكن البحوث المستقلة أكدت علاقة بنية الجسم بالذهان وليس بشخصية الأسوياء.

وقام "شيلدون" (Sheldon & Stevens, 1942)-منذ أربعينات القرن الماضى-بفحص بنية الجسم بطريقة خاصة هي التصوير الفوتوغرافى المقنن فى حالة العرى (ويثير ذلك عدة مشكلات)، وربط "شيلدون" بين بنية الجسم والشخصية كما يلى:

1- البنية المكتنزة Endomorphy :

نمط قصير سمين له جسد ناعم، وهو شخصية منبسطة اجتماعية مرحة هادئة، تتشد السلام

مع المحيطين بها والتقبل من جانب الآخرين، له مزاج حشوى Viscerotonia

2- البنية المتوسطة Mesomorphy :

يتصف صاحبها بجسد صلب مفتول العضلات، وهو شخصية مناضلة، نشيطة، صريحة،

ومستقيمة، ويكشف عن مزاج بدنى Somatotonia.

3- البنية الواهنة Ectomorphy :

يتسم صاحبها بجسد نحيل وضعيف، وهو شخصية متوترة، مقيدة، واعية، مغرمة بالعزلة، يهتم بالأعمال العلمية، له مزاج عقلي Cerebrotonia. ولسوء الحظ فإن أهم خطأ وقع فيه "شيلدون" أنه هو الذى قام بتقدير المزاج، وتأثرت هذه التقديرات بمعرفته بأجسام المبحوثين، وقد بينت الدراسات التالية أن الارتباطات بين بنية الجسم والشخصية غير مرتفعة كما أوردها "شيلدون" وبإيجاز لا يمكن استدلال الشخصية من بنية الجسم أو العكس (أحمد عبد الخالق، 1991، ص ص 452-454).

وقد اهتم "ريز، وأيزنك" بتحديد الأبعاد الأساسية لبنية الجسم، واستخرجا عاملين هما:

- 1- عامل حجم الجسم **Body size** : ويقارن فيه بين ذوى الجسم الضخم والمتوسط والنحيل.
- 2- عامل نمط الجسم **Body type** : وهو عامل ثنائى القطب يحدد الامتداد الطولى (كطول كل من القامة والجذع والذراع) مقابل الامتداد العرضى (محيط كل من الصدر وأعلى الفخذ وعرض كل من الجمجمة والصدر والحوض)، ويقابل هذا العامل بين النحيل الطويل والبدين القصير.

وقد ظهر أن الهستيريين يميلون إلى النمط البدين أو إلى غلبة النمو العرضى، فى حين يميل العصائبيون المنطوون (أى الدستيميون) إلى النمط النحيل، وهناك معامل ارتباط يتراوح بين 0,03 و 0,05 بين كل من البنية النحيلة والانطواء، والبنية النحيلة والعصابية، ودلت دراسة عربية (أحمد عبد الخالق، 1981) على علاقة موجبة بين الانبساط والبنية البدنية.

ولا شك فى حقيقة الارتباط بين بنية الجسم والشخصية، وبما أن بنية الجسم تتحدد على أساس وراثى فى المقام الأول فإن الافتراض القائل بأن وراء كل من الشخصية والبنية عاملا وراثيا قويا، له ما يسوغه.

إن التركيب الجسمى للشخص له بعض التأثير فى سلوكه وشخصيته من خلال الحدود التى يضعها على قدراته، ومن خلال رد فعل الآخرين له، مثال ذلك أن البنت البدينة القصيرة لن تطمح أن تكون لاعبة باليه أو عارضة أزياء، أو لاعبة كرة سلة، كما أن الأولاد العضليين الأقوياء يكونون مندفعين غالبا، وتهمهم النشاطات العضلية (والعدوانية أحيانا)، وكذلك المغامرة وتأكيد الذات، فى

حين أن زملاءهم الأضعف يتعلمون منذ وقت مبكر أن يتجنبوا الشجار، وأن يعتمدوا على قدراتهم العقلية فيما يودون الحصول عليه. إن بنية أجسامنا لا تحدد شخصياتنا، ولكنها يمكن أن تشكل شخصياتنا في كيفية معاملة الآخرين لنا، وطبيعة تفاعلنا مع الآخرين، وأنواع المواقف التي نبحت عنها أو نتجنبها.

ثالثا : فزيولوجيا (فسيولوجيا) الجسم :

لوحظ ارتباط بين كل من الشخصية وفزيولوجيا الجسم والكيمياء الحيوية له، ويختلف الناس في عدد من المقاييس الفزيولوجية مثل حجم الغدد الصماء، واستجابة الجهاز العصبى اللاإرادى، والتوازن بين مختلف الناقلات العصبية، وترتبط الفروق بين الشخصيات لافروق الفزيولوجية والبيولوجية، ولا شك أن مستوى الطاقة والمزاج يتأثران بعمليات فزيولوجية وكيميائية حيوية معقدة، ولكن ليس من السهل أن نحدد السبب ونفصله عن النتيجة فى هذا الصدد، لنحدد أى هذه الفروق موروثه، أو هل ترجع إلى خبرات الحياة (Atkinson et al., 1983).

المحددات البيئية

تتشكل الشخصية بالعوامل البيولوجية، ولكن هذه العوامل ليست وحدها المؤثرة في تكوين الشخصية، فالعوامل البيئية أثر كذلك، ونقصد بالعوامل البيئية: البيئة الثقافية الاجتماعية الأسرية، بما فيها الطبقة الاجتماعية وأسلوب الحياة..... وغير ذلك من العوامل الاجتماعية والثقافية في أوسع معنى لها (بدر الأنصاري، 1999 ب الفصل العاشر)، ويمكن أن نقسم هذه المحددات البيئية إلى نوعين: الخبرات المشتركة، والخبرات الفريدة، ونفصلهما فيما يلي :

أولاً: الخبرات المشتركة :

تتشترك كل أسرة في أى ثقافة في معتقدات وعادات وقيم مشتركة، ويتعلم الطفل خلال نموه أن يسلك بالطرق المتوقعة من ثقافته، وترتبط هذه التوقعات -من بين ما ترتبط- بالأدوار الجنسية Sex roles؛ إذ تتوقع معظم الثقافات أنواعا من السلوك التي تصدر عن الذكور مختلفة عن الإناث، ولكن الأدوار الجنسية يمكن أن تختلف من ثقافة لأخرى، وما زالت القوامة والقيادة في المجتمعات المية (نسبة إلى الأم) موجودة في عدد قليل من المجتمعات، في حين ترجع القوامة في غالبية المجتمعات إلى الأب، ومن هنا فهي مجتمعات أبوية، ومن الطبيعي أن نتوقع ظهور فروق بين الجنسين في الشخصية من مجرد كون الشخص ذكرا أو أنثى (Atkinson et al., 1983).

وهناك فروق بين المجتمعات من حيث أن لكل منها وجهة نظرها الخاصة إلى أشياء مثل: القيم الخلقية، ومستويات النظافة المطلوبة، ونوع الملابس، ومعايير النجاح، والعلاقة بين الأجيال، ونظام الزواج، والسلطة في السرة.....، وليس هذا فقط بل قد تظهر فروق في هذه الجوانب بين الثقافات الفرعية داخل المجتمع الواحد، وتمارس الثقافة (أو الثقافة الفرعية) تأثيرها في شخصيات الأفراد خلال نموها.

وبعض الأدوار كالمهنة من اختيارنا، ولكن مثل هذه الأدوار أيضا تملئها اعتبارات ثقافية؛ إذ أن أنواعا مختلفة من السلوك نتوقعها من كل من الأطباء والسائقين والفنانين، ولكن هذا حدث له تغيير كبير في السنوات الأخيرة، وليس هذا فحسب، بل لقد امتهنت الإناث بعض مهن الذكور.

وعلى الرغم من أن الضغوط الثقافية تفرض بعض التشابهات فى الشخصية، فإن شخصيات الأفراد لا يمكن التنبؤ بها من معرفة المجموعة التى نشأ الفرد فيها؛ ذلك لأن تأثير الثقافة فى الأفراد لا يكون تأثيرا واحدا متسقا، لأنه ينتقل عن طريق الآباء وغيرهم ممن لا يشتركون جميعا فى القيم وطرق التنشئة نفسها، فضلا عن ذلك فهناك خبرات فريدة لدى الأفراد (المرجع نفسه).

ثانيا: الخبرات الفريدة :

يستجيب كل شخص بطريقة خاصة للضغوط الاجتماعية، وقد تنشأ الفروق بين الأفراد فى السلوك نتيجة فروق بيولوجية، ولكنها يمكن أن تنتج أيضا عن أنواع الثواب والعقاب التى تصدر عن الآباء والمدرسين، وعن نوع النماذج أو القدوة Model المتاحة للطفل، وقد يتعرض طفلان للتأثيرات نفسها، وتختلف ردود أفعالهما اختلافا جذريا، ومن ناحية أخرى فقد يشكل الفرد الخبرات الخاصة التى مر بها، كالمرض الذى صاحبه فترة طويلة من النقاهة، الذى يمكن أن يولد لدى الشخص غراما بأن يقوم الآخرون بتمريضه ورعايته، مما يؤثر فى شخصيته، وهناك خبرات فريدة مثل: موت الأب أو الأم فى عمر حرج، والحوادث الصدمية، وفرصة تتاح للفرد ليكشف عن بطولته، ورحيل الأصدقاء إلى بلاد أخرى..... وغير ذلك من الخبرات التى لا يمكن حصرها، ويمكن أن تؤثر فى نمو الشخص (Atkinson et al., 1983).

اختلاف الخبرات داخل السرة الواحدة :

الجانب الهام فى الدراسة التى قام بها "بوشارد" وزملاؤه 1990، الجهد الذى بذل لتحديد أى جوانب البيئة يعد مهما لتطور الشخصية، ولعل الافتراض الطبيعى أن بيئة الأسرة تقوم بدور مهم فى هذا الصدد، ويشترك فى هذا الافتراض كثير من نظريات الشخصية، يأتى على رأسها نظرية التحليل النفسى، ومع ذلك فإن علماء النفس الذين درسوا التوائم وجدوا نتيجة مهمة، موجزها أن الأطفال داخل الأسرة لا يشتركون كثيرا فى نفس البيئة، فإن هؤلاء الأطفال يخبرون، : أى يمرون بالخبرات الأسرية بشكل مختلف، وأن الإخوة يشبهون بعضهم بعضا فى الشخصية، ولكن لأنهم غالبا يحملون نفس المورثات المشتركة أكثر من كونهم يشتركون فى الخبرات نفسها، وذلك كما بينت بحوث "بلومين" Plomin وزملاؤه (Pervin & John, 1998, p. 267).

وتشير بعض النتائج أن البيئة السرية الفريدة التي يخبرها ويجربها كل طفل تعد على درجة كبيرة من الأهمية عن أى بيئة عامة ومشاركة يخبرها الطفل فى الأسرة نفسها، وبجانب هذه الحقيقة، فإن الخبرات خارج الأسرة (المدرسة والرفاق)، تشكل الفروق بين الأطفال من نفس الأسرة (المرجع نفسه).

إن الإخوة لديهم عادة مجموعات مختلفة من الأصدقاء، والإخوة الكبار لهم تأثير كبير فى إخوتهم الأصغر منهم، وقد يكون لهم تأثير أكبر من الوالدين، ويمكن أن تتسبب الفروق بين مجموعات الأقران فى جعل شخصيات الأطفال مختلفة، وإذا حدث ذلك فإنه يكون تأثيرا بيئيا، ولكنه تأثير لا يشترك فيه الإخوة الآخرون، ويطور الأطفال فى الأسرة الواحدة أدوارا مختلفة، فإذا قام أحد الأطفال مثلا بمساعدة أخية فى عمل الواجب المدرسى بشكل متكرر فإن الاثنين يطوران أساليب للتفاعل مختلفة أحدها عن الآخر، كما أن الوالدين أحيانا يفضلون طفلا على طفل، ويمكن أن يؤثر ذلك على علاقات هؤلاء الأطفال، وربما ينتج عن ذلك فروق بينهما، وكل هذه التأثيرات بيئية ولكنها يمكن أن تختلف من طفل إلى آخر (Carver & Scheier, 2000, p. 138).

التفاعل بين محددات الشخصية

تتفاعل الوراثة مع البيئة لتشكلا شخصية الفرد، وتنتج كثير من صفات الشخصية عن مزيج من التأثيرات الوراثية والبيئية، ومن الصعب كثيرا أن نحدد النسب المئوية لأهمية كل من المؤثرات الوراثية والبيئية، ولكن من السهل أن نرى الوراثة والبيئة تعملان معا فى تفاعل، ومثال ذلك الغذاء، فغذاء الأم قد يؤثر فى بيئة الرحم، ومن ثم يؤثر فى الطريقة التى تظهر بها الخصائص الوراثية فى الجنين، وفيما بعد يمكن أن يؤثر غذاء الشخص فى وزنه، ومن ثم فى مظهره العام، وهذا بدوره قد يهيىء الشخص بأن يسلك بأساليب معينة، أو يجعل الآخرين يسلكون تجاهه بطريقة خاصة.

ما سبق يعنى أن المورثات تقوم بدور مهم فى تشكيل الشخصية، وأن البيئة -وبخاصة البيئة غير المشتركة- تقوم كذلك بدور أساسى، وهناك نتيجة أخرى مهمة مفادها أن هناك تأثيرات وراثية فى البيئة يمد بها الوالدان أطفالهم، وهى أن خصائص شخصية الأطفال -التي هى موروثه جزئيا- تؤثر فى الطريقة التى يعامل بها الوالدان أطفالهم، بمعنى أن المورثات تؤثر فى الشخصية لا بشكل مباشر

من خلال التركيب الوراثى للشخص فقط، بل أيضا بشكل غير مباشر من خلال الطريقة التى يختار بها الشخص البيئة ويعديلها وينشؤها.

مثال ذلك أن الوليد الهادى اللطيف يثير استجابة مختلفة جدا من والديه بالمقارنة إلى ما يثيره وليد متهيج ومنسحب، وبالطريقة نفسها فإن الطفل العدوانى وزائد النشاط يثير استجابة مختلفة تماما من والديه ورفاقه ومدرسيه بالمقارنة إلى الطفل الهادى والسلبى، ومثل هؤلاء الأطفال يبحثون أيضا عن بيئات مختلفة؛ فإن الطفل العدوانى ينجذب إلى البيئات التى تقدم له أكبر إثارة وتحد وتبنيه بالمقارنة إلى الطفل السلبى، وبهذا المعنى يصدق القول بأن الناس يصنعون بيئاتهم الخاصة (Pervin & John, 1997, p. 267).

استنتاجات ختامية :

من الملاحظ أن التركيز كبير على دور الوراثة فى تكوين الشخصية، ومع ذلك يجب التأكيد على ما يلى:

- 1- إن القول بأن العوامل الوراثية تقوم بدور مهم لا يعنى أن تطور الشخصية يتحدد كلية بالعوامل البيولوجية، ولا يعنى كذلك أن العوامل غير الوراثية غير مهمة.
- 2- على الرغم من أن العوامل الوراثية يمكن أن تؤثر فى بيئة الأسرة التى يواجهها الطفل، فإن العوامل غير الوراثية مسؤولة أساسا عن الفروق البيئية بين الناس.
- 3- تختلف بيئة الأسرة بالنسبة لكل طفل نتيجة لعدة عوامل منها : الجنس (النوع)، وترتيب المولد، أو أية حوادث فريدة فى الحياة الأسرية لكل طفل، ومع ذلك فإن الخبرات الأسرية مهمة حتى إذا كانت هذه الخبرات ليست هى نفسها بالنسبة للأطفال الذين يتعرعون فى نفس الأسرة.
- 4- من الضرورى أن نتأكد من أن القول بالتأثيرات الوراثية القوية لا يعنى أن سمات الشخصية ثابتة، أو أنها لا يمكن أن تتأثر بالبيئة.

موجز القول أن كل سلوك معتمد على الوراثة والبيئة، وأن الوراثة والبيئة لا يضاف أحدهما للآخر بل يتفاعلا معا.

ثانيا : تطور الشخصية وثباتها

أولا : نمو الشخصية وتطورها

يتفق معظم علماء نفس السمات على أن السمات تتطور من خلال نوع من التفاعل بين الجوانب البيولوجية والاجتماعية، فتنشأ السمات عن تفاعل بين الوراثة والبيئة، ولكن بعض هؤلاء الباحثين يركز على الوراثة أكثر، في حين يركز على البيئة آخرون.

وقد أكدت البحوث في السنين الأخيرة نتيجة مفادها أن الفروق الفردية في السمات يمكن أن تنتج (بشكل جزئي على الأقل) عن الجوانب الوراثية، وتسير البحوث على مزاج الأطفال إلى أن الفروق الفردية في الشخصية يمكن أن تكون موجودة منذ الميلاد، وفي دراسات أخرى أظهرت البحوث على الأشخاص الأقارب بيولوجيا أنهم يميلون إلى الكشف عن مستويات متشابهة من السمات، ولكن النتائج في هذين المجالين ليست حاسمة بطبيعة الحال (McAdams, 1994, p. 2950).

المزاج لدى الوليد

تستخدم كلمة مزاج Temperament في هذا السياق للإشارة إلى الفروق الفردية بين الأطفال وبين الرضع في هذه المرحلة المبكرة من النمو التي تحدث فيها الأفعال وردود الأفعال، ذلك لأن مصطلح الشخصية يفترض حدوث تطور فردي في أثناء الطفولة، حتى تظهر خصائص الشخص مستقلة وفاعلة في بيئته بطريقته الخاصة.

ولاستخدام مصطلح المزاج تاريخ طويل يرجع بادىء ذي بدء إلى الطبيب اليوناني "أبو قراط" (460 ق.م.) والطبيب الروماني اليوناني "جالينوس" (129-201 م)، ويستخدم مصطلح المزاج اليوم للإشارة إلى قسم فرعي من سمات الشخصية يعد موروثا، ويظهر منذ عمر مبكر في الطفولة، ومع الحيوان يستخدم مصطلح المزاج وليس الشخصية، ولكن الحدود بين المصطلحات: الشخصية، والطباع، والمزاج، حدود غائمة غير واضحة (Kohnstamm & Mervilde, 1998).

يولد كل إنسان بمجموعة معينة من الاستعدادات والقابليات ذات الأساس البيولوجي، تجعله يتصرف بطريقة معينة، ويأتي كل وليد للعالم بمزاج فريد يميزه عن غيره من الأطفال حديثي الولادة، مع استثناء التوائم الصنوية التي تتشابه تماما من الناحية البيولوجية، ويشير المزاج إلى الفروق الفردية في الأسلوب الأساسي للسلوك الذي يفترض أن يكون موجودا بصورة ما عند المولد، ومن ثم فإنه يتحدد بيولوجيا بدرجة كبيرة.

وقد صمم علماء نفس النمو عددا من الطرق لقياس المزاج، وعددا من المخططات المعرفية لفهم ما تقيسه هذه المقاييس، واعتمد "توماس" وزملاؤه على مقابلات شخصية مع أمهات الأطفال المولودين، وفرقوا بين ثلاثة أنماط مختلفة من المزاج (McAdams, 1994, 296). نعرضها كالآتي:

أ- الوليد الهين المريح Easy:

يكشف عادة عن مزاج إيجابي دوماً، وتتراوح شدة الأراجاع الانفعالية لديه بين المنخفضة والمتوسطة، وله دورات نوم وطعام منتظمة.

ب- الوليد صعب الإرضاء Difficult:

يكشف عن مزاج سلبي بشكل مستمر، وأراجاع انفعالية عنيفي، وأما دورات النوم والطعام لديه فهي غير منتظمة.

ج- الطفل البطيء في الإحماء Slow – to – warm – up:

يكشف هذا النمط عن خليط بين النوعين السابقين، مع مزاج سلبي نسبياً، وأما شدة الأراجاع الانفعالية لديه فهي منخفضة، مع ميل إلى الانسحاب من الأحداث الجديدة في البداية، ولكنه يقترب منها بعد ذلك.

وحدد باحثون آخرون ستة أبعاد لمزاج الوليد في السنة الأولى وهي: مستوى النشاط، والابتسام والضحك، والخوف، والضيق من تقييد أفعاله، والاستجابة للمداعبة، والنشاط اللفظي، وأضاف آخرون بعداً آخر هو الكف السلوكي الذي يمهد لسمة الخجل.

قائمة المزاج والبنود التي يقوم الأطفال

على أساسها تبعا لنظرية "باص، وبلومن" الأبعاد الأربعة للمزاج (EASI)

1- الانفعالية Emotionality
الطفل يسهل أن يصبح مضطربا أو منزعجا. الطفل يميل أن يبكي بسهولة. الطفل يسهل أن يخاف. الطفل سهل التعامل معه وغير مبالى (بند معكوس). الطفل له مزاج سريع.
2- النشاط Activity
الطفل متحرك دائما. الطفل يحب الخروج ويجرى فورا بعد أن يصحو من النوم. الطفل لا يستطيع أن يجلس هادئا مدة طويلة. يفضل الطفل الألعاب الهادئة مثل المكعبات والتلوين على الألعاب السريعة (بند معكوس).
3- الاجتماعية Sociability
الطفل يحب أن يكون مع الآخرين. الطفل يكون أصدقاء بسهولة. الطفل يميل أن يكون خجولا (بند معكوس). الطفل يميل أن يكون مستقلا وحده (بند معكوس). الطفل يفضل أن يلعب وحده أكثر من الآخرين (بند معكوس).
4- الاندفاعية Impulsivity
الطفل يميل إلى أن يكون مندفاعا. الطفل يواجه صعوبة في تعلم ضبط النفس. الطفل يشعر بالملل بسهولة. الطفل يتعلم أن يقاوم الإغراء بسهولة (بند معكوس). الطفل ينتقل من لعبة إلى أخرى بسرعة.

(McAdams, 1994, p. 297).

يفترض "باص، وبلومن" إذن أربعة أبعاد أساسية للمزاج يختلف الناس فيها من المولد وما يلي ذلك، وهى:

- 1- موروثية.
 - 2- ثابتة ومستقرة خلال النمو.
 - 3- توجد طوال الحياة.
 - 4- تعد كيفية بوجه عام.
 - 5- موجودة بوصفها أبعادا سلوكية مهمة لدى الحيوانات.
- وتشبه -من الناحية البيولوجية- نظيرتها لدى الادميين، ويولد الناس ولديهم استعداد لتطوير هذه الأمزجة الأربعة إلى مستويات مختلفة، وتستجيب البيئة الاجتماعية لهذه القابليات أو الاستعدادات، وتعدلها وتشكلها بطرق محددة، ولكنها تقوم بذلك فقط فى إطار ما تحدده الوراثة (McAdams, 1994, p. 300).

ثبات السمات من المراهقة إلى السن المتقدم

تحدث فى المراهقة تغيرات مهمة فى مختلف جوانب الجسم والشخصية، وتتركز البحوث فى هذه المرحلة غالبا على التغيرات التى تحدث فى مجموعة المراهقين كلها، وليس على التغيرات فى الفروق الفردية، وقد ظهر أن تقدير الذات Self – esteem ينخفض قليلا فى بداية المراهقة، ثم يرتفع بعد ذلك بشكل مضطرد، وفى عمر التسع عشرة أو العشرين سنة يصبح لدى الأولاد والبنات تقدير للذات أكثر ارتفاعا منه فى المراهقة المبكرة.

وقد أجريت فى هذا المجال دراسات كثيرة، أبرزها دراسة "كوستا، وماك كرى" عن استقرار العوامل الخمسة الكبرى عبر الزمن، وأوردا ارتباطات مرتفعة عبر فترة زمنية طولها ست سنوات على عينة قوامها 983 رجلا وامرأة، تراوحت أعمارهم بين 21، و76 سنة عند اختبارهم لأول مرة، وكانت معاملات الثبات كما يلي: العصابية (0,83)، والانبساط (0,82)، والتفتح للخبرة (0,83)، والقبول (0,63)، والإلتقان (0,79)، وكانت الارتباطات متشابهة بين الرجال والنساء، وبين الراشدين الأصغر عمرا (من 25-56 سنة)، والراشدين كبار السن (من 57-84 سنة) (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

وقام "ماكرى"-كما ورد بالمرجع نفسه- بدراسة أخرى على طلاب فى سنتهم الأولى فى الأكاديمية العسكرية، وكشفت ارتباطات إعادة الاختبار عن هذه النتائج: 0,66 (العصابية)، 0,76 (الانبساط)، 0,76 (التفتح للخبرة)، عبر فترة زمنية أقصر بكثير، إذ وصلت إلى تسعة أشهر، وبوجه عام يبدو أن الشخصية أقل ثباتا لدى المراهقين منها عند الراشدين، ويشير دليل آخر إلى أنه عبر الفترات الزمنية الأطول، كعدة عقود، يكون الثبات أقل، ولكنه مع ذلك يظل واضحا بدرجة جيدة، وحقيقة كون مقاييس الشخصية -بوجه عام- أقل ثباتا من الاختبارات المعرفية تعنى أنه إذا أمكن قياس الشخصية بطريقة أكثر ثباتا فمن المحتمل أن تكون الفروق الفردية فيها مستقرة كالفروق الفردية فى الذكاء (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

الفروق الفردية فى تطور الشخصية

بينت الدراسات أن الذكور -فى المتوسط- أكثر تأكيدية Assersion، ولديهم تقدير ذات أعلى قليلا من الإناث، وأن الإناث أعلى من الذكور فى كل من: الانبساط، والقلق، والثقة trust، وكذلك -بوجه خاص- فى العقل اللين Tender - mindedness (مثل: الرعاية Nurturance والاهتمام بالآخرين)، ولم تكشف البحوث عن الفروق بين الجنسين فى كل من: القلق الاجتماعى، والاندفاعية، والتأملية، ومصدر الضبط، والنظام، والفروق بين الجنسين ثابتة عبر الأعمار بوجه عام، وعلى اختلاف الأزمنة التى جمعت فيها البيانات، والمستويات التعليمية، والدول (المرجع نفسه).

ومن المتغيرات التى درست فيها الفروق بين الجنسين: النشاط الحركى Motor activity، وهو متغير نموذجى فى الطفولة، وقد كشفت دراسات التحليل البعدى عن نتائج محددة (استعرض أحدها 127 دراسة مختلفة)، ويمكن أن نستنتج أن الأولاد -فى المتوسط- يكشفون عن مستويات مرتفعة إلى حد ما فى النشاط الحركى بالمقارنة إلى البنات، وهذا الفرق يتزايد بمرور العمر حتى السنين الأولى فى المدرسة، وعند أعلى طرف فى المقياس فإن نسبة الأولاد تبلغ -على الأقل- ضعف نسبة البنات، والمستوى المرتفع من النشاط الحركى مكون مهم فى الاضطراب السلوكى الذى يسمى "فرط الحركة Hyperactivity، الذى يشمل أيضا عدم الانتباه والقابلية لتشتت الانتباه (المرجع نفسه).

وقد تكون الفروق الأساسية صغيرة بين الجنسين فى سن معين، ولكن استجابة الثقافة تكون مختلفة للذكور والإناث الذين يشغلون المواقع نفسها على أبعاد معينة؛ فالأولاد والبنات فى سن المدرسة الذين يقعون فى المركز السابع على الترتيب التساعى (الذى يتكون من تسع نقط) من التوزيع المشترك للكف أو رد الفعل الخارجى نتيجة الإحباط، يثير أرجاعا (استجابة) مختلفة تماما اعتمادا على الثقافة بوجه عام وكذلك الطبقة الاجتماعية، وكلما كانت الأدوار الجنسية Sex roles جامدة وثابتة فى الثقافة والطبقة الاجتماعية ازداد الاختلاف فى أرجاع الجنسين، كما تختلف أرجاع الجنسين تبعا للموقف الذى يصدر فيه السلوك أو تتم ملاحظته (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

تطور العوامل الخمسة الكبرى تبعا للسن

أجرى قدر لا بأس به من البحوث فى نمو الشخصية وتطورها - لاسيما من المراهقة للرشد - بواسطة نموذج العوامل الخمسة الكبرى ، وقد ركز الباحثون فى سمات الشخصية دراساتهم على مرحلة الرشد، وتركوا لعلماء نفس النمو مسائل مثل: كيف تتطور الشخصية من الطفولة حتى العوامل الخمسة الكبرى التى نعرفها فى مرحلة الرشد، ويفترض الباحثون فى السمات أن السمات الخمس الكبرى تظل ثابتة تماما بعد سن الثلاثين، وقبل هذا السن يبدو أن هناك نموا وتغيرا كبيرين، مما حدا ببعض الباحثين أن يفترضوا أن سمات الشخصية -مثلها فى ذلك مثل الذكاء والطول- يبدو أن لها نقطة تصل فيها إلى النضج الكامل، وأن تطور الشخصية لا يكتمل إلا بعد نهاية عقد العشرينات (Pervin & John, 1997, p. 265f).

وقد كشف عدد من الدراسات -كما ورد فى المرجع نفسه- أن المراهقين وصغار الراشدين فى أوائل العشرينات لهم درجة مرتفعة من العصابية والانبساط، ودرجة منخفضة فى القبول والإتقان بالمقارنة إلى كبار الراشدين، ويكون لهذه النتائج معنى عندما نقارن طلاب المدارس الثانوية والجامعة بوالديهم، فيظهر لنا أن الشباب فى العشرينات تكتنفهم وتحاصرهم عدة أنواع من القلق والهموم (عصابية مرتفعة)، ويميلون إلى أن يكونوا أقل إتقانا ومسؤولية عما يتوقع الآخرون منهم (إتقان منخفض)، وفى الحقيقة فإن المراهقة والعشرينات المبكرة سنوات تتصف بالسخط والتمرد والثورة، وبصورة عامة فإن نتائج التغيرات فى العوامل الخمسة الكبرى خلال سنى العشرينات فسرت على أنها إشارة إلى نمو تجاه درجة أكبر من النضج يحدث فى عمر الثلاثينات؛ ذلك أن أدوار الراشد التى يقوم بها فى كل من

المهنة وتكوين الأسرة والوالدية تؤدي إلى ثقة أكبر، واتزان وجداني أعظم، بالإضافة إلى مزيد من التطبيع الاجتماعي والكفاءة (المرجع نفسه).

وفيما يختص بالطفولة فمن الممكن أن نفترض أن الخصائص المزاجية المبكرة مثل: الاجتماعية، والنشاط، والانفعالية تتطور وتنضج لتصبح الأبعاد التي نعرفها على أنها الانبساط والعصابية في الرشد، ومع ذلك فإن الرابطة الدقيقة والعمليات التي يحدث فيها هذا التطور لم تحدد بعد.

وأحد النتائج المثيرة مفاذه أن بناء الشخصية يبدو أكثر تعقيدا، وأقل تكاملا في الطفولة عنه في الرشد، وبدلا من العوامل الخمسة العادية فإن الباحثين في الولايات المتحدة وهولنده وجدوا سبعة عوامل في دراساتهم على الأطفال، وتشير نتائج هذه الدراسات إلى أن تنظيم الشخصية يمكن أن يتغير خلال التطور من سبعة أبعاد مستقلة في الطفولة إلى أبعاد تندمج معا لتكون أبعادا للشخصية أعرض وأكثر تكاملا كالخمسة الكبار في الرشد، فعلى سبيل المثال فإن اثنتين من السمات المزاجية الموروثة تمثل الاجتماعية والنشاط تكون محددة في الطفولة، ولكنها تندمج فيما بعد لتكون عامل الانبساط لدى الراشدين (Pervin & John, 1997, p. 265f).

ثانياً: ثبات الشخصية وتغيرها

معنى ثبات الشخصية :

إذا قلنا: إن شخصية ما تتسم بالثبات Stability فما طول المدة الزمنية اللازمة كي نتحدث عن ثبات سمات هذه الشخصية؟ لا توجد قواعد نقرر على أساسها، ولكن الأفضل أن يكون الفارق الزمني سنين بدلاً من أيام، وهذا يعتمد أساساً على مرحلة النمو التي وصل إليها الفرد، ويقترح "بلوم" Bloom عام 1964 أن نتحدث عن الثبات عندما يحتفظ الأفراد برتبتهم أو ترتيبهم بين مجموعة من الأفراد عبر قياسين متعاقبين، ومن ثم يعنى معامل الارتباط المرتفع لمجموعة من الأفراد اختبرت في مناسبتين متتابعتين ثباتاً مرتفعاً لمراكز هؤلاء الأفراد في المجموعة، وبوجه عام فكلما طالت الفترة الزمنية بين القياسين انخفض الثبات، كما ينخفض الثبات أيضاً عندما يحدث التطور بسرعة، فكلما كان الفرد أصغر سناً حدث التطور أسرع، ولذلك فإن الثبات منخفض لدى صغار الأطفال وأكثر وضوحاً في الأعمار الأكبر، ويشار عادة إلى هذه الظاهرة على أنها "قانون بلوم" Bloom's law (Kohnstamm & Mervielde, 1998).

ثبات الشخصية عبر الزمن :

تفترض معظم نظريات الشخصية وبخاصة نظريات السمات أن الأشخاص يسلكون بصورة ثابتة ومتسقة Consistent من موقف إلى آخر عبر الزمن، كما يرى أصحاب هذه النظرة أن هناك سمات شخصية أساسية معينة تميز الفرد عبر مواقف مختلفة من يوم لآخر -والى حد ما- خلال حياته بأسرها، ومن ثم فإذا ظهر فرد يتصرف بأمانة وبضمير حي في مواقف كثيرة فإننا نفترض أنه يمكننا التنبؤ بكيفية أدائه في مواقف مختلفة.

وعلى المستوى الشخصى فإن الشعور بالاتساق Consistency فى أفكارنا وسلوكنا يعد أساساً لسعادتنا، ومما يميز الشخصية غير المتكاملة فقدان الإحساس بالثبات، ومع ذلك فقد فشلت بعض البحوث فى إثبات ذلك، ونتج عن ذلك جدال طويل وتباين فى الآراء، ولكن البحوث الدقيقة رجحت جانب الثبات عن التغير.

طرق قياس الثبات أو التغير فى الشخصية

أفضل طريقة لدراسة ثبات الشخصية أو تغيرها هى المنهج الطولى، ويجب أن تستخدم هذه الطريقة قياسات متعددة، كما يجب أن تغطى قطاعا كبيرا من مدى الحياة Life span، على أن تجمع البيانات عبر فترات غير منتظمة، وفى موجات مركزة، مع استخدام الطرق متعددة المتغيرات Multivariate فى تحليل النتائج (Weinberger, 1994).

والطريقتان الشائعتان فى هذا الصدد هما :

أ- ثبات المتوسطات :

يمكن أن تستخدم المناهج الطولية Longitudinal والمستعرضة Cross – sectional لدراسة الفروق بين المتوسطات Means ، ونتائج البحوث المستعرضة متسقة فى بيانها، أن هناك ميلا إلى التناقص البسيط فى العصابية الانبساط والتفتح للخبرة، وزيادة صغيرة فى كل من القبول والإتقان.

ب- ثبات الفروق الفردية :

تقيس هذه الطريقة الارتباطات بين تطبيق المقياس وإعادة تطبيقه على نفس الشخص، وذلك لتقدير ثبات رتب الفرد، وقد تراوحت الفترات الزمنية بين 3، و30 سنة، واستخدمت بعض الدراسات استخبارات التقرير الذاتى فى حين استخدمت أخرى تقديرات الملاحظين (Costa & McCrae, 1994).

نتائج بعض الدراسات الطولية

أجري عدد من الدراسات الطولية لبيان مدى ثبات الشخصية أو تغيرها، ومنها دراسة معهد التطور الإنساني، والدراسة المعيارية للتقدم في السن، ودراسة "كيلى" الطولية، ودراسة "ديوك" الطولية، ومشروع جامعة "منيسوتا" لأمراض القلب، ودراسة "بالتيمور" الطولية للتقدم في السن، وقد اختلفت هذه الدراسات فى الأساس النظرى لها، وفى تكوين العينات، والسن الذى بدأ به المشاركون فى هذه الدراسات، والأدوات التى استخدمت لقياس الشخصية، ومع ذلك فقد أجمعت نتائجها على ثبات الشخصية فى الرشد (Costa & McCrae, 1994).

وقدم عدد من البحوث الأدلة على أن مقاييس السمات مستقرة وثابتة بدرجة مرتفعة عبر الزمن، فإن خصال الشخصية التى تكشف عنها ونحن صغار هى نفسها ونحن كبار، وبينت البحوث التى عرضها كل من "هوجان، وكوللى، وبيرفن" وغيرهم أن كثيرا من الفروق الفردية تظل كما هى عبر عقود من الزمن، مثل المزاج، والميول المهنية، والتحصيل، والعصابية، والأمراض النفسية، والسلوك المضاد للمجتمع، والتمسك بالأدوار الجنسية، والعبيرية، والسلوك الخلقى، والانبساط - الانطواء، والعدوان، والإيثار... وغيرها، ومن أهم البحوث فى هذا المجال الدراسة الطولية التتبعية التى قام بها "جاك بلوك" Block عام 1971 (Peterson, 1988, p. 353).

دراسة "بلوك" :

قام "بلوك" فى إحدى هذه الدراسات الطولية بتتبع أكثر من مائة مبحوث خلال فترة 35 عام، وكان أول قياس لهم فى المدرسة الإعدادية (المتوسطة) ، وانجزه علماء النفس الذين قاموا بتقدير كل فرد على عدد من سمات الشخصية، مستخدمين إجراء مقنن للتقدير، وتم تقدير المبحوثين أنفسهم مرة أخرى فى المدرسة الثانوية، وفى منتصف الثلاثينات وفى منتصف الأربعينات من العمر بالنسبة لهم، وأجرى كل تقدير عن طريق مجموعة مختلفة من المحكمين، وعبر فترة السنوات الثلاث من المدرسة الإعدادية إلى المدرسة الثانوية أظهر 0,58 من متغيرات الشخصية ارتباطا إيجابيا جوهريا، وعبر فترة الأعوام الثلاثين من المدرسة الإعدادية إلى منتصف الأربعينات من العمر بالنسبة للمبحوثين كشف 0,31 من البنود عن ارتباط جوهري.

وتشير هذه الدراسة إلى أن الملاحظين المدربين عندما ينظرون إلى الفرد فإنهم يجدون ثباتا مرتفعا لديه عبر الزمن، وعندما ينظر الأشخاص إلى أنفسهم فإنهم يميلون إلى تأكيد ثبات شخصياتهم عبر السنين على الأقل عندما يصلون إلى الرشد (المرجع نفسه).

نتائج "كوستا، وماك كرى" :

هناك اتفاق على أن الشخصية تتغير حتى قرابة سن الثلاثين، ثم تظل التوجهات أو النزعات الأساسية ثابتة بعد سن الثلاثين، ويقصد "كوستا، وماك كرى" بالنزعات الأساسية العوامل الخمسة الكبرى، ولكن هذه النزعات الأساسية تمثل ميولا مجردة، ويمكن أن تتجسد بطرق مختلفة، فمثلا قد يحصل شخصان على درجة مرتفعة في مقياس العصابية، ولكن أحدهما يكشف عن هذه الدرجة من خلال نوبات من الرعب في أثناء النوم، في حين تظهر على الشخص الآخر على شكل طقوس وسواسية (Weinberger, 1994).

وثالثا التباين في الشخصية (كما تحدها النزعات الأساسية) ثابت بعد سن الثلاثين، ولكن ذلك يفتح الباب كذلك لتغير الشخصية، فإذا كان الثلثان ثابتين، فماذا عن الثلث الباقي؟ إنه الجزء القابل للتغير، وكما يحدث الثبات نتيجة تضافر عدد من الأسباب؛ فإن التغير أيضا تثيره مجموعة من الظروف والأحوال: عندما تنشأ مشكلة تتطلب حلا تكيفيا، وكلما تغيرت ظروف الحياة ظهرت الآليات الكامنة للمواجهة Coping ويتم انتقاء آليات جديدة (المرجع نفسه).

ويسبق التحول الكبير والمفاجيء في الشخصية غالبا صراع ويأس، وفي إحدى الدراسات قرر المبحوثون مستوى مرتفعا من الخبرات السلبية للحياة في العام السابق لحدوث التغير، ومن ثم يبدو أن مستوى مرتفعا من الضغوط شرط مسبق لحدوث التغير الكبير (Weinberger, 1994).

الفروق الفردية فى الثبات

تفترض معظم البحوث فى السمات الشخصية أن الناس يمكن أن توصف فى كل سمة على أساس مدى اختلافهم بعضهم عن بعض فى المقدار الذى يمتلكونه منها، ومع أن بعض الأشخاص يمكن أن يكونوا متسقين فى بعض السمات فإن قلة قليلة فقط منهم يكونون ثابتين فى جميع السمات، وفى إحدى الدراسات طلب من مجموعة من الطلاب الجامعيين أن يقدروا مدى تغيرهم من موقف إلى آخر فى مجموعة من السمات، فظهر أن الطلاب الذين حكموا على أنفسهم بأنهم ثابتون فى سمة معينة يميلون إلى إظهار ثبات أكبر من موقف إلى آخر بالمقارنة إلى الطلاب الذين حكموا على أنفسهم بأنهم متغيرون فى هذه السمة، مثال ذلك أن الطلبة الذين قالوا: إنهم ودودون بدرجة ثابتة كانوا يميلون إلى إظهار مستوى ثابت من الصداقة إلى حد معقول، وذلك تبعاً للتقديرات التى قام بها آبائهم وأجدادهم، وتبعاً كذلك للملاحظة المباشرة لهم فى مواقف متعددة. ويميل الطلاب الذين وصفوا أنفسهم بأنهم متغيرون فى درجة الود إلى أن يكونوا أقل ثباتاً (Atkinson et al., 1983).

بينت هذه الدراسة إذا أن الأشخاص مختلفون فى ثبات السمات لديهم، فسوف يضم الاختبار العشوائى للبحوث نتيجة لذلك بعض الأفراد الذين أظهروا ثباتاً، وبعض الأفراد الذين كشفوا عن تغير فى سمة معينة كالأمانة، وإن محاولة الكشف عن الثبات من موقف إلى آخر مع مثل هذه المجموعة المختلطة من المبحوثين سيؤدى إلى نتائج ضعيفة (المرجع نفسه).

كما كشفت الدراسات التالية أن الأشخاص الذين يظهرون ثباتاً سلوكياً يقعون فى مجموعتين: الأولى ثابتة عبر أبعاد سلوكية متعددة بحيث يمكن أن يكون الثبات -بالنسبة لهم- سمة لديهم، وتضم المجموعة الثانية أولئك الأفراد الثابتين فى سمة واحدة أو سمتين (كالعدوان أو الاجتماعية مثلاً)، وتتوافر الأدلة على أن المجموعة التى كشفت عن ثبات سلوكى مرتفع تعد أكثر انتباهاً ووعياً بمشاعرها الداخلية بالمقارنة إلى المجموعة منخفضة الثبات (المرجع نفسه).

ومن الواضح أن هناك قابليات Dispositions قوية وأخرى ضعيفة، فهناك بعض الأفراد متسقون Consistent فى سلوكهم على الرغم من شدة المواقف، وآخرون أقل اتساقاً فيجعلون التأثيرات الموقفية تقودهم، وقد اتضح ذلك بطرق شتى، فقد وجد "سنايدر" -على سبيل المثال- أن الأشخاص

الذين لديهم درجة مرتفعة فى مراقبة الذات Self – monitoring يتكيفون بسهولة مع أى موقف يواجههم، وينظرون إلى الآخرين لتلقى إشارات بخصوص الأفعال المناسبة للموقف، ويتكيفون مع مطالب الموقف، وأما من لهم درجة منخفضة فى مراقبة الذات فإنهم يتصرفون بالطريقة التى يرونها صائبة، ويترتب على ذلك أن سلوك المرتفعين فى مراقبة الذات يجب أن يكون أقل اتساقا من موقف إلى آخر بالمقارنة إلى سلوك المنخفضين فى مراقبة الذات، وقد تأكد صدق هذا التنبؤ (Carver & Scheier, 2000, p. 82).

ويتفق ذلك مع ما كشفت عنه دراسات أخرى -كما ورد بالمرجع نفسه- من أن الأشخاص الذين يرون أنفسهم على أنهم غير متسقين فى سمة ما يتصرفون بطرق لا يسهل التنبؤ بها عن طريق تقريرهم الذاتى لهذه السمة، فى حين أن الأشخاص الذين قالوا أنهم متسقون جدا تنتبأ تقاريرهم الذاتية بتصرفاتهم بشكل جيد جدا (المرجع نفسه).

الثبات مقابل التغير

على الرغم من أن بعض الأفراد قد كشفوا عن ثبات شخصياتهم إلى درجة مرتفعة عبر حياتهم، فقد كشف آخرون عن تغيرات كبيرة فى الشخصية، وفى عالم اليوم يتسم بالتغير الاجتماعى والتكنولوجى السريع، يواجه الكثير من الأشخاص صراعا بين تأكيد شخصيتهم (تظل ثابتة) ووعيهم بقدراتهم الكاملة (استكشاف أدوار وسلوك جديدين)، ويتضمن نمو الشخصية كلا من الثبات والتغير (Atkinson et al., 1983).

ومع أن التغيرات فى الشخصية يمكن أن تحدث فى أى وقت من الحياة، فإنها أكثر عرضة للحدوث أثناء فترة المراهقة والرشد المبكر، وقد كشفت دراسة "بلوك" الطولية عن فروق فردية كبيرة فى درجة ثبات الشخصية عبر الفترة التى درست كما ذكرنا، فكشف بعض الأفراد عن ثبات فى شخصيتهم منذ فترة مبكرة جدا من حياتهم، فى حين تغير الآخرون بدرجة ملحوظة عبر السنين: من المدرسة الثانوية إلى منتصف الرشد، وبوجه عام فإن الأشخاص المتغيرين هم أولئك الذين اتسمت فترة مراهقتهم بالصراع والتوتر داخل ذواتهم وفى علاقاتهم بكل من المجتمع وقيم الراشدين، ومثال ذلك أن المتغيرين

من الذكور قد اتصفوا خلال فترة الدراسة الثانوية بعدم الشعور بالأمان والحساسية والضياع وعدم النضج والتوجه إلى ثقافة الأقران، كما اتسمت الإناث المتغيرات بالشعور بعدم الأمان والتمرد كما وضعن قيمة كبيرة للاستقلال، ونظرن إلى والديهن على أنهم من طراز عتيق (المرجع نفسه).

وعلى العكس من ذلك فقد اتصف غير المتغيرين بالاسترخاء والفعالية، والسعى بارتياح نحو الأهداف التي تحددها الثقافة، كما كانوا يتقبلون لأنفسهم ويستوعبون الأدوار التقليدية وقيم ثقافتهم، واتسم الذكور غير المتغيرين بالثقة في الذات والنضج والتكيف والإنتاجية، في حين مالت الإناث غير المتغيرات إلى أن تكون علاقتهن إيجابية مع والديهم وغيرهما من الراشدين، كما اتسمن بالخضوع والإنتاجية وتقبل الدور الجنسية التقليدية، ومع أن هناك كثيرا من الأسباب الفردية التي تحو بنا إلى البحث عن التغيير، فمن الممكن أن نستنتج أن المتغيرين من كلا الجنسين ينظرون إلى الحياة على أنها نضال وصراع، كما يكرهون التغيير، ومن ناحية أخرى ينظر غير المتغيرين إلى الحياة بوصفها عملية سلسلة هادئة (المرجع نفسه).

التغير الناتج عن العلاج النفسي

أجريت معظم الدراسات في تغير الشخصية أو ثباتها على ما يحدث للأشخاص من ثبات أو تغير في الظروف الطبيعية للحياة، ولكن هناك جهود محددة هادفة إلى تغيير الشخصية، وما ذلك إلا العلاج النفسي، والنتائج متضاربة في هذا الصدد، وتتراوح بين حدوث التغير مقابل عدم حدوثه نتيجة للعلاج النفسي.

وتدل البحوث على أن كل أنواع العلاج النفسي فعالة، أي: أن الناس يتغيرون إلى الأحسن، ولكن ما الذى يتغير؟ هل هي الشخصية؟ النتائج متضاربة، فيذكر بعض الباحثين أن العلاج النفسي له التأثير الأقوى في الاكتئاب والأعراض المفردة كالقلق، إلا أن متغيرات الشخصية - كما تقاس بالطرق التقليدية - تكشف عن آثار ضعيفة جدا (أي تغير طفيف)، ويؤكد ذلك "كازدن" في قوله: إن متغيرات الشخصية كالعصابية لا تتغير نتيجة للعلاج، ويتفق "لوبورسكى" وزلاؤه مع هذا الرأي، أي: أن العلاج النفسي ليس له تأثير في البناء الأساسى للشخصية، وبدلا من ذلك فإن العلاج النفسي يساعد المريض أن يصبح أكثر مرونة في إشباع رغباته، وفي الاستفادة من إمكانياته (Weinberger, 1994).

قائمة المراجع

- Ann M.Kring, S. L. ت (2015). علم النفس المرضى - الدليل التشخيصى والإحصائى للاضطرابات النفسية - الإصدار الخامس - الطبعة الثانية عشر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- إبراهيم, ع. ا. (1998). الإكتئاب - اضطراب العصر الحديث - فهمة وأساليب علاجة. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - عالم المعرفة.
- إبراهيم, ع. ا. (1983). العلاج النفسى الحديث قوة للإنسان. القاهرة: مكتبة مدبولى.
- إبراهيم, ع. ا. (1988). علم النفس الإكلينيكى - مناهج التشخيص والعلاج. الرياض: دار المريخ للنشر.
- إبراهيم, ع. ا. (1998). العلاج النفسى السلوكى - المدخل الحديث ط2. القاهرة: مطبعة الموسيقى.
- الأشول, ع. ع. (1988). سيكولوجية الشخصية: تعريفها - نظرياتها - نموها - قياسها - انحرافاتهما. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الأنصارى, أ. م. (1996). العوامل الخمسة الكبرى فى مجال الشخصية: عرض نظرى. مجلة علم النفس 19.38 - 6 ,
- الخال, أ. م. (1993). أصول الصحة النفسية (ط2). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (ط3): (2015).
- الخالق, أ. م. (1987). قلق الموت. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب: عالم المعرفة.
- الخالق, أ. م. (1988). الفروق بين الأسوياء والعصابيين والذهانينفى الأثر اللاحق لبريمة أرشميدس. القاهرة: بحوث المؤتمر الرابع لعلم النفس فى مصر: مركز التنمية البشرية والمعلومات.

- الخالق, أ. م. (1990). الأبعاد الأساسية للشخصية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (تقديم: هانز أيزنك) (ط8: 2015).
- الخالق, أ. م. (1994). (الدراسة التطورية للقلق. الكويت: حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية 14، الرسالة 90.
- الخالق, أ. م. (2003). اضطرابات النوم وعلاقتها بالقلق والإكتئاب: دراسة تنبؤية. المجلة المصرية للدراسات النفسية- العدد 27.41 - 1 ,
- الخالق, أ. م. (2016). علم نفس الشخصية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريه.
- الخضري, س. (1976). الفروق الفردية فى الذكاء. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.
- الدر, إ. ف. (1994). الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان. بيروت-لبنان: الدار العربية للعلوم.
- الدق, ر. س. (1996). علم النفس المعرفى. الكويت: شركة دار الفكر الحديث.
- الرحمن, م. ا. (2015). نظريات الإرشاد والعلاج النفسى. القاهرة : مكتبة زهراء الشرق.
- الزىادى, م. (1969). علم النفس الإكلينيكي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الشناوى, م. م. (1994). نظريات الإرشاد والعلاج النفسى. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشناوى, م. م. (1995). العملية الإرشادية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- الشيخ, أ. -ت. ج. (1964). مشكلات علم النفس. القاهرة: دار النهضة العربية.
- الطيب, ص. أ. (2014). الإرشاد النفسى فى المدرسة - أسسه ونظرياتة وتطبيقاتة. العين - الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعى.
- الغفار, ع. ا. (1976). مقدمة فى الصحة النفسية. القاهرة: دار النهضة العربية.
- القفاش, ف. ت. (1962). الموجز فى التحليل النفسى. القاهرة: دار المعارف.

الملك, ش. ع. (1972). مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء. القاهرة: المطبعة التجارية الحديثه.

برادة, س. غ. (1964). الاختبارات الإسقاطية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

برادة, س. غ. (1964). الأختبارات الإسقاطية. القاهرة: دار النهضة العربية.

برادة, س. م. (1964). الاختبارات الإسقاطية. القاهرة: دار النهضة العربية.

جابر, ج. ع. (1990). نظريات الشخصية: البناء، الديناميات، النمو، طرق البحث، التقويم. القاهرة: دار النهضة المصرية.

حمودة, م. (1991). الطب النفسى-النفس أسرارها وأمراضها. القاهرة: مكتبة الفجالة.

دالين, د. (1977). مناهج البحث فى التربية وعلم النفس. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية - طبعة ثانية.

رمزى, ف. ت. (1966). ما فوق مبدأ اللذة. القاهرة: مكتبة مصر.

زهران, ح. ع. (1973). علم النفس الإجتماعى. القاهرة: عالم الكتب.

زهران, ح. ع. (1974). الصحة النفسية والعلاج النفسى. القاهرة: عالم الكتب.

زهران, ح. ع. (1978). الصحة النفسية والعلاج النفسى. القاهرة: عالم الكتب.

زهران, ح. ع. (1985). التوجيه والإرشاد النفسى. القاهرة: عالم الكتب.

زهران, ح. ع. (2005). الصحة النفسية والعلاج النفسى ط4. القاهرة: عالم الكتب.

زيدان, أ. ل. (2016). التوجيه التربوى والإرشاد النفسى فى المدرسة العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

زيور, ف. ت. (1963). ثلاث مقالات فى نظرية الجنسية. القاهرة: دار المعارف.

سرى, إ. م. (1990). علم النفس العلاجى. القاهرة: دار الكتب المصرية.

- شعلان, م. (1979). الإضطرابات النفسية فى الأطفال. القاهرة: الجهاز المركزى للكتب الجامعية والوسائل التعليمية.
- صادق, ف. م. (1982). سيكولوجية التخلف العقلى ط2. الرياض: عمادة شئون المكتبات - جامعة الملك سعود.
- صالح, أ. ز. (1971). نظريات التعلم. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- عثمان, د. د. ف. (1977). مناهج البحث فى التربية وعلم النفس. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عسكر, ع. ا. (2008). علم النفس الإكلينيكى فى ميدان الطب النفسى، ط4. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عكاشة, أ. (1975). التشريح الوظيفى للنفس-علم النفس الفسيولوجى. مصر: دار المعارف بمصر.
- عكاشة, أ. (1992). الطب النفسى المعاصر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عكاشة, أ. (1998). الطب النفسى المعاصر ط6. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عكاشة, أ. ع. (2013). الطب النفسى المعاصر ط16. القاهرة: مكتبة النجلو المصرية.
- عوف, ط. م. (2011). أسس علم النفس العام. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عيسى, ه. أ. -ت. (2012). العلاج المعرفى السلوكى المعاصر: الحلول النفسية لمشكلات الصحة العقلية. القاهرة: دار الفجر.
- غنيم, ر. ل. -ت. (1989). الشخصية. القاهرة: دار الشروق.
- غنيم, س. (1973). سيكولوجية الشخصية. القاهرة: دار النهضة العربية.
- غنيم, س. م. (1975). سيكولوجية الشخصية: محدداتها، قياسها، نظرياتها. القاهرة: دار النهضة العربية.
- فتحي, ف. ت. (1966). محاضرات تمهيدية فى التحليل النفسى. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- فرج, د. د. هـ. (2002). مرجع إكلينيكي فى الإضطرابات النفسية- دليل علاجى تفصيلى .مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- فرج, د. د. هـ. (2002). مرجع إكلينيكي فى الاضطرابات النفسية - دليل علاجى .القاهرة: مكتبة النجلو المصرية.
- فرج, ص. (1980). القياس النفسى .القاهرة: دار الفكر العربى.
- فضلى, م. م. ع. (1972). بيولوجيا الذاكرة .القاهرة: المجمع المصرى للثقافة العلمية-العددالثانى والأربعون.
- فطيم, آ. ج. -ت. م. (1997). خطة العلاج النفسى .القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.
- فطيم, ل. (1994). العلاج النفسى الجمعى .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- محمد, م. ج. (2004). علم النفس الإكلينيكي .عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- مخيمر, أ. ف. -ت. (1969). نظرية التحليل النفسى فى العصاب .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- مخيمر, ص. (1979). المدخل إلى الصحة النفسية ط3 .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- مليكة, ل. ك. (1990). التحليل النفسى والمنهج الإنسانى فى العلاج النفسى .القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- مليكة, ل. ك. (1990). العلاج السلوكى وتعديل السلوك .القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- مليكة, ل. ك. (1994). العلاج السلوكى وتعديل السلوك ط2 .القاهرة: دار النهضة العربية.
- مليكة, ل. ك. (1997). العلاج النفسى - مقدمة وخاتمة .القاهرة: مكتبة النجلو المصرية.
- مليكة, ه. و. (1971). نظريات الشخصية .القاهرة: الهيئة العامة للتأليف والنشر.
- مليكة, ل. (1977). علم النفس الإكلينيكي-جزء أول: التشخيص والتنبؤ فى الطريقة الإكلينيكية . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- منصور, ر. ف. (2000). علم النفس العلاجي والوقئى - رحيق السنين . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ميخائيل), آ. ف. (1972). الأنا وميكانيزمات الدفاع . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.
- ميخائيل), ف. (1969). نظرية التحليل النفسى فى العصاب . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- نظمى, أ-ت. ح. (1969). الحقيقة والوهم فى علم النفس . القاهرة: دار المعارف.
- هنا, ل. ك. (1959). الشخصية وقياسها . القاهرة: دار النهضة المصرية.
- هنا, ل. ك. (1959). الشخصية وقياسها . القاهرة: دار النهضة المصرية.
- وآخرون, ك. و. (1965). تكنيك الرورشاخ . القاهرة: المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية.
- يوسف, ج. س. (2001). النظريات الحديثة فى تفسير الأمراض النفسية: مراجعة نقدية . القاهرة: دار غريب.